

الأكاديمية العربية الدولية



الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية المقررات الجامعية

ركنور عبد العزيز شرف

أستاذ الإعلام ورئيس القسم الأدبي

بجريدة الأهرام

فن المقال الصحفي

الناشر

داوقباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

محمده غريب

فَرَّقَ الْمَقَالَ الصَّحَفِيَّ

الكتاب : فن المقال الصحفي

المؤلف : د / عبد العزيز شرف

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

جميعه غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ف : ٢٤٧٤٠٣٨ ت : ٢٤٦٢٥٦٢

المطابع : مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية (CI)

ت : ١٥/٣٦٢٧٢٧

المكتبة : ١٠ شارع كامل صديق (القاهرة)

ص.ب : ١٢٢ (الغزالة)

رقم الإيداع : ٩٨/٩٧٩٣

الترقيم الدولي : ISBN

977-303-032-6

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

فى حديث له حول القراءة والكتب؛ قال "بول فاليرى": إن الإنسانية فى جملتها اليوم لا تقرأ شيئا غير الصحف!.. ثم انتهى إلى هذا القول الذى يدهش توفيق الحكيم لصدوره من "فاليرى": "يجب تعليم تلاميذ المدارس أن يطالعوا الصحف!؛ ولست أمزح؛ ذلك أن الشعب - إذا كان هو الحاكم - فإن للحاكم أن يتسلم فى كل صباح تقريراً عن حالة ملكه وحالة العالم!.. هذا التقرير موجود فى الصحف.. ولذلك ينبغى أن يتعلم كيف يستخرج هذا التقرير منها. إن تحليل صحيفة من الصحف، وغربلتها؛ رياضة على أكبر جانب من الفائدة وربما على أعظم جانب من القيمة أيضاً!.. إن الغذاء العقلى للجنس البشرى، إنما يُعد الآن إعداداً فى مطابخ الصحف؛ لأن الأغلبية الساحقة - ممن يعرفون القراءة - لا يملكون من الوقت لهذه القراءة أكثر من ساعة فى اليوم!.. وهذه الساعة التى تختلس اختلاسا أثناء ركوب "المترو" أو القطار أو الأكل فى مطعم - لا يمكن أن يشغلها غير الصحف!"

هذه حقيقة لا يمكن أن تُنكر؛ وهى كما يقول "الحكيم" حقيقة مخيفة؛ ولذلك كان مصدر دهشته أن "مفكرا من طراز "فاليرى"؛ يبسطها بهذا الهدوء". يقول الحكيم:

"حقاً، لقد انتقلت مهمة تثقيف الشعوب - من أيدى الفلاسفة والكتاب والشعراء والخطباء - إلى أيدى الصحفيين. قديماً كان الناس فى البدو والحضر يتناولون أيضاً غذاءهم العقلى فى كل حين؛ لأن البشرية لم تقطع يوماً عن طلب الطعام الذهنى إلى جانب الطعام المادى!.. ولكنها لم تكن تعرف صحافة يومية، ولا أسبوعية!.. كانت تعرف شعراء الحى، وخطباء الهياكل، وفلاسفة الأسواق! وكان أولئك فى جملتهم قوماً ممتازين: أنبتتهم العبقريّة، وأرضعهم النبوغ.. كان الغذاء العقلى من يد هؤلاء، بديعاً فى أغلب الأحيان مصفى، بعيداً عن السخف، والإسفاف، لأن الموهوبين لا يسفون، وإن أرادوا..! هكذا كان المطبخ العقلى فى الماضى، فهل لنا أن نتفاعل بالمطبخ الحديث"؟

يذهب الحكيم؛ ونحن معه؛ قبل التفاؤل والتشاؤم؛ إلى ضرورة التساؤل أولاً:
هل يتغير نوع الثقافة بتغير المجتمع؟ "لاشك أن هنالك شيئاً يتغير، وأن هنالك شيئاً
ثابتاً لا يتغير! إن ألوان الطعام المادى قد تغيرت، وتنوعت وتعددت على مر
الأحقاب والأزمان؛ فاختفى العصيد والثريد، وظهر فى المأكولات من مالح وحلو،
ومرطبات ومثلجات، كل تنوع وتجديد...! ولكن الفاكهة بقيت هى الفاكهة فى كل
وقت ومكان، كذلك حياة المجتمع تتجدد فيها المظاهر وتتعدّد المشكلات ويظهر
الراديو والسينما كما تظهر أحدث النظريات السياسية والاقتصادية، ولكن شيئاً فيها
يبقى بلا تغيّر، وهذا الشيء هو الاحساس بالجمال الفكرى والفنى. فإن بيتاً من
الشعر - مزّ بدوية فى خيمتها منذ ألف عام، قد يهز حسناء اليوم فى خدرها طرباً
!.. وأسطورة خيالية شغف بها الأقدمون فى مصر، أو الهند، أو اليونان - قد تثير
أوروبا الحديثة عجباً!.. فاكهة الذهن أو القلب تبقى دائماً نضرة! مادامت شجرة
الحياة الانسانية باقية باسقة!"

وتأسيساً على هذا الفهم؛ فإننا نذهب مع الحكيم إلى أن صحافة اليوم تستطيع
القيام بمهمة التثقيف العام؛ لو راعت هذه الاعتبارات، عند إعداد الغذاء العقلى
للشعب، ذلك أن الصحيفة المثالية "مائدة يجب أن تكون حافلة بكل أنواع
الفيتامينات"؛ يتناول القارئ منها مايزجى فراغه، وينمى اطلاعه ويقوى عضلاته
المفكرة، وأما من تقصر فى واحدة من هذه المهام؛ فهى تغدو كالطعام الردىء
يعطيك شيئاً ويمنع عنك أشياء!"

وربما من أجل ذلك قال "ويليام هاملتون" William Peter Hamilton
محرر صحيفة "دى وول استريت جورنال" The Wall Street Journal : "من بين
٢٢,٠٠٠ مقال افتتاحى كل أسبوع؛ نلاحظ أن ٢١,٥٠٠ من هذه المقالات كان
ينبغى ألا يصل إلى المطبعة أساساً"؛ ويرجع "هاملتون" السبب فى تزايد هذه النسبة
من المقالات الافتتاحية عديمة القيمة؛ إلى إقتصاد "الفكر المنظم" فيها:
"Lack of disciplined thought".

وفى مقال عن صفحة الرأى فى النشرة الرسمية لجمعية الصحفيين تحت التمرين "The Quill"؛ قال أيضا و.ك. كيلسى W.K. Kelsey كاتب المقال الافتتاحى فى صحيفة "The Detroit News" : "فى الولايات المتحدة؛ "إن المقالات الافتتاحية فى اثنتى عشرة صحيفة؛ مفيدة للمجتمع؛ أما بقية الصحف فى الوسع الاستغناء عن مقالاتها دون أن يترتب على ذلك احساس قومى أو محلى بالخسارة!". ويرجع "كيلسى" السبب وراء ذلك، إلى حد كبير؛ إلى أن كتاب المقالات الرئيسية "يدركون أنهم غير أكفاء للقيام بالمسئوليات الملقاة على عواتقهم".

هذان الرأيان يتكاملان مع رأى "الحكيم"؛ و"قالبرى"؛ فى طرح سؤال أساسى؛ حول الأعمدة المخصصة للمقالات الافتتاحية والصحفية فى صنف اليوم: هل هناك ضرورة لها؟ أم أنه من الأفضل استخدامها فى مواد صحفية أخرى قد تكون أكثر لزوماً؟ بعبارة أخرى؛ هل أصبح المقال الصحفى؛ و "الافتتاحى" خاصةً يندرج فى باب "اللزوميات" على مذهب أبى العلاء : لزوم ما لا يلزم"!!..

يقول د. "سبنسر" M. Lyle Spencer :

"إن المقالات الافتتاحية فى صحفنا اليوم؛ إجمالاً، لها هدف؛ كما كانت دائماً؛ وهى أكثر صدقا، وعلى مستوى أخلاقى رفيع، وهى أكثر تحرراً من التحزب السياسى الضيق؛ ومن اللمز والتنايز بالألقاب والقدح الشخصى. ومع ذلك، فإنها، بالإضافة إلى الوظيفة التنفيذية والتعليمية؛ قد فقدت الكثير من جلالها ونفوذها فى الخمس والسبعين سنة الماضية. وهى لا تستخدم النفوذ الذى تحقق لها فى منتصف القرن التاسع عشر عندما كان "بريانت" Brgant و "بولز" Bowles و "رايموند" Raymond و "دانا" Dana و "جودكين" Godkin و "جريلى" Greely وغيرهم من ذلك العصر "البركلىسى" هم سادة الصحافة وسدنتها، حيث الموقع الممتاز للسلطة العليا؛ والقوة الدافعة الثابتة؛ التى تلهم عقول الناس؛ وتشحذ أفكارهم: هذه الأمور نفتقر إليها الآن؛ حيث هوت من المركز الأول الذى احتلته إبان الحرب الأهلية؛ إلى مركز ضعيف بعد هذه الحرب مباشرة؛ ربما يحتل الدرجة الثانية أو الثالثة".

ويشير الدكتور "سبنسر" هنا إلى العصر الذهبي للمقال الأمريكي بالعصر "البركليسي" Periclean Time؛ كإحالة مرجعية إلى "بركليسي" Pericles السياسي والحاكم والخطيب اليوناني الأثيني؛ الذي ولد في أثينا نحو سنة ٤٩٠ ق.م، في أسرة عرفت بالنبل والشرف، واشتهر أبوه في الحركات السياسية في أثينا، وكانت له اليد الطولى في انتصار اليونان على الفرس في وقعة "ميكالي" Mycale سنة ٤٧٠ ق.م. وتلقى بركليسي ثقافته عن مشهورى علماء عصره، فثقفه "دامون" Damon في الموسيقى، وعلمه "زينون" Zeno البلاغة والحوار والجدل، وكان للفيلسوف الكبير "انكسا جوراس" أثر كبير في عقليته، فأوعز إليه بكثير من الآراء القيمة، وبعث فيه النظر الهادئ إلى الأشياء حتى فى ألق الأوقات حرجا. وبدأ يشترك فى الأمور السياسية من سنة ٤٦٩، ولم يمض إلا قليل وقت حتى كان قائد الحزب الديمقراطي فى أثينا، ونازل الحزب الارستقراطي وعلى رأسه "كيمون" Cimon واستمر النزاع بينهما طويلا حتى انتهى بانتصار بركليسي واندصار كيمون ونفيه.

ومن ذلك الحين بدأ يحصر إدارة الاعمال فى يده، ويضع الخطط لإعلاء شأن أثينا وجعلها عاصمة اليونان، وضم المدن الأخرى المناوئة إليها وجعل أثينا مركزا للقوة السياسية، ومكن له من ذلك ما بذلته أثينا فى الحروب مع الفرس من تحملها أعظم المشاق وأكبر الضحايا، حتى تم لليونان الانتصار على الفرس فى الحرب؟، فمن ذلك الحين صار سكان الجزائر والمستعمرات يمدون يدهم لمخالفة أثينا، وقد نهض بركليسي بالبحرية، فكان كل سنة يرسل أسطولا مؤلفا من ستين قطعة لتجول مدة ثمانية أشهر فى بحر إيجه يتمرن فيه الأثينيون على الأعمال البحرية، وكان أسطولها القوى سببا فى عزة جانبها والاعتراف بسيادتها. ووضع الرسوم للأبنية العظيمة لتزيين أثينا وتقويتها، فأنشأ بها "الباريثتون" وهو هيكل من المرمر الأبيض تحيط به العمدة الضخمة مزينا بأدق النقوش، ولا تزال بقاياه فى المتحف البريطانى إلى الآن، وقد أعيد بناؤه حديثا فى أثينا على نحو ما أقامه بركليسي، وبنى "الأوديون" مسرحا للتمثيل ومثلت فيه روايات ألفها له سوفوكليس

ويوربيدس الروائيان المشهوران، إلى غير ذلك من الأعمال، حتى سمي هذا العصر المجيد "بعصر بركليسي"^(١).

هذا "العصر البركليسي" القديم؛ هو الذى يطلقه د. سبنسر؛ على عصر المقال الصحفى؛ الخطابى فى مرحلته الأولى؛ ذلك أن من أسباب نجاح "بركليسي" قديما قدرته الخطابية، إذ كان لسنا فصيحاً يخطب الجماهير فيستولى على مشاعرهم ويسحر عقولهم. وأصبحت السلطة كلها فى يده وتغلب على كثير من البلاد اليونانية التى كانت تتمتع بالاستقلال من قبله الأمر الذى أثار عوامل الحسد والغيرة لدى خصومه، فكانوا يطعنون فى سياسته، ويتهمونه بتبديد أموال الأمة، ويجرحون أصدقاءه.. وفى كثير من الأحيان كان ينال منهم وينتصر عليهم بقوة حجته وعجيب فصاحته ومهارة خطابته. فى العصر البركليسي للصحافة؛ نلتقى فى الصحافة الأمريكية بالكاتب الصحفى "بريانت" William Cullen Bryant الذى أجمع نقاد الصحافة على أنه كان "رجلاً فاضلاً وصحفيًا مرموقاً استحق عن جدارة احترام نيويورك، وكانت له شعبية ملحوظة، فاختر مراراً ليرأس الاجتماعات الوطنية التى تدرس مشاكل المدينة الهامة؛ وكان فضلاً عن ذلك أديباً وشاعراً، وله فى هذا الميدان ترجمة ممتعة لمحمية هوميروس؛ ودراسات أدبية أخرى، اعتز بها أبناء جيله من أدباء وصحفيين.

وفى عهد بريانت اهتمت جريدة الإيفنج بوست The Evening Post بالدعوة إلى تحسين المساكن، وانصببت هذه الدعوة على إنشاء البنايات الكبيرة العالية ذات الطوابق الشاهقة. كما كانت فى الجوانب الفكرية سوقاً للأدب الرفيع. أما فى شئون السياسة، فقد تمسكت إلى حد كبير باستقلالها فى الرأى وإن مالت إلى سياسة الجمهوريين، ومضى "بريانت" يوجه سياسة صحيفة "الإيفنج بوست" على هذا النحو أكثر من خمسين سنة، وكان فى سياسته بعيد النظر، وفى أسلوبه سهل التعبير، لا تعرف تعقيباته على الشئون العامة اللف والدوران.

(١) طه حسين وآخرون: التوجيه الأدبي، ص ٤٧.

ذلك أن صحافة الرأى، هى التى سادت الصحافة الامريكية حتى قامت الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب؛ على الرغم من نجاح "صحافة البنس". وكانت الفترة من ١٨٣٣ - ١٨٦٠ يسودها حكم الديموقراطيين، وكانت لهذا الحزب صحف أهمها "الإيفنج بوست" التى دافعت بشجاعة عن الطبقات الفقيرة ومصالح العمال، وهاجمت الاحتكارات والمضاريبات، وكان لحزب الجمهوريين صحفه، وإن لم تكن بالكثرة والقوة اللتين كانت لصحف الحزب الديمقراطى، وإن تميزت بالعنف فى جدالها مع خصيماتها.

وهنا نلتقى بكاتب صحفى آخر فى العصر "البركليسى" ونعنى "هوراس جريلى" Horace Greeley الذى أصدر فى ١٠ ابريل سنة ١٨٤١ جريدة "النيويورك تريبيون" New-York Tribune فى أربع صفحات، كل صفحة تضم خمسة أهر، وكانت جيدة التحرير، جيدة الطبع، وبعد ثلاثة أسابيع من صدورها كان توزيعها ٥٥٠٠ نسخة يوميا. وبعد سبعة أسابيع بلغ التوزيع أحد عشر ألفا. ومضى التزايد فى التوزيع عاما بعد عام حتى بلغ قبل الحرب الأهلية خمسا وأربعين ألف نسخة يوميا.

وكانت "التريبيون" فى أسلوبها غير عادية، وصفحاتها تحتوى على المحاضرات الأدبية والعلمية والاقتباسات من أحدث الكتب الانجليزية فضلا عن القصائد الشعرية. كما خصصت منذ سنة ١٨٥٦ نهراً لنقد الكتب وتحليلها، وكان هذا أمراً جديداً على الصحافة اليومية فى أمريكا، بل كان جديداً على كثير من صحافة دول العالم المتحضر، إذ لم يعرف فى صحيفة أخرى أنها تؤثر النقد الأدبى بنهر يومى مدى ثلاثين عاما دون أن يفوتها ذلك يوما من الأيام كما صنعت "النيويورك تريبيون".

وقد ترفعت صحيفة "التريبيون" عن المساهمة فى الفصول والابواب التى كانت تطرقها صحف البنس، صحيفة الأمر الذى جعلها صحيفة الخاصة والعقلاء، وقد أذاعت على قرائها أنها لا تسبغ التحقيقات الصحفية التى تكشف عن مخازى المجتمع وتقضح المواطنين، وتعلن عن الحياة المشينة لبعضهم، وأنها لن تنتشر

إعلاننا إلا إذا كان متجاوبا مع سياسة الجريدة حتى لا تزرى بصفحاتها كما يفعل غيرها من صحف البنس الكبيرة. يقول د. إبراهيم عبده "ولم ينعقد إجماع مؤرخى الصحافة على رأى حسن فى جريدة مثلما انعقد اجماعهم على تقدير التريبيون وصاحبها جريلى، فهى عند أحد المؤرخين "فى الصف الأول من أجهزة الرأى العام فى مهاجمة العبودية، وكانت كأحد قادة البلاد العظام، وكان الدور الذى قامت به فى هذا الشأن حتى صدر إعلان تحرير العبيد كأعظم دور لعبه سياسى بعد "نكولن". ولم يكن "جريلى" وحده فى مثاليته أو فى مبادئه الخلقية، فى العصر البركلىسى؛ وإنما حفلت صحافة الرأى فى هذا العصر بأسماء مثل "هنرى ريموند" Henry J. Raymond الذى كان صحفيا بالطبع والسليقة؛ وكان قد عمل فى "التريبيون" فترة من الزمان حاز فيها إعجاب محررها وتقديره، ثم مضى يعمل فى صحف أخرى كالمع ما يكون الصحفى فى العصر البركلىسى.

أصدر "ريموند" العدد الأول من جريدة "النويورك ديلى تايمز" New-York Daily Times أو "نويورك تايمز" كما عرفت بذلك بعد سنوات؛ وكان "هنرى ريموند" يرى أن للصحافة رسالة اجتماعية؛ ومن ثم أوجب على صحيفته أن تتمسك بالخلق القويم. لذلك لم يعرف عن صحيفة "التايمز" أنها لجأت إلى الاسفاف أو الهبوط بمستوى أسلوبها فى كلمة نابية أو بحث خارج أو موضوع مثير، بالرغم من شهرتها فى الجدل، ومساهماتها بالحملات الصحفية الناجحة فى كثير من الشئون^(١).

وحرصت صحف تلك الأيام على أن تخصص صفحة معينة لافتتاحياتها، وكانت الافتتاحية تستغرق فى الغالب من نهر إلى أربعة أنهر، يسبقها عمود للأخبار الهامة، وتضم بقية أعمدة الصفحة - مثلا - رسالة من واشنطن أو نقدا أو تحليلا للكتب الحديثة وغير ذلك، وكانت "افتتاحية" التريبيون نموذجا لافتتاحيات صحف تلك الفترة، وكان "جريلى" يخصص لصفحة الافتتاحية أحسن كتاب الجريدة.

(١) د. إبراهيم عبده : ص ١١٩.

فى مقابل هذه الصورة الأمريكية لازدهار المقال فى العصر "البركلىسى" نلتقى بصورة مماثلة من صورة الازدهار فى الصحافة العربية حيث يظهرنا تاريخ الصحافة المصرية على أن طبيعة المقال تستلزم بيئة مناسبة للنمو والازدهار. ويظهرنا التطور المقالى على أن البيئة الأولى التى ولد فيها المقال على أيدى رفاة الطهطاوى وعبد الله أبو السعود وميخائيل عبد السيد، وغيرهم، كان قصارها أن حاولت إنشاء ما يسمى بـ "المقال الصحفى". ذلك أنها مقيدة فى هذه المحاولة بقيود كثيرة^(١) كان معظمها نتيجة للظروف السياسية الاجتماعية والفكرية التى اكتتفت رجال تلك البيئة وفرضت على المقال الناشئ صبغة "علمية أدبية، أكثر منها سياسية واجتماعية" من حيث الموضوع. أما من حيث الأسلوب فقد كان كتاب البيئة الأولى مقيدين كذلك بقيود تقليدية من الماضى القريب، أورثت لغة المقال لوناً باهتاً من ألوان النثر العربى لم يكن خليقاً أن يُحتذى، ولا كان جديراً بأن يُنسج على منواله.. ولكن البيئة الصحفية الثانية لم تلبث أن سئمت هذا اللون الباهت، فنعم فيها المقال بقسط من الحرية فى الموضوع ومن الحرية فى الأسلوب، نتيجة اتجاهها إلى لون آخر من ألوان الجهاد القومى، فاتجهت إلى الإصلاح الاجتماعى والسياسى واللغوى. على أن المقال الصحفى فى هذه البيئة لم يبرأ من عيوب المقال فى البيئة الأولى، حيث لم يستطع كتابه أن يترسموا فى أذهانهم صورة صحيحة للمقال الصحفى كما يفهم من هذه الكلمة عند إطلاقها اليوم. وإن كان هؤلاء الكتاب قد مهدوا لإبراز الفرق بين لغة الأكب ولغة الصحف عند كتاب البيئة الصحفية الثالثة التى ترتبط بظهور الصحافة اليومية.

وهى البيئة التى ولد فيها المقال الصحفى على يد السيد على يوسف صاحب "المؤيد" ولطفى السيد فى "الجريدة" ومصطفى كامل فى "اللواء" وفريد وجدى فى "النسور". وكانت هذه البيئة مناسبة لنمو المقال الصحفى وازدهاره، لما اتصفت به من مقاومة للاحتلال البريطانى، ونشاط العقول والأقلام فى هذه المقاومة، فامتاز بالجدّة فى الأسلوب السياسى كما امتاز بالجدّة فى التفكير السياسى^(٢). وفى هذه

(١) د. عبد اللطيف حمزة: لب المقالة ج ١.

(٢) د. عبد اللطيف حمزة: لب المقالة ج ٢ ص ١٢٢، ٤.

البيئة الثالثة وجد الشبان من المجتدين أسانذة لهم مهدوا للمفهوم المقالى الجديد، ووضعوا الثقافة العربية على بداية مرحلة عنيفة من صراع الأضداد، وذهب أبناء هذه المدرسة إلى تنمية الاتجاه العقلانى الذى أرساه الجيل السابق من كتاب البيئة الصحفية الثالثة^(١).

نخلص مما تقدم إلى أن البيئة الصحفية الثالثة هى التى وضعت المقال الصحفى على بداية مرحلة جديدة من لقاء الأصالة والمعاصرة، حيث تمثلت التيارين: القديم برأيه: المصرى والعربى، والحديث: الوافد من الغرب.. ولعل صفة البقاء والاستمرار التى عرفها المؤرخون عن تطور التاريخ فى مصر والتى نسبها "أرنولد توينبى" إلى اقترانها بعملية "التغيير والتجديد"، هى فى الحقيقة أكثر اقترانا بعناصر الأصالة وعناصر التجديد؛ من خلال وحدة الشعور التى وسمت البيئة المصرية بالبقاء والاستمرار. ولعل استقراء "لوبون" للحضارة المصرية جاء صدق استقراء لحقيقة القوى الواقعة فى البيئة المصرية، إذ يرى "مصر الفرعونية حية فى مصر العربية باقية فى مصرنا الحاضرة". وفى ذلك ما يبين عمق العوامل النفسية التى وجهت المقال المصرى الحديث، حيث برهنت مصر طوال تاريخها على قدرة فذة على الاستجابة. وهذا هو "السِر فى بقائها واستمرارها وتجديدها. إلا أنها فى استجابتها، شأنها فى ذلك شأن الأمم العريقة، لا تخلو من حوافز المقاومة المرنة، حتى لتضفى على الاستجابة، تلك الحيوية التى تتمثل الجديد وتصبهه فى قديمها ليكون الناتج "قوة جديدة تدفع بها إلى الأمام"^(٢). ولعل فى ذلك ما يفسر الصراع بين القديم والجديد، بين التقليديين والتجديديين فى عصر النهضة الصحفية، كلون من ألوان المقاومة المرتبطة بالاستجابة للجديد، الأمر الذى أكسب المقال والفنون الأخرى، قوة بقيت على الأيام.

(١) د. عبد العزيز شرف: عصر العقاد؛ مؤسسة مختار.

(٢) د. حسين فوزى النجار: لطفى السيد والشخصية المصرية ص ٥٢، ٥٣.

وكذلك يرى الدارسون أن من أسباب ظهور فن المقال الصحفي فى مصر، ملائمة البيئة الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية لطبيعة فن المقال نفسه، وهى البيئة التى شهدت ظهور رأى العام المصرى وتكوّنه من خلال الصحافة والتعليم، والرغبة فى التغيير السياسى والاجتماعى. تلك هى العوامل التى هيات لظهور فن المقال الصحفي لأنه بطبيعته "فن حضارى يزهر فى بيئة الفكر والعلم والنهضة والتفكير"^(١). كما ازدهرت الخطابة فى العصر البركلىسى القديم، وكما رأينا فى تمثّل النهضة الصحفية لهذا العصر؛ فى الغرب والشرق؛ إذ كانت الخطابة السياسية مصدراً عظيماً لاطلاع الرأى العام على ما يعرض للدولة من شئون؛ وعلى وجهات النظر المختلفة فى الموضوعات التى تثار.

واستمرت هذه الوظيفة طريق صحافة الرأى التى حوّلت وسليتها من كلمة منطوقة إلى كلمة مطبوعة؛ وشهدت صحافة الرأى فرسانا من فرسان المقال؛ نستقري إبداعهم؛ فى محاولة لدراسة الأسس الفنية للمقال الصحفي؛ وأشكاله وأساليبه. من أجل هذا نقدم هذا الكتاب ليتّمم عمل سابقه: أدب المقالة^(٢) كما يتمّ ودراساتنا فى هذا الفن الألبى؛^(٣) فى مواضع أخرى. ونسأل الله العون والتوفيق؛ فجلّ من لا يخطئ تحيزاً أو قصوراً فى عالم البشر.

عبد العزيز شرف.

(١) د. إبراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفي، ص ٢٥٧.

(٢) د. عبد العزيز شرف: أدب المقالة؛ بسلسلة أدبيات بالونجمان.

(٣) انظر للمؤلف: فن المقال الصحفي فى أدب طه حسين، هيئة الكتاب، فن المقال الصحفي فى أدب محمد حسين هيكل، هيئة الكتاب، والجزء التاسع من سلسلة أدب المقالة الصحفية فى مصر بالاشتراك مع استاذنا د. عبد اللطيف حمزة رحمة الله.

الفصل الأول

أدب المقالة

وفن المقال الصحفي

وجد هذا الفن القولى: "المقالة Essai : Essay" ليندل على صورة من صور الأدب المنشور، وهى صورة تتغيًا الإخبار، أو التفسير، فى إطار المفهوم الفنى، الذى يشمل الجانب الجمالى بطبيعة الحال. ويذهب النقاد الانجليز إلى أن المقالة قد ولدت مع "فرانسيس بيكون" Francois Bacon الذى عاش بين ١٥٦١ و١٦٢٦م. ولكنها خلال القرون الثلاثة بعد وفاته مرت بمراحل طورتها، وجبته ما باعد عنها كثيرا من عناصرها التى عرفت عند نشأتها. وبقيت بعض صفاتها التى توجب أن تكون نثرا لا شعرا، بغض النظر عن المجموعة الشعرية التى كتبها الشاعر الإنجليزى بوب Pope وعنوانها، "مقالة فى الإنسان" Essay On Man إذ أن هذا الاستثناء لا يؤثر على الصفة الأصلية التى تربط بين "المقال" و "القول" و "فن النثر".

ويرى القارئ فى كتابنا عن: أدب المقالة " (١) أن "فن المقال" قد عرفه العرب تحت مسميات شتى منها: الرسائل والمقامات والفصول، قبل ظهور مقالات "بيكون" الإنجليزى، بل وقبل ظهور مقالات سابقه فى الأدب الفرنسى "مونتاني" إمام هذا الفن غير مدافع بين الأوربيين، حين ظهر هذا الفن لأول مرة فى فرنسا سنة ١٥٧١ ثم ظهر بعد ذلك ببضع عشرة سنة فى كتابات "فرانسيس بيكون" الحكيم الانجليزى المشهور، ثم أصبحت المقالة منذ ذلك الحين فنا إنجليزيا شائعا بين قراء الإنجليزية مع سبق الفرنسيين إليه.

وقد سمي "مونتاني" مقالاته "بالمحاولات Essais" كأنه يعتذر من ترسله فيها بغير تقيّد بموضوع واحد أو تعمق فى التفكير، وكانت "المحاولة" فى اصطلاح

(١) فى سلسلة "أدبيات" مؤسسة لوجمان

الفنانين هي: معالجة صنع التمثال من مادة رخوة كالشمع وما إليه قبل صَبِّه في قوالب النحاس أو نحته من الرخام، فأراد "مونتاني" بمقالاته أن تكون "محاولات" رخوة من هذا القبيل، وقصرها على الأحاديث المستخفة والتجارب الشخصية التي يتناجى بها الإخوان في ساعات السمر وتزجية الفراغ.

فلما تناول "بيكون" الكتابة المقالية أقل فيها من الناحية الشخصية وزاد فيها من الناحية الدراسية فأصبحت مقالاته أقرب إلى التركيز والإدماج منها إلى التبسط والفكاهة، ولقيت مع ذلك رواجاً أى رواج.

ولذلك يضاف إلى شرط "النثر" في لغة المقالة، شرط آخر هو شرط التركيز والإيجاز، الذي لا يدعو إلى الخروج على المؤلف كما في مقالات "بيكون" التي كتبها أوائل حياته، وألا تكون معنونة في الطول شأن البحوث المسهبة، فليس المقال "بحثاً علمياً، أو فصلاً من فصول كتاب أدبي أو علمي ولا قصة ولا محاضرة من المحاضرات المنظمة ولا دراسة مرتبة ترتيباً منطقياً، وإنما المقال فكرة يتلقفها الكاتب من البيئة المحيطة به، ويتأثر بها وفي هذا الجو الوجداني يعبر الكاتب عن الفكرة بطريقة ما، حظها من النظام قليل، وحاجتها إلى الترتيب والتمحيص والتدقيق أقل، ذلك أن الكاتب لا يقصد إلى التعبير بالمنطق الشكلي الجامد، وإنما بالمنطق النفسي الإنساني. فالمقال حديث بوشك أن يكون عادياً، يعرض الكاتب فيه على قرائه فكرة أو اتجاهها، كما يعرض لموضوع من الموضوعات التي يُزجى بها وقت الفراغ مع بعض الجلساء^(١).

ويذهب العقاد إلى أن "المقالة" ينبغي أن تكون مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل، فكل مقالة في موضوع ما، هي كتاب صغير يشتمل على النواة التي تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار.

وكلمة Essais التي أطلقها "مونتاني" على كتابه؛ معناها: "محاولات" أو "تجارب" - كما تقدم - وكأنه كان يحس أنه يكتب فناً جديداً من فنون الأدب

(١) د. إبراهيم إمام: السابق، ص ١٨٠.

على سبيل المحاولة أو "التجربة"، وانتقلت هذه الكلمة إلى الإنجليزية وشاع استعمالها بمعنى المقالة الأدبية، كذلك استخدم بعض الكتاب كلمة Essay بمعنى بحث أو رسالة علمية. ولكن هذه الاستعمالات، كما تقدم، لا تتفق وطبيعة هذا الفن الأدبي، ولذلك استقر الاصطلاح على أن تكون كلمة Essay مقصورة على القطعة من النثر الأدبي تعالج موضوعا خاصا بالكتاب، مما مارسه أو خطر له، أو توهمه أو ابتدعه. أى أن العنصر الشخصى ركن أساسى من أركانها، يمثل الصفة الثالثة من صفات هذا الفن الأدبي، كم فعل "مونتاني" تماما. إذ قسم كتابه على فصول، كل واحد منها مستقل بنفسه، يعالج موضوعا مستقلا. جلّ موضوعاته دراسات لتجاربه وآرائه وخواطر نفسه وأسلوب معيشته.

وبنتابع الكتاب، تطوّر فن المقالة فأصبحت تعالج أى موضوع ينبعث من نفسية الكاتب ومن تجاربه فى الحياة، أو من إحساسه ومشاعره.. ومعنى هذا أن الموضوع قد اتسعت حدوده وآفاقه إلى أبعد مدى.

ويوضح لنا د. محمد عوض محمد كيف وجد الكثير من الكتاب أن أدب "المقالة"، أداة نافعة للتعبير عن نزعاتهم الخاصة، فانصرفوا بمقالاتهم إلى وجهات متعددة: منهم من اتجه وجهة الوعظ والإرشاد والتحدث عن الأدب والأخلاق: وهؤلاء الكتاب الذين يسمون: الأخلاقيين Moralistes منهم "بيكون"، ومنهم كاتب الأمثال : "لارشفوكو" La Rochefoucauld و"لابرويير" La Bruyere مؤلف كتاب "الأخلاق".

ومن الاتجاهات الهامة للمقالة: وجهة النقد الأدبي، فعلى الرغم من أن "النقد الأدبي" فرع مستقل من فروع الأدب. فقد ظهر أدباء استخدموا المقالة كأداة للتحدث عن أدب أو كاتب بعينه، وأنتجوا فى ذلك مقالات أدبية رائعة، ومن أشهر هؤلاء "سانت بييف" Sainte Beuve الفرنسى، و"ماكولى" الانجليزى.

وبعض النقاد يفضلون أن يضعوا الأخلاقيين مع الكتاب من ذوى النزعة الفلسفية، وأن يضعوا النقاد فى فرع النقد، ولا يرضون أن يحشروهم فى زمرة الكتاب للمقالة الأدبية، فلا يدخل فى باب المقالة الأدبية فى نظرهم سوى القطع من

النثر المبتكر فى موضوع مبتكر، يعبر عن إحساس الكاتب نحو ذلك الموضوع؛
فالعنصر الشخصى كبير الخطر فى مثل هذا التأليف.

يذكر قاموس: Littre؛ فى تعريف كلمة مقال Essai أنه: تأليف يعالج فيه
الكاتب موضوعا دون أن يزعم أنه سيكتلى فيه برأى قاطع. وفى دائرة المعارف
البريطانية فى تعريف المقالة الأدبية، تحت كلمة Essay نقرا: "المقالة الأدبية
عبارة عن قطعة مؤلفة متوسطة الطول، وتكون عادة منشورة فى أسلوب يمتاز
بالسهولة والاستقرار، وتعالج موضوعا من الموضوعات، ولكنها تعالجه - على
وجه الخصوص - من ناحية تأثر الكاتب به". ويرى الأستاذ "سوارس" فى كتابه
"مقدمة لدراسة الأدب"، أن المقالات قسمان:

الأول: قطع إنشائية فى موضوع من موضوعات العلم أو الفلسفة أو التاريخ
أو النقد وغرضها الأول عرض طائفة من "المعلومات"، ومثل هذه المقالات قابلة
لأن تكبر حتى تصبح "بحوثا".

الثانى: عبارة عن قطع قصيرة، فى أسلوب استطرادى، تشتمل على وجهة
نظر الكاتب، فى محاولة منه أن يسجل الآراء التى يثيرها الموضوع فى فكره.
والموضوعات لا تقع تحت حصر، ولكنها يجب أن تصطبغ بانفعالات المؤلف
وشخصيته. ولعل مقالات "شارلس لامب" المسماة مقالات إيليا Essays Of Elia
خير مثال لهذا النمط من المقالات. والمقالات التى من هذا النوع لا يمكن أن تكبر
لتصبح بحوثا. إنها قطع كاملة بنفسها.

ويقول هيرودوتس: "إن المقالة الأدبية" تشبه القصيدة من الشعر الغنائى
Lyric بأنها مبنية حول خاطر من الخواطر. لا يكاد خاطر أن يتكون ويملك لب
الكاتب أو حتى تتكون حوله المقالة من أولها لآخرها، كما تتكون كرة الحرير
حول دودة القز.

ويذكر الكاتب آرثر بنسن Artur Christopher Benson يذكر لنا قصة طريفة تروى أن أحد النقاشين قد تخصص في نقش اللوحات واللافتات على الدكاكين والمطاعم ونحو ذلك، وكان يمارس حرفته وهو يتجول من مكان إلى آخر، حتى أوصله السير يوماً إلى قرية بها فندق صغير أو خان، يعرفه منذ زمن، وقد راقب لوحته في الأشهر الماضية، وقد أخذت تتلاشى خطوطها ومعالمها، وكان يُمنى النفس بالفرصة التي تسنح له قريباً، لكي ينقشها من جديد نقشا فنياً بديعاً. ولكنه لم يكد يراها حتى أحس بأشمزاز شديد إذ رآها قد أعيد نقشها حديثاً، وقد وقف صاحب الخان لدى الباب، كأنه ينتظر منه أن يمدح إنتاجه الفني، فقال له النقاش: "يبدو أن هذا صنع شخص قام به لنفسه".

هذه الجملة تحمل مفتاح السر في كتابة المقالة، إذ المقالة الأدبية شئ يصنعه الكاتب بنفسه. والعبرة ليست بالموضوع - لأن أى موضوع يفى بالغرض - بل العبرة بسحر الشخصية: إن المقالة قد تكور حول شئ مما أبصره المؤلف أو سمعه أو تصوره أو اخترعه أو توهمه. ولكن المهم أن يكون قد ترك في نفس الكاتب أثراً خاصاً، تكونت في ذهنه منه صورة خاصة. ويتوقف جمال المقالة على جمال الفكر الذى تصوّر، ثم تسجيل ما تصوّر. ويبدو من هذا أنه ليس من المستلزمات أن تعنى المقالة بشئ محدود، وليس من الضروري أن تتجه وجهة فلسفية أو دينية أو فكاكية، وإن كانت هذه الإتجاهات ليست مستبعدة. وإنما العبرة بأن يحس الكاتب إحساساً قوياً بموضوعه، وأن يعبر عنه بعبارة قوية رائعة^(١).

ثم ينتقل إلى الحديث عن نشأة المقالة. فيقول: "من المفروض عند الكثيرين أن "مونتاني" أول كاتب ألف ما نسميه مقالات، بالاصطلاح الفني، وكانت القطع التى ألفها، إما تتناول موضوعات من حياته أو من تأملاته؛ ولها نزعة أدبية أو خلقية في كثير من الأحيان.. ولكن أصول هذا الفن ترجع إلى عصر قديم في تاريخه الأدبي. وقد كان بلا شك مديناً "لشيشرون"، الذى كان يعالج موضوعات

(١) د. محمد عوض محمد: السابق ص ٦٠.

مجردة، بأسلوب سهل وخيال هادئ، و"شيشرون" نفسه كان مدينا "أفلاطون" الذى اشتملت محاوراته على البنور. التى تولدت منها المقالة والرواية، فقد استطاع أن يجعل من الحياة مسرحاً، ويملأه بشخصيات ممثلة ذكاء وحيوية، وكان يعرض الموضوعات عرضاً أقرب إلى شئون الحياة عامة؛ منه إلى الفلسفة. ومن الممكن أن تعد محاورات أفلاطون، بمثابة مقالات، لولا لونها المسرحى، وما يستتبع ذلك من الحوار والأخذ والرد. بينما المقالة هى "تطق المتحدث لنفسه".

ثم يخلص إلى أن المقالة تعبير عن إحساس شخصى، أو أثر فى النفس، أحدثه شئ غريب أو جميل، أو مثير للاهتمام، أو شائق أو يبعث الفكاهة والتسلية. وهكذا تكون المقالة قريبة الصلة بالقصيدة من الشعر الغنائى. ولكنها تمتاز بما يتيح النثر من الحرية، وباتساع الأفق، وبمقدرتها على أن تتناول جوانب يتحاماها الشعر مثل الفكاهة. فالفكاهة لا تليق بالفن الشعرى، لأن الشعر يتطلب نزعات قسرية جديّة.

ومع أن الكاتب هنا يتناسى فن الهجاء والسخرية فى الشعر فإنه على حق فى اعتبار أن المجال لمعالجة الموضوعات معالجة فكاكية أوسع بكثير فى المقالة الأدبية منه فى القصيدة الغنائية.

وإذا كان المقال الأدبى أسبق من المقال الصحفى لارتباطه بوسيلة الاتصال التى جعلته وليداً لنهضة "الكتاب" كوسيلة للاتصال سائدة فى عصره، فإن هذا الأمر جعل المقال الأدبى يكتسب من هذه الوسيلة خصائص أدبية، دفعت بمريديه إلى أن ينظروا إليه كأثر أدبى يناظر القصيدة الغنائية، بعيداً عن "الإخبار الحرفى الصادق"، واكتشاف الأخطاء من بين الحسنات، "حيث كل شئ يجب أن يكون لصالحنا ومنفعتنا أبداً الدهر أكثر مما يسوقه عدد مارس من المجلة الشهرية" أونصف الشهرية، على حد تعبير "فرجينيا وولف" VIRGINIA WOOLF، وهى تريد بذلك أن الفائدة التى تعود علينا من قراءة المقال يجب أن تكون دائمة وليست فائدة وقتية. فالمقال الأدبى، لا يختص بفترة من الزمن كموضوعات المجلة نصف

الشهرية التي تهتم بالأحداث تدور وتقع خلال فترة ظهورها وما تلبث أن وتختفي تلك الأحداث وتصبح غير ذات موضوع وتحتجب وراء ما يجد من حواشي وأخبار تالية.

فلا مجال في المقال الأدبي للأدب الفاضح، وبطريقة أو بأخرى، وبقوة الجهد أو بسخاء الطبيعة، أو بهما ممتزجين، يجب على المقال الأدبي أن يكون خالصاً نقياً كالماء القراح، وفي الوقت نفسه يظل بعيداً عن السخف والموت ورواسب الغريب من الأمور.

على أن التمييز بين المقال الأدبي والمقال الصحفي تأسيساً على الموضوع لا يكفي لتحديد ماهية كل فن منهما، إذ المعاني كما قال الجاحظ قديماً: على قارعة الطريق. إن قيمة البيان في رأي الجاحظ - إنما ترجع إلى إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولة المخرج، وإلى صحة الطبع، وجودة السبك، لأن الأدب أو الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير، أما المعاني فإنها في نظره - مطروحة في الطريق، يعرفها العربي والعجمي، والبدوي والقروي.

وهذا الرأي يدل على مذهب من المذاهب، كان الجاحظ أول من نادى به في نقد الأدب العربي، وهو مذهب الصناعة، والافتتان في الصياغة، نستند إليه اليوم في التمييز بين المقال الأدبي والمقال الصحفي. فالنظرة إلى المقال الأدبي تأسيساً على هذا الفهم ينبغي أن تتوجه إلى مقدار ما حوى من آثار الصناعة من جودة التشبيه وحسن الاستعارة وابتكار الصورة التي يتميز صاحبها على غيره من الأدباء بمقدار ما تألق فيها، وبمقدار ما غالى في إبراز الفكرة على هيئة تغاير ما عرف الناس.

في حين يغدو المقال الصحفي مقالاً وظيفياً، ويختلف عن فن المقال الأدبي اختلافاً جوهرياً، من حيث الوظيفة والأسلوب فمن الثابت أن المقال الأدبي يهدف إلى أغراض جمالية، ويتوخى درجة عالية من جمال التعبير، كما يتوخاها الأديب الذي يرى الجمال غاية في ذاته؛ وغرضاً يسعى إلى تحقيقه^(١) وهو بذلك يوظف

(١) د. إبراهيم امم: السابق، ص ١٨٢.

الصنعة فى إطار ما يشاع عن خلود الأدب، وفى سهولة روايته، وقرأته فى أى زمان ومكان، ولا يعنى ذلك أنه يفضل المعانى، ولكنه يقوم على أساس من الفهم البلاغى لعلاقة اللفظ بالمعنى، فإذا اكتسب المعنى لفظاً حسناً، وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً، ومنحه الكاتب دلالة، صار فى قلبك أحلى - كما يقول الجاحظ - فالمعانى إذا كُسيَت الألفاظ الكريمة، وأكسبت الأوصاف الرفيعة، تحولت فى العيون على مقادير صورها، وأرُبت على حقائق أقدارها، بقدر ما زينت وحسب ما زخرفت، فقد صارت الألفاظ فى معانى المعارض، وصارت المعانى فى معنى الجوارى^(١).

أما المقال الصحفى فإنه يهدف أساساً إلى التعبير عن أمور اجتماعية وأفكار عملية، بُغية نقدها أو تحبيذها. وهو على كل حال يرمى إلى التعبير الواضح عن فكرة بعينها. وكان الوظيفة الاجتماعية الفكرية فى المقال الصحفى تتقدم على أية ناحية أخرى، كالمثقة الفنية^(٢) مثلاً.

فإذا كان المقال الأدبى يتناول أحياناً موضوعات اجتماعية أو سياسية، فإنه متأثر فى ذلك بالمقال الصحفى. على أن هذه الموضوعات فى المقال الأدبى لا تخرج عن كونها نقطة "لارتكاز"، ينفذ منها الكاتب نحو هدفه الأسمى، وهو التأثير الجمالى. والمقال الصحفى قد يكون جميلاً - وهنا أيضاً يبدو تأثره بالمقال الأدبى واضحاً - إلا أن هدفه الأول ليس جمالياً خالصاً، وإنما هو بالدرجة الأولى اجتماعى "فكرى".

إن ما ذكرناه عن الوظيفة فى المقال، يصدق على الأسلوب، فالذى يحدد أسلوب الفن الأدبى مقالاً صحفياً أو أدبياً عناصر ثلاثة: استخدام الفن المقالى لألفاظ معينة تميزه عن سواه من فنون المقال، ثم إتباعه لطريقة معينة خاصة به فى ترتيب هذه الألفاظ، ثم معالجة موضوعاته على نحو ينفرد به. وهذا العنصر الثالث من العناصر المكونة للأسلوب، إنما هو فى الحقيقة نتيجة تنفرع عن

(١) البيان والتبيين: ج ١ / ٢٤.

(٢) د. إبراهيم إمام: السابق، ص ٢٩٤.

العنصرين الأولين، فيستطيع الكاتب المقالى مثلا أن يعالج موضوعه بطريقة تقنع العقل بمنطقها، إذا هو استخدم ألفاظه ورتبها فى الجُمْل على النحو الذى يحدث صداه فى العقل لا فى القلب، كما يستطيع الكاتب المقالى أن يزيد فى إنشائه من الألفاظ المشحونة بالعاطفة ويرتبها ترتيبا من شأنه أن يحرك الشعور، فيتغير أسلوبه جملة واحدة، ويصبح أسلوبا عاطفيا، وكأنَّ الفرق بين أسلوب وأسلوب هو فى الألفاظ المختارة وفى الطريقة التى تساق بها هذه الألفاظ. وهذا صحيح فى المقال الصحفى، والمقال العلمى .. والفرق بين فن مقالى وآخر إنما يقوم على هذا الأساس.

والمقالة أنواع كثيرة تبعا لمادتها وأسلوبها، أهمها: المقالة التقليدية أو الرسمية، والمقالة غير التقليدية : الذاتية أو الحرة: Formal and informal Essay وليس من السهل "وضع مميزات خاصة لكل منهما تميز الواحدة عن الأخرى. على أن المقالة غير التقليدية تكون بسيطة سهلة المادة فيها شئ من التنويع بين الهزل والجد والاستطراد" (١).

وقد اصطلح على المقالات التى تتعلق بالتجارب الشخصية وتعتمد على نفسية كاتب المقالة اسم المقالة "الشخصية Personal"، وهى تمثل طريقة أسلوب السيرة الشخصية فى الأدب الاعترافى.

وقد تستعمل صفات أخرى للتمييز بين المقالات، فيقال مقالة اجتماعية أو نقدية أو خلقية.

وقد كان للمقالات الخلقية التى كتبها أنيسون Addison وستيل Steele فى مجلتيهما الأسبوعيتين Tatler (١٧٠٩ - ١٧١١) و Spectator (١٧١١-١٧١٢) أثر كبير فى النقد الأدبى، فصارت نموذجا للمقالة النقدية البسيطة، ونهيا لها أن تنتعش انتعاشا كبيرا فى عصر "جونسون" و "جولد سميث". وكان للحركة الرومانسية أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير فى إنعاش "المقالات الشخصية"

(١) د. ناصر الحانى: المصطلح فى الأدب الغربى، ص ١٥٣.

التي ظهر منها في هذه الفترة سيل فن الكتاب مشاهير أمثال "تشارلس لامب" (١٧٧٥-١٨٣٤) "ووليم هازلويت" (١٧٧٨-١٨٣٤). وكان لنشأة الصحافة أثر كبير في استقرار المقالة في مكانها الذي لا يُغنى عنه نوع آخر من أنواع الكتابة الوجيزة، بعد أن كانت محاولة مترددة بين القبول والإهمال.

أما موضوعات المقالات فقد تنوعت على حسب الصحف والمجلات، فما كان منها للتسلية والقراءة العامة، نراها تلتزم طريقة مونتاني وتابعيه، وما كان منها للدرس والقراءة الخاصة، فقد غلبت عليه صبغة الجدّ والإثقان. وقيل في تعريف النمط الأول إنه أشبه شيء بحديث شخصي تفاجئه على غير انتظار. فهو مزاج من التفتح والحيطة العارضة على مسمع من المترقبين المتطلعين. وقيل في تعريف النمط الآخر إنه درس يلاحظ فيه تلخيص المطولات وتقريب المتفرقات، وقد يبلغ الغاية من التركيز والإمماج^(١).

المقال الصحفي:

ويقتضينا السياق المنطقي أن نناقش مفهوم المقال الصحفي على النحو الذي أدت إليه المؤثرات الثقافية الغربية في الحياة العربية؛ لنتبين مكانه من الحضارة الصحفية من جهة، ومكانه في الأدب العربي الحديث من جهة أخرى، ذلك أن لفظ المقال Essay يدل في الأصل كما تقدم على "المحاولة" أو "الخبرة" أو "التطبيق المبدئي" أو "التجربة الأولية". وفي هذا المفهوم مشابهاً من حيث البيئة التي بلورته على هذا النحو، والبيئة العربية التي عرف فيها المفهوم الصحيح لهذه الكلمة، فالمقال ولبد روح التجربة في عصر النهضة، والعناية بالخبرة الإنسانية، والاهتمام برأى الفرد، والإيمان بقدرته. وهناك تطابق بين طبيعة فن المقال، وروح عصر النهضة: ذلك أن المقال محاولة لاختبار فكرة من الأفكار، أو لتدبر رأى من الآراء، أو لتأمل اتجاه من الاتجاهات النفسية، والتعبير عنها بأسلوب سلس جذاب^(٢).

(١) العقاد: يسألونك، ص ٦.

(٢) د. إبراهيم إمام: دراسات في الفن الصحفي، ص ١٨٠.

ولم تلبث الصحافة أن تلقت فن المقال الأدبي، واستثمرته كقالب جديد تصوغ فيه الأفكار، وتتخذ منه سلاحا ماضيا للنقد والتعقيب، وأداة فعالة للتوجيه والارشاد. وقد يقصد بها الإخبار أو الإعلام. كما نجد في مقالات النقد العرضي، والمقال النقدي الذي يشبه عند هارنجتون Harrington ومارتن Martin. المقال السياسي؛ حين يتخذ موضوعا يدور حوله الجدل والحوار، حتى لنسميه.. بالمقال الحوارى.. أو الجدلى، عندما يتساوى الاهتمام بين الحقائق والاستدلالات. وقد تلقت الصحافة المصرية والعربية هذه الفنون الجديدة للمقال الأدبي، فوجدنا من كتابها المتقدمين: محمد السباعي تلميذ "لى هنت Leigh Hunt" فى فن المقالة على أسلوب المدرسة الإنجليزية، وهو رائد هذا الفن فى التحرير الصحفى، نذكر من مقالاته فى كتاب "الصور" مقالة عن "الكاكين" وهى على نهج مقالة "لى هنت" بعنوان On Shopping وكان إبراهيم عبد القادر المازنى يقتدى به فى فن المقالة كذلك. الأمر الذى يجعلنا ننظر إلى مدرسة المقال الأدبي فى عصر النهضة على أنها قد أضافت قوة جديدة إلى فن المقال بمعناه العام فى الصحافة العربية، فتتوعد فنون المقال الأدبي وصار منها على سبيل المثال - المقال الوصفى والعرضى والمقال النزالى، والمقال النقدي، والمقال الكاريكاتورى، والمقال القصصى...، وأبت الصحافة إلى تنوع المقال العلمى؛ كذلك؛ باختلاف المادة العلمية التى يخوض فيها الكاتب، وتوجه المقال إلى تبسيط العلوم لجمهور القارئين.

أما المقال الصحفى فقد تنوعت موضوعاته وأشكاله، فلم يعد "المقال السياسى هو النوع الوحيد من المقالات الصحفية التى تهتم بها الصحافة. وإذا كان ذلك صحيحا بالنسبة للصحافة القديمة فإنه غير صحيح بالنسبة للصحافة الحديثة التى أصبحت موضوعية فى اهتماماتها؛ فأصبحت مقالاتها، تعنى بالاقتصاد والاجتماع والفن والأدب والرياضة والثقافة جميعا" "ذلك أن المقال الصحفى يشق موضوعاته من الحياة الواقعية، ويشق لغته كذلك من نفس تلك الحياة الواقعية، كما أنه يكتب باللغة التى يفهمها أكبر عدد من أفراد الشعب على اختلاف أذواقهم أو أفهامهم أو بيئتهم أو ثقافتهم. وهذه اللغة هى اللغة القومية فى صورتها العملية

التي تمتاز بالبساطة والوضوح والإيناس واللفظ والرشاقة، وتتأى ما أمكن عن صفات التعالى على القراء والتعتر أو الغرابة فى الأسلوب والمبالغة فى التعمق الذى لا تقبله طبعة الصحف بحال ما.

فى مواجهة هذه الوظيفة الاجتماعية العملية اتخذ المقال الصحفى أشكالاً جديدة منها: المقال الافتتاحى أو المقال الرئيسى، والعمود الصحفى، ومقالات اليوميات، والتقرير بأشكاله المختلفة، وذهب المقال الصحفى بهذه الفنون يعالج "السياسة والحياة اليومية ويتعرض لبعض شئون الاجتماع، وقليل منه كان يفرغ للأدب الخاص فراغا تاماً"^(١)، وكان للصحافة المعارضة فضل ظهور فن المقال النزالى على الصعيد الأدبى أولاً؛ ثم على الصعيد السياسى فيما بعد.

(١) د. عبد العزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة، هيئة الكتاب.

الفصل الثانى

المقال الصحفى

و"التعادلية" الوظيفية

تحرير المقال الصحفى حرفة وفن فى وقت واحد. وتعلم الحرفة أمر ميسور؛ شأن كل الحرف التى تدرس وتعلم؛ ولكن الفن تكتسب أساسياته فقط؛ ويبقى له مايولد مع الفرد من هبات إلهية.

وتأسيسا على هذا الفهم؛ فإن هذا الكتاب يدرس المقال الصحفى فى إطار الأسس الفنية للتحرير الصحفى^(١)؛ بهدف توجيه الكاتب المبتدئ إلى العناصر العملية؛ والأدوات التى تيسر له تعلم أسس تحرير المقال الصحفى. ولا يدعى كتابنا أكثر من ذلك؛ تاركا التفوق والإجادة لما يتسم به الكاتب من قدرات ومواهب فريدة.

والمقال الصحفى كما تقدم عرض لحقيقة ما، وتقديم لرأى ما فى نسق منطقى موجز ممتع يتغيا: الامتاع والموانسة، والتوجيه والارشاد؛ والتفسير لأنباء ذات مغزى وأهمية؛ وبأسلوب يوضح أهميتها للقارئ العام.

ذلك أن المقال الصحفى يتناول بالدرجة الأولى؛ الأحداث الجارية ذات الدلالة الكبيرة؛ التى تقتضى الشرح والتفسير، ويتناول أيضا العناوين أو الموضوعات الفكرية والأخلاقية غير المتخصصة، من حيث ارتباطها بالأحداث الحالية.

والمقال الصحفى هنا أشبه بالقصة الخبرية News Story من حيث احتواء كليهما على خبر أو أخبار؛ ومن حيث إن فقرة أو أكثر من فقراتهما؛ يمكن أن تكون مدخلا مناسباً لقصة ما... ومع ذلك فإن المقال الصحفى يختلف عن القصة الخبرية؛ من حيث احتوائه على رأى فردى؛ Individual opinion، وإن كان لا يتحيز فى إبداء هذا الرأى.

(١) راجع للمؤلف كتاب: الأسس الفنية للتحرير الصحفى - دار فباء للطباعة والنشر ١٩٩٨.

والأستاذ هـ. و. برونديج H. W. Brundige الذى عمل محرراً بجريدة
"لوس انجيلوس تريبيون"، الواسعة الانتشار "Los Angeles Tribune" يقول:
إن المقال الصحفى فى مفهومه الأشمل هو "تفسير للأحداث من منظور مبادئ
بعينها؛ أو سياسات معتمدة ومقررة من قبل الجريدة التى تنشرها"⁽¹⁾.

أما الأستاذ "الوين. ل. شومان" Edwin L. Shuman الصحفى بشيكاغو؛
فيرى أن المقالة الصحفية إنما هى فى صميمها "تفسير نقدي Critical
interpretation للأحداث الجارية". يقول:

"إن الكاتب الصحفى يتناول أكثر الأحداث والأنباء أهمية؛ ويحاول أن
يفلسفها من خلال التناول، بهدف توثيق العرى بين الحقائق المنفصلة؛ وتوضيح
الصلات الوثقى بينها وبين المبادئ العامة. وهو لذلك يحاول تأصيلها تاريخياً، كما
يحاول إضفاء أهمية على أحداث قد تبدو ضحلة بلا قيمة أو معنى عند النظر إليها
من قريب؛ من خلال ما يسبغه على هذه الأحداث من عمق النظر؛ والاهتمام
التحليلي؛ فى البحث عن الأسباب والنتائج وطرق العلاج.. إن صفحة الرأى فى
الصحف المعاصرة هى تلك الصفحة التى تخصص لمناقشة الآراء المؤازرة
والموالية؛ ووجهات النظر المميزة حول القضايا الجدلية؛.. وكلما افتقدت صفحة
الرأى The Editorial page إلى هذا العنصر؛ فقدت مبرر وجودها ضمن
صفحات الجريدة".

وفى مقابل هذا التعريف؛ يذهب الأستاذ آرثر برسيان Arthur Brisbane
فى اتجاه معاكس؛ إلى أن تحرير المقال الافتتاحي إنما هو "فن القول فى مكان
عام؛ وبأسلوب شجاع كما يعرفه كل فرد منذ وقت طويل".
المدرسة "الإخبارية" فى التحرير المقالى:

ومما قنمناه من تعريفات يتضح لنا أن هناك مدرستين متعارضتين تماماً؛
يتوزع بينهما كتاب المقال المعاصرون. البعض يذهب إلى أن وظيفة المقال

(1) M. Lyle Spencer, Editorial Writing Ethics, policy, Practice, L., 7.

الصحفى إنما تتحقق بمجرد كتابة تقرير عن الرأى العام؛ دون تدخل من الكاتب ودون توجيه أو إرشاد. ويذهب أصحاب هذه المدرسة إلى أن صفحة الرأى إنما هى مجرد مرآة تعكس الآراء العامة؛ وهى لاتحاول أن تقوم بوظيفة قيادية للرأى العام. وأن هذه الصفحة تكون صفحة رأى مثالية إذا ما قنمت لمجتمع قرائها؛ ما يفكر فيه المجتمع ككل؛ أو الأمة بأسرها. ومعيارها يتمثل فى المناقشة discussion والتفسير Interpretation بهدف تنوير العقل الجمعى group mind، وقد يكون الهدف هو الترفيه الخالص Entertainment فحسب.

وهذه المدرسة "الإخبارية" The Reporter school فى التحرير المقالى يتألق بين أصحابها الأستاذ "آرثر بريسبان" الذى اقتبسنا له رأيا؛ يؤيده بقوله:

"وعندما يقال كل شئ؛ فإن المرأة - إنما هى مرآة فى نهاية الأمر - لا تعكس إلا ما يوضع أمامها. وهى قد تنير وقد توضح؛ وقد تعكس ملامح التشابه المادية لدى من يقف أمامها، ولكنها تظل هى هى!".

ومهما يكن من أمر؛ فإننا يجب ألا نقلل إطلاقا من شأن مدرسة الخبر فى المقال الصحفى؛ ذلك أنها بالفعل تتمتع بقوة تأثيرية فى الرأى العام وتنويره بمجريات الأمور.

ذلك أن الوظيفة الإعلامية هى الوظيفة الأساسية للصحافة المعاصرة بطبيعة الحال. ولكنها كما سنرى - ليست الوظيفة الوحيدة.

ويقصد بهذه الوظيفة الأساسية التى يتشيع لها أنصار المدرسة الإخبارية؛ إخبار القراء بكل ما يقع من أحداث هامة فى الداخل والخارج؛ فى شتى ميادين الحياة؛ من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية؛ حتى يكونوا على علم بمجريات الأمور، ويتابعوا المسائل العامة ويتعرفوا على كل ما يتعلق بوطنهم والعالم من حوله.

وربما يستند أصحاب المدرسة الإخبارية فى الفن الصحفى فى مذهبهم؛ إلى على أن الإعلام إنما يتوجه صوب الحقيقة وحدها؛ مجرداً من الهوى أو الغرض أو المنفعة الذاتية أو الدوافع السياسية، وهذا صحيح.. ولكن.. ماذا نصنع حين تحجب بعض الصحف ذات الأغراض "الدعائية" أخباراً صحيحة عن وقائع مهمة؟ وماذا نصنع حين تنشر بعض الصحف "الصفراء" أخباراً كاذبة أو ملفقة أو محرفة عن دولة من الدول أو شخصية من الشخصيات أو هيئة من الهيئات الوطنية أو الدولية لأغراض سياسية أو حزبية؟

هنا يتضح دور الوظائف الاتصالية الأخرى للفن الصحفى؛ إذ لابد من القيام بالشرح والتفسير، والتوجيه والإرشاد؛ وهذا جميعاً من مهام "الرأى" فى الفن الصحفى؛ الذى يعيش فى مناخ مشوب بالدعاية السياسية فى أغلب الأحيان؛ وبالأهواء التجارية فى كثير من الأحوال. وهذه الظاهرة - كما لاحظ الأستاذ الدكتور حسنين عبد القادر رحمه الله - توجد حتى فى الظروف العادية التى تظفر فيها الصحافة بحريتها. فما بالناس بالأوقات التى تفرض فيها الرقابة على النشر وتتدخل السلطات الحاكمة فى شئون الصحف فتسمح بنشر هذا وتمنع نشر ذلك؟:

"لاشك أن موضوعية الإعلام تتوقف إلى حد كبير على لون الجريدة وسياستها التحريرية. فصحف للرأى الحزبية تعتمد إلى تلوين الأخبار بحيث تبدو متفقة مع لونها السياسى، ومتماشية مع مبادئها السياسية واتجاهاتها الحزبية. وقد تشوه هذه الصحف الحقيقة فى بعض الأحوال أو تطمس معالمها فى البعض الآخر، للتهوين من شأن الأعمال التى قام بها خصومها السياسيون... لكن صحف الرأى المستقلة ليست فى حاجة إلى سلوك هذا المسلك فى الإعلام مادامت غير مقيدة برأى حزب من الأحزاب أو هيئة من الهيئات ولا تربط نفسها بأى منها، أو تعلق مصلحتها على غيرها".

وإذا كانت المدرسة الإخبارية تبحث عن كل ما يثير القراء؛ فإنها تعلم بخبرتها أيضا أنها لا تستطيع أن تعيش بمعزل عن السياسة؛ وعن اتجاهات الرأي العام، ورأى الأغلبية على وجه الخصوص؛ ولذلك فهي لا تغفل الرأي وإنما تناقشه على ضوء الحقائق الملموسة، والأحداث الواقعة؛ فإذا أضفنا إلى ذلك أن الصحافة تعتمد اعتمادا كبيرا في استقاء الأخبار على وكالات الأنباء؛ العالمى أو المحلى منها فإن هذه الوكالات نفسها تخضع لكثير من التيارات السياسية؛ وتسخر فى الغالب لخدمة أغراض ما^(١). وهنا تبدو المشكلة أكثر تعقيدا أمام المدرسة الإخبارية.

مدرسة "الرأى" فى التحرير المقالى:

والمدرسة الأخرى فى التحرير المقالى؛ هى مدرسة "الرأى" The Opinion School؛ التى يذهب أصحابها إلى أن دور المقال الصحفى لا يقتصر على دور "المرآة العاكسة" لما يدور فى المجتمع؛ بل يجب أن يودى هذا المقال دور القائد؛ والمرشد؛ والملمه للرأى العام.

وأن ينظر إلى المقال الصحفى على أن له وظيفة تربوية ملهمة يقوم بأدائها مع نظائره من فنون القول والاتصال والتربية والتنشئة الاجتماعية والسياسية والفكرية.

كما يقوم المقال الصحفى بالتعليق على الأنباء وتفسيرها واستخلاص الدليل منها للدفاع عن قضايا بعينها.. والصراع بين المدرستين؛ يضرب بجذوره فى مدرستى: صحافة الخبر؛ وصحافة المقال؛ وكلاهما لا يغنى عن الآخر؛ إذ أكد التطور الصحفى على ضرورة تحقيق التكامل بين الخبر والمقال فى أداء وظائف الفن الصحفى؛ التى تشتمل على: الإعلام؛ كما تشتمل على الشرح والتفسير؛ والتوجيه والإرشاد؛ وإشباع حاجات القراء من ناحية التسويق والإعلان؛ والإمتاع والمؤانسة؛ والتنشئة الاجتماعية.

(١) د. حسنين عبد القادر: الصحافة كمصدر للتاريخ؛ القاهرة مكتبة الانجلو - ط ٢ - إبريل ١٩٦٠

فإذا كنا قد رأينا عند الحديث عن المدرسة الإخبارية؛ أن مهمة الصحيفة ليست مجرد سرد الأخبار والمعلومات؛ والوقوف عند دور "المرآة العاكسة" التي لا تزيد عن كونها "مرآة" في نهاية الأمر. ذلك أن بعض الأخبار؛ ولاسيما تلك التي تتدفق من وكالات الأنباء في العالم؛ وتتعلق بالدول الأجنبية؛ من الضروري أن تقوم الصحيفة بدور في شرح هذه الأخبار؛ وتفسيرها؛ ولا سيما بالنسبة للمصطلح الفني والعلمي؛ أو للواقعة التاريخية؛ أو للوقع الجغرافي.

التفسير.. وظيفة حيوية:

ومما تقدم يتضح أن مهمة "التفسير" وظيفة حيوية من وظائف المقال الصحفي؛ الذي يمثل جزءاً لا يتجزأ في كيان كل صحيفة، تسعى إلى أن تكون مؤسسة من المؤسسات العاملة في البناء الاجتماعي. ولذلك أصبحت صفحة "الرأى" من الصفحات التي تخدم قراءها ومجتمعها؛ بعد أن تعدد المجتمع؛ وازدادت تخصصاته؛ وأصبح "معظم ما يجرى فيه غير مفهوم للإنسان العادى، مما يتطلب شرحاً لمغزاه وتفسيراً لطبيعته". ولذلك يذهب د. إبراهيم إمام^(١) إلى أن "العمود الفقري للفن الصحفي الحديث هو عنصر التبسيط والتجسيد والتصوير، من أجل تقديم أعقد المشكلات السياسية والثقافية والاقتصادية باصطلاحات الإنسان العادى. ولذلك طور الفن الصحفي لغة المحاثة العادية لكي يعبر عن المفاهيم الحضارية الحديثة، ولكي يضمن مشاركة جميع الناس في مناقشتها".

ومجرد نشر الأخبار يحمل معه التزاماً ضمناً بتفسيرها ومساعدة القارئ على أن يدرك معنى الخبر المنشور وقيمه؛ ليتسنى له تكوين آراء صحيحة حول المشكلات الجارية التي تعرض عليه. وفي كثرة الأخبار ذاتها. في الدوامة الدائرة للدوامات والتيارات العرضية يضيع القراء إذا لم يجدوا من يمد لهم يد المساعدة. شاهد التعنيم الذي يغشى ذهن الناخب العادى عندما يذهب إلى صناديق الانتخاب للتصويت لصالح اثنى عشر أو خمسة عشر مرشحاً من بين مئات المرشحين

(١) د. إبراهيم إمام: دراسات في الفن الصحفي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ص ٦٣.

لمنصب معين. لقد كانت لديه أخبار عن كل مرشح يظهر اسمه أمامه فى آلة التصويت. إنه يعرف ثلاثة أو أربعة ولكنه تائه فى خضم آخر بالنسبة للآخرين. إنه يحتاج إلى إرشاد عقلية غير مغرضة، مطلعة، قامت باستقصاء فضائل الساعين إلى الحصول على المنصب. وصاحب هذه العقلية هو - أو ينبغى أن يكون - المحرر الذى يمدد بالأخبار عن المرشحين. والأمر كذلك بالنسبة للموضوعات الأخرى الخاصة بالسياسة العامة ومشكلات المجتمع والمناهج الدراسية، ونوادى المدينة والطرق العامة الجديدة والمتنزعات العامة ومئات القضايا الأخرى التى يتحدث عنها الناس والتى تعرض سنويا للنقاش العام والبحث عن الحل الذكى.

التوجيه.. وقيادة الرأى العام:

وإذا كانت مدرسة "الرأى" ترى رسالة الصحافة فى التوجيه والإرشاد؛ فإن هذه الرسالة أيضا لا تتفصل عن الوظائف الأخرى؛ ولكنها تتكامل معها؛ لكى تأخذ الصحافة بيد الجماهير؛ وتثور الرأى العام؛ وتكون دائما فى صف الحق والعدل والخير والسلام؛ وحربا على الظلم والظالمين والفساد والمفسدين.

ولذلك قال د. محمود عزمى رحمه الله: إن الصحافة توجيه "الرأى العام عن طريق نشر الأخبار، والأفكار: (News + Views) الخيرة الناضجة معممة ومنسابة إلى مشاعر القراء خلال صحف دورية".

ويتضمن هذا التعريف: توجيه الرأى العام؛ وإرشاده عن؛ طريق التكامل بين الرأى والخبر؛ فى سياق من "الخيرية" التى تعنى أن يكون فى نشر الرأى والخبر خير الجماعة؛ وما يعود عليها بالنفع المحقق. أما "العمومية" فهى ضمان عدم استغلال كل من "الرأى؛ أو الخبر لخدمة فرد من الأفراد؛ أو بضعة أفراد؛ لأن صالح المجموع هو الهدف الذى ينبغى أن تسعى إليه الصحافة.

التكامل بين المدرستين:

فالتكامل - إذاً - شرط جوهري من شروط الصحيفة "المثالية". لأن فى كل مدرسة على حدة جوانب سلبية؛ لا يقضى عليها إلا تحقيق التكامل مع إيجابيات

المدرسة الأخرى. فإذا كنا قد رأينا عند المدرسة الإخبارية؛ كيف يتجه بها التحزب أحيانا إلى تلوين الأخبار؛ فإننا نرى أيضا أن مدرسة "الرأى" للسبب نفسه تصنع نفس الصنيع مع الآراء والأخبار.. وقد نتعصب صحف الرأى لرأيها؛ وتحشد فى سبيله كل ما تملك من أسلحة الدعاية وفنونها وأساليبها. ولذلك تقتضى وظيفة التوجيه والإرشاد فى النسق الوظيفى للفن الصحفى؛ أن تنظر إلى المتلقى نظرة صحيحة. ذلك أن الناس يختلفون فى مداركهم وثقافتهم ومصالحهم؛ وإطارهم الدلائلى؛ الأمر الذى يستوجب تعدد الآراء فرديا وجماعيا.

فهناك أنواع كثيرة من الرأى: "كرأى الأغلبية؛ ورأى الأقلية، والرأى الائتلافى؛ والرأى الساقى، والرأى الجامع؛ والرأى العام. بل إن الرأى العام نفسه نميز فيه ثلاثة أقسام على الأقل بنسب متفاوتة، وهى الرأى العام النابه؛ والرأى العام المتقف، والرأى العام المنساق^(١).

وليس من صالح الجماعة أن يكون جميع أفرادها على "رأى واحد، لأنه لو حدث ذلك - وهو من المستحيلات بطبيعة الحال - لأصبحت بالجمود ولانعدم فيها التطور.. وهو قانون من قوانين الحياة.. إذ اختلاف الآراء فى الجماعة دليل على حيويتها ونشاطها. ولكن ينبغى أن يكون هذا الاختلاف فى إطار معقول.. وإلا انقسمت الجماعة على نفسها انقساماً ضاراً حينما تكثر أحزابها ويفتت رأياها إلى الحد الذى يعتبر معه عرضاً مرضياً؛ بدلا من أن يكون مظهراً من مظاهر الصحة والقوة والحيوية"^(٢).

ومن ثم فإن وظيفة التفسير من الوظائف التى تتكامل مع الوظيفة القيادية للمقال الصحفى. يقول الأستاذ "سينسر":

"القيادة ضرورية أيضا. وليست هناك حاجة إلى قيادة مستبدة مؤكدة فى كل مناسبة وفى جميع المسائل وفى لحظات الهدوء، عندما يسود السلام، يمكن للمحرر

(١) د. حسين عبد القادر: الرأى العام والدعاية - الباب الأول.

(٢) نفس المرجع المتقدم.

أن يقنع نفسه بتتمية وتقوية الشعور الذى نشأ حول المسائل العامة بإبلاغ المجتمع برأيه الذى كونه ولم يكتمل أو يجعل عمود المقال الرئيسى انعكاساً لخبر رأى فى المجتمع أو فى البلاد. وفى هذه الأوقات يمكنه أن يرضى بتحقيق المثل العليا للمدرسة الإخبارية ويحمل قراءه على أن يصفوا جرائدهم قائلين: "هذه المقالات رائعة، كثيراً ما فكرت فى هذه الأشياء أنا نفسى".

والواقع أن الأفكار فى المقال الصحفى ربما لم تخطر قط على بال القارئ. وربما لا يتكون فى ذهنه إلا نصف صورتها على حافة عقله الواعى. والمقالات الصحفية هى التى أظهرتها. وهى التى تستحق التقدير فى أنها أبرزت الأفكار إلى الوجود فى عقل آخر.

وفى أوقات العاصفة أو الهدوء تغدو هذه الكتابة رائعة، بشرط أن يعرف المجتمع طريقه واتجاه سيره. ولكن تأسى أوقات تحدث فيها اضطرابات سياسية واجتماعية واقتصادية عندما يسود الذعر ولا يكون العقل الجماعى مختلفاً كثيراً عن عقلية الغوغاء. وعندئذ تشتد الحاجة إلى قيادة إيجابية مستبيرة للمقال الرئيسى لإرشاد الناس والخروج بهم من الضباب والخطر إلى الأمان، ومن اليأس إلى الأمل ومن الفوضى إلى النظام. وفى هذه الأوقات تتقدم البشرية أقصى تقدم. وعندئذ لا يتوانى الكاتب العظيم.. والمحرر الصادق عن أداء الوظيفة الثانية - ألا وهى القيادة والتوجيه. أما فى الأوقات العادية فإنه يمكنه أن يتكاسل ويتراخى مكوناً رأياً عاماً جلياً أو غير واضح، ويفكر مع قرائه أكثر مما يفكر لهم، ويعمل مخبراً صحفياً أو مفسراً أكثر مما يعمل دليلاً لهم. ولكن فى أوقات الأزمات يجب أن يكون قائداً ومعلماً وواعظاً ومرشداً وكل هؤلاء فى واحد، وإذا استلزم الأمر: محارباً وشهيداً".

ويظهرنا تاريخ الصحافة المصرية على نماذج لهؤلاء القادة؛ المعلمين؛ المرشدين؛ المحاربين، والشهداء أيضاً. وحسبنا أن نذكر من هؤلاء: السيد عبد الله النديم؛ الذى جند مواهبه فى الكتابة والشعر والخطابة للقضية الوطنية؛ فى مجلاته وصحفه؛ ومنها: التكتيك والتبكيك؛ والطائف؛ والأستاذ.

أما الزعيم الشاب مصطفى كامل؛ فهو الذى أصدر صحيفة اللواء
(غرة رمضان ١٣١٧ هـ = ٢ يناير ١٩٠٠)، من أجل:

أولاً: الدفاع عن فكرة الجامعة الإسلامية باعتبارها الطريق الوحيد فى نظرها
للتخلص من الاحتلال البريطانى.

ثانياً: تنشيط الحركة الوطنية بكل الوسائل والترويج لها بكل الطرق.

ثالثاً: تربية الأمة المصرية تربية سياسية بحيث تصبح فى أقرب وقت ممكن أهلاً
للاستقلال والحرية.

رابعاً: توجيه رأى العام المصرى أحسن توجيه وأكمّله فى ميدان الإصلاح
الاجتماعى.

خامساً: الدفاع عن الدين الإسلامى ضد هجمات الاستعمار الأوروبى.

وفى سبيل الهدف الأول من هذه الأهداف انطلقت الصحيفة تؤلف بين
المصريين والأتراك باعتبار أن دولتهم "هى التى تحمى المسلمين، وتحفظ البلاد
المقدسة الطاهرة من أعداء الدين، ولأنها زعيمة العالم الإسلامى فى الوقت
الحاضر بدون منازع".

وفى سبيل الهدف الثانى - وهو الحركة الوطنية - انبرت اللواء تدافع عن
المصريين فى كل موقعة من المواقع التى اصطدموا فيها بالاحتلال البريطانى،
وكان لهذه الصحيفة قبل هذا كله أكبر الفضل فى أنها خلصت المصريين من اليأس
الذى ملأ نفوسهم وran على قلوبهم بازدياد النفوذ البريطانى - ولا سيما بعد حادث
فاشودة، واتفاق السودان، فإذا المصريون بتأثير هذه الصحيفة يدبّ الأمل فى
قلوبهم، وينقادون للحركة التى قام بها زعيمهم الشاب مصطفى كامل.

وقد كان لهذا الزعيم طرق كثيرة فى بعث الروح الوطنى فى المواطنين، ومنها على سبيل التمثيل^(١):

أولاً - تحرير المقالات فى صحيفة "اللواء" - يسرد فيها تاريخ الأمم الحية، ويشيد بمواقفها فى ميدان الكفاح من أجل الحرية.

ثانياً - تحرير المقالات كذلك فى سير العلماء والعظماء الذين اشتركوا فى بناء الأمة المصرية، وكان لهم فضل لا نكران له فى تقدمها.

ثالثاً - تحرير المقالات فى سبيل الدعوة إلى تأسيس المدارس على نفقة الشعب المصرى، وعدم الاعتماد فى شئ من ذلك على الحكومة. وكان هو من أول الذين قاموا بتنفيذ هذه الفكرة بل كان هو أول داع فى الحقيقة لإنشاء "الجامعة المصرية".

رابعاً - العناية بتسجيل الحوادث الوطنية فى صحيفة "اللواء" والكتابة من حين لآخر فى ذكرى هذه الحوادث. وكان من أكبرها حينذاك:

حادثة دنشواى: وهى المأساة التى انتهت بسقوط اللورد كرومر عن كرسى العمادة فى مصر. وإذ ذاك تم لصاحب "اللواء" أكبر ما كان يتمناه لنفسه ولبلاده من نصر. ويومها كذلك نشر هذا الرجل مقاله المشهور؛ بعنوان:

إلى الأمة الإنجليزية والعالم المتمدن

بتاريخ ١٨ من يولية سنة ١٩٠٦

وفيهما سرد الكاتب هذه القصة. ثم قال:

"ولكن - ما عرفها أصحاب الأمر من الإنجليز فى مصر حتى فقدوا رشدهم، وثاروا لقيام المصريين بالدفاع عن أنفسهم وعن أملاكهم، وبدلاً من أن يقابلوا الحادثة بسكون ورباطة جأش، وينظروا إليها كما ينظرون إلى غيرها من المعارك

(١) د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية ج ٥، ص ٨٢.

والمشاجرات التي من هذا النوع، بالغوا فيها، وجسموها، وأعلنت الصحف الموالية للاحتلال قبل المحاكمة أن العقوبات والعبرة التي ستضرب للناس ستكون هائلة. فلم تكن العدالة إذن هي المنشودة من المحاكمة بل كان المنشود هو الانتقام" إلى آخر ما جاء في هذا المقال.

وإذا كانت صحيفة "المؤيد" هي لسان حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية، وكانت "اللواء" لسان الحزب الوطنى الذى يرأسه مصطفى كامل، فإن "الجريدة" كانت لسان حزب الأمة الذى هو أول الأحزاب المصرية ظهوراً فى الحقيقة، ثم تلاه حزب الإصلاح، وأخيراً ظهر الحزب الوطنى. وحدث هذا كله بين عامى ١٩٠٦، ١٩٠٧.

ومعنى ذلك كما يقول د. حمزة رحمه الله - أن الأحزاب المصرية الهامة ولدت فى أحضان الصحافة، وتلك ظاهرة تستحق التسجيل، وفيها الدليل الذى ليس بعده دليل على خطورة الصحافة المصرية فى تلك الفترة^(١).

وقد صدرت صحيفة الشعب سنة ١٩١٣، وهى السنة التى شهدت فى تاريخ مصر حدثاً من الأحداث الهامة فى المجال الدستورى. وخلاصته أن الخديوى عباس حلمى الثانى - بضغط من الوطنيين وأصحاب الصحف وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية - أصدر ما يسمى (بالقانون النظامى). وبمقتضاه ألغى المجلسين السابقين؛ ليحل محلهما مجلس جديد باسم "الجمعية التشريعية".

غير أن هذه الجمعية التشريعية لم تحقق رغبات البلاد، بل ظهر أنها لعبة جديدة من تلك التى كان يلعب بها الاحتلال. وبحسبنا أن نعرف أن هذه الجمعية التشريعية لم يكن من حقها محاسبة الوزراء.

إذ ذاك انبرى أمين للرافعى لمحاسبة الجمعية من جهة، ومحاسبة الحكومة والاحتلال من جهة أخرى على هذا النظام، وشرع يكتب المقالات الطوال فى هذا

(١) نفس المرجع المتقدم ص ٨٤.

المعنى، وفى بعضها يقول: "نعم - إن القانون النظامى الجديد عدل نظام الانتخابات، ومنح الجمعية التشريعية حق التشريع فى مسائل محصورة، ولكنه فيما عدا ذلك وقف بالهيئة الجديدة حيث كانت الهيئات القديمة، بل رجع بها إلى الوراء؛ بأن حرم عليها الخوض فى مسائل لم تكن محرمة عليها قبل ذلك، وخول الحكومة حق حل هذه الهيئة إذا لم توافق على القانون المعروض عليها للمرة الثالثة".

وفى أخرى من مقالات الرافعى وجدناه يقول: "أعطونا حق إسقاط الوزارة، وخذوا لأنفسكم حق حل الجمعية التشريعية".

وفكرت الجمعية التشريعية فى وضع لائحة داخلية للأعضاء، فحالت الحكومة المصرية - بوحى من الاحتلال - بينها وبين ما أرادت، فثار أمين الرافعى لذلك وأخذ يقول:

"لقد دهشت الصحافة الأفرنجية المحلية من ذلك، ومن منع الأعضاء من حق الكلام فى أول جلسة، بل انتقدت بشدة موقف الرئيس عندما طلب سعد باشا زغول الكلام لتهنئته بالرياسة، وانتقدت دعوة الرئيس لسعد زغول أن يكون الكلام مقصوراً على الشكر، وتساءلت إحدى هذه الصحف عن أعضاء الجمعية: هل هم فى مدرسة يقول ناظرها - والمقرعة فى يده - أيها التلميذ سعد زغول: قل الثلاثة الأسطر التى حفظتها واجلس فى الحال؟

وأعلنت الحرب العظمى بعد ذلك فى أغسطس سنة ١٩١٤، فمضت "الشعب" فى صدورهما إلى السابع عشر من ذلك الشهر، ثم اضطرت الحكومة المصرية - بإشارة من السلطة العسكرية - إلى إصدار طائفة من القوانين الاستثنائية. ومنها قانون منع التجمهر فى ١٨ من أكتوبر سنة ١٩١٤، ثم إعلان الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف فى الثانى من نوفمبر، من نفس السنة، ثم إعلان الحماية البريطانية نفسها فى الثامن عشر من شهر ديسمبر فى نفس السنة كذلك.^(١)

(١) د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية فى مصر ج ٧ ص ٩١.

وأصدرت الحكومة المصرية أمرها لجميع الصحف بنشر إعلان الحماية في صفحاتها الأولى، فكبر على نفس أمين الرافعى أن يُلطخ صحيفة "الشعب" بهذا العار، وصمم على وقف الصحيفة عن الإصدار؛ فذلك أكرم له وللشعب المصرى نفسه من أن تطبع صحيفة من صحفه وثيقة الإعدام والانتكاس، وبالفعل تم له ذلك فى السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩١٤.

فى هذه النماذج؛ نرى الدور الإيجابى للمقال الصحفى فى أوقات الشدة التى تمر بها للشعوب ولذلك أطلق المؤرخون على هذه الفترة فى تاريخ الصحافة المصرية اسم (الطور الصحفى من أطوار الحركة الوطنية). والمؤرخون - كما يقول د. عبد اللطيف حمزة رحمه الله - "على حق فى هذه التسمية؛ لأن صحافتنا إذ ذاك بكل ما عليها من واجبات؛ وتحملت فى سبيلها من التضحيات ما جعلها ترقى إلى مرتبة أعلى الصحف فى زمانها وفى بلاد غير بلادها"^(١).

هذا الدور "القيادى" للمقال الصحفى يتضح أيضا فى الفترة التالية من تاريخ الصحافة المصرية؛ ونعنى الفترة التى ترتبط بثورة ١٩١٩ فى مصر؛ والتى - كما يقول د. حمزة - اشتغل المصريون فى أثنائها بأمرين هما: القضية المصرية، والحياة النيابية - كانت الصحافة المصرية مصبوغة بهاتين الصبغتين، كما يظهر لنا فى صحافة أمين الرافعى، ثم فى صحافة الوفد المصرى، وصحافة الأحرار الدستوريين.

"مرت بمصر كل هذه الظروف، وهى وإن كانت ظروفًا سيئة، ومحناً قاسية، إلا أنها عادت على الصحافة المصرية ذاتها بالقوة والمنعة، وبالقدرة الكاملة على المقاومة. وبها اشتدت عضلات الصحافة المصرية فى الطورين الثالث والرابع من الأطوار الصحفية الحديثة؛ حتى أصبحت صحافة شعبية ممتازة بالمعنى الصحيح، وكانت عنايتها إذ ذاك محصورة فى المقال للصطفى، أو بعبارة أخرى، كان فن المقال هو الأداة الوحيدة فى يد الصحافة، أو السلاح الوحيد لها فى ميدان الكفاح من أجل الوطن وقضايا الوطن!" إلى أن يقول د. حمزة:

(١) نفس المرجع المتقدم ص ٩٢.

"أجل بلغت حد النضوج والكمال إذ ذاك؛ لأنها استطاعت فى الواقع أن تقوم بكل ما يجب عليها من واجبات نحو الأمنى الوطنية، والكرامة الوطنية، حتى لقد لفنت إليها أنظار المؤرخين من العرب والأوروبيين على السواء، وكان من نتيجة ذلك أن ذهب بعض أولئك المؤرخين يطلقون على الحركة التى قامت بها الصحافة فى هاتين المرحلتين السابقتين اسم "الطور الصحافى من أطوار الحركة الوطنية".

والتفسير الوظيفى للفن الصحفى؛ يظهرنا على دور الصحافة فى تكوين الرأى العام الوطنى؛ والعالمى؛ مع غيرها من وسائل الإعلام والتثقيف والتثشئة الاجتماعية. ورسالة الصحافة - كما يقول د. حسنين عبد القادر: "أضخم فى الشعوب التى لم تغفر بقسط كبير من الثقافة؛ لأن الشعوب الراقية يكون فيها أغلبية الرأى العام من المتقفين الذين لا تؤثر فيهم الصحافة تأثيرا كبيرا.. فهم يقرأون أكثر من صحيفة، ويطلعون على أكثر من رأى، فيوازنون بين الآراء والأخبار؛ ويمحصون الخبر الصحيح؛ لكن فى الشعوب المتأخرة قلما يظفر القارئ بأكثر من صحيفة واحدة، وهو مضطر إلى تصديق ما ترويه الصحيفة من أخبار مهما كانت محرفة أو مختلفة أو كاذبة"^(١)

المقال الصحفى و"التعادلية" الوظيفية:

وإذا كانت "التعادلية" - فيما يرى أستاذنا توفيق الحكيم رحمه الله - تذهب إلى أن "كل حركة يجب أن تقابلها وتعادلها حركة.. وأن كل قوة يجب أن تقابلها وتعادلها قوة".. فإننا نذهب - تأسيسا على هذا الفهم - إلى أن "كل وظيفة يجب أن تقابلها وتعادلها وظيفة"، لتتخذ الصحيفة حركتها الإيجابية.. ذلك أن قوة السلطان المطلق حركة سلبية.. ولابد من حركة مقابلة معادلة هى قوة المحكوم؛ لتبدأ فى المجتمع حياة إيجابية.. وهكذا - كما نعرف فى تعادلية الحكيم؛ حين تتجاوز "الصفر" لتبدأ من العدد "اثنين".

(١) د. حسنين عبد القادر: المرجع المتقدم.

ولكى يظل هذا العدد موجودا دائما؛ يجب أن تحافظ كل وظيفة من وظائف الفن الصحفى على قوتها الخاصة فى الصحيفة.. فإذا تضخمت وظيفة ما على حساب الوظائف الأخرى؛ أو ابتلعت قوة إحداها قوة الأخريات؛ عادت الصحيفة إلى 'الوجود السلبى'.. والتعاضدية الوظيفية فى الفن الصحفى - إذن - تفسر مفهوم "الصحيفة الإيجابية" بأنها تجسيد لجملة وظائف تتقابل وتتوازن فى كيان الصحيفة استجابة لحاجات المجتمع - أفرادا وجماعات. ومفهوم "العدم" بالنسبة للصحيفة يتضح حين ينتصر أنصار المدرسة الإخبارية" انتصاراً يبتلع "مدرسة" الرأى مثلاً.

فالوظيفة الواحدة هى السكون. والوظائف المختلفة القليلة هى الحركة.. هى الحياة بالنسبة للصحيفة.. تلك هى التعاضدية الوظيفية فى الفن الصحفى، التعاضدية التى تنظر إلى فلسفة الحركة المقاومة على أنها الحياة.

ولذلك يذهب بعض علماء الصحافة إلى أن صفحة "الرأى" فى الصحيفة حين تكون صاحبة هدف ورسالة وسياسات محددة؛ تغدو بمثابة عجلة توازن بالنسبة للصحيفة نفسها فهى تقوم بدور الموجة للنشر. وعندما تثبت أن لديها خلفية من المعلومات الواسعة؛ وعندما تظهر إخلاصاً وتجرؤ على أن تكون مستقلة، وعندما تظهر تفكيراً قانونياً ومثلاً عالياً، فإنها تكتسب مصداقية لدى القراء. هذه المصداقية بدورها، لها أثر الكهرباء. وأول من يحس بها مساعدو رؤساء التحرير والمراجعون، والمندوبون الصحفيون. وهم إذ يقدرون ذلك يعرفون ما هى الأخبار التى يجب أن تبرز وما هى الأشياء التى لا يعابون بها، وأياً يلقون بها فى سلة المهملات.. إنهم حينئذ ينعمون بالشجاعة التى تواتيهم لتحديد الهدف.

وعالم الأعمال يأتى بعد ذلك فى تقدير صفحة للرأى موثوق بها، ذلك أن رجال الأعمال سرعان ما يتعرفون على كثرة مبيعات الصحيفة التى تكتسب سياساتها التحريرية احترام القراء، ومصداقيتها لديهم، فيسعون إلى أعمدة الإعلانات باعتبارها وسائل قيمة لعرض بضائعهم وبيعها. فى نسق لا يقهر سياستها التحريرية.

ومن جهة أخرى فإن أية صحيفة، تنقتر في سياستها التحريرية إلى هدف ما؛ أو تغدو بلا سياسة تحريرية على الإطلاق، إنما تشبه غالباً محركاً بطاريته مستهلكة لا تصلح. وألتشبيه شائع جار على الألسن ولكنه مناسب. والصحيفة في هذه الحال بلا حول ولا قوة. والفساد الذى يدب في أعمدة الأخبار يلى عادة إهمال وظيفة المقال الصحفى، وتصبح الصحيفة مزيجاً من الأخبار غير الواضحة وغير المهضومة، وبصفة عامة بدون هدف إلا مجرد محاولة لإثارة الاهتمام بين القراء، وتقف دائماً وجهاً لوجه مع المذهب القائل بأن الحس أساس المعرفة باعتباره الوسيلة الوحيدة لاستمرار الاهتمام. والتعادلية الوظيفية تضع إلى جانب الخبر الرأى - والرأى ليس دائماً فى "سياسة". إنها - كما يقول د. أحمد زكى - آراء تغزو مرافق العيش جميعاً، تغزو التربية والتعليم، تغزو شئون الشباب جميعاً، صبية اليوم ورجال الغد، تغزو معاهد العرفان جميعاً، من الكتاتيب الصغيرة إلى الجامعات الكبيرة، تغزو الفلاح فى مزرعته فرداً، وتغزوه أسرة، وتغزوه فئة قد تكون أكبر الفئات جميعاً، تغزو الصانع فى مصنع، وعلى مائدة المصنع ومن بعد رواح، وتغزوه منفرداً، وتغزوه مكتلاً، وتصحب أملاً له، حيثما صار، وإلى أى شئ صار. وغير الفلاح، وغير الصانع، توجد فى الأمة طوائف أخرى تأمل العيش وتخشاها: مدرسون، كتبة، تجار عمال تجارة، رجال الشرطة، رجال جيش.. كل هذه شئون، متوافقة أحياناً متخالفة أحياناً لابد من أن يقال فيها على الملأ، ليتصور بها الناس، لابد من بسطها على مائدة يتداول الناس من حولها، وليست مائدة أوسع ولا أشبع؛ من مائدة الصحافة، مائدة الرأى؛ مائدة اصطراع الآراء.

"وغير مصالح الرجال والمئات توجد صوالح البلاد عامة، تلك التى لا تتصل بفئة بذاتها، وإنما تتصل بالفئات جميعاً، احتوتهم بوتقة واحدة مثال ذلك التخطيط لزيادة العمران، ولرفع مستويات المعيشة وإشاعة الزواج وإسداء الخير لكل من نقص خيره.. تلك الأهداف الحديثة التى أضافت لمعنى الدولة لفظاً جديداً، فأسمتها الدولة الخيرة.

وإلى جانب كل هذا قيم للأخلاق، ومجموعة من العقائد، وتقاليد ومأثورات هي التي تصنع الأمة في حاضرها، هذه كلها تقوم الصحافة، من يومية وأسبوعية وشهرية، على حمايتها. لا حماية مطلقة، ولكن حماية متحركة متقلبة متقدمة مع الزمان. والصحف هي التي ترسم الخطوات نحو التقدم وكيف تكون، وكم تكون.

من أجل هذا لا يمكن أن تكون الصحافة، بمعزل عن الشعب أبداً، وإلا فقدت وظيفتها في تنوير الناس وتطويرهم، كما رسمتها وخالتها هذه العصور الحديثة التي نعيشها، الصحافة صوت الشعب، بل هي الخطير الأخطر من أصواته، فما عرفنا للشعب صوتاً واحداً أبداً، وهي أصوات على اختلافها تلتقي عند حبر المطابع، والشعب فئة وفئة وفئة وفئة، إنه فئات مئات، وخير الصحافة ما كان لهذه الفئات جميعاً، وأقلها خيراً ما كان لفئة واحدة منها، يرفع شأنها في مخاضة لسانها.

من أجل كل هذا هال الأمة الإنجليزية محاولة رأس المال فيهم أن يستأثر بأكثر من نصيب معتدل من صحافتهم، وهال الأمة الإنجليزية أن تكون الصحف تجارة، ينقلها من أيدي ما يكون بها من ربح أو خسارة.

"فالصحافة عندهم، وفي كل أمة فيها الديمقراطية عريقة، على الأقل في داخل حدودها، قد تكون تجارة، كما أن العيش كله تجارة، ولكنها من بعد أنها تجارة، وفوق أنها تجارة، هي رسالة تقع عند القمة في الرسائل جميعاً.

والانجليز يذكرون دائماً، كلما أزمته في صحافتهم أزمة، قول رائد من رواد الصحافة الأكابر فيهم، اسكوت (١٨٤٦ - ١٩٣٢)، هذا الذي جمع بين رئاسة تحرير الصحيفة الإنجليزية الحرة المنشتر جاريان، وبين نصيب من ملكيتها، فذاق من الصحافة ناحيتها، الحلوة منها والمرّة، وهو سار بها على مذهب حرّ متجدّد متجدّد أكسبه شهرة عالمية واسعة في صفاء النظرة، وصدق الحكم، قال قولته المأثورة :

"إن الصحافة لها جانبها، إنها تجارة، ككل عمل آخر يقوم به قوم آخرون، فعليها أن ترتزق لتتفع من مال تكتسبه حوائج عيش لتحيا حياة طيبة وتعيش ما من شك في هذا، ولكن الصحافة أكثر من تجارة، إنها مؤسسة قومية في مراتها تتراءى صور من حياة المجتمع كله. وهي تتأثر بالمجتمع كما تؤثر فيه، وقد يبلغ أثرها حتى ما وراء المجتمع الذي تعيش فيه، تؤثر في هذا الورا حظوظا مختلفة ومقايير. والصحيفة بأسلوبها الخاص، أداة تفعل في الحكم مدا وجزرا، وهي تلعب بعقول الناس وبضمانر الناس من هنا وهي قد تربي وقد تتعش وقد تعين، وقد تفعل النقيض من كل هذا. فالصحيفة لها وجود حي، مادي كما هو روى. والمادة قوة دافعة والروح قوة أخرى لا تقل عن تلك دفعا، وصفة الصحيفة الغالبة إنما تحصل من نتيجة هذا الصراع، الصراع بين هاتين القوتين، فهي إما أن تطلب الكسب وتطلب الجاه، هدف حياتها الأول، أو هي تطلب في سبيل المجد غايات أسمى وأرفع.

"إن الصحافة قوة هائلة، وجاء عريض، والقوة الهائلة والجاه العريض قد يعملان للخير الكثير، ولكن تجربة الناس أن مثل هذه القوة، ومثل هذا الجاه، إذا تركزا في يد واحدة، أو أيد قليلة، كان لتركزهما إغراء لا يقوى عليه في العادة الإنسان، فكيف بالإنسان إذا تقمصه آخر الأمر شيطان.

من أجل هذا شاع في الكثير من الأمم، في بعض صحافتها، انحراف كثير.

وأعان على هذا الانحراف سذاجة الطبع عند الناس، وأعان عليه أمية في الناس، فاشية، وهي ليست أمية قراءة وكتابة، ولكن أمية عرفان وثقافة. إن الرجل في كثير من الأمم، يدلى إليك بالخبر فترتاب فيه، فيقول لك محتجا لصدق دعواه، بأنه قرأه بعيني رأسه هاتين في صحيفة أو كتاب. إنها الثقة بكل ما صبغته الأخبار في المطابع وحتى غير الأمي معزور إذا هو صدق ما يقرأ. إن الجريدة الواحدة هي سبيله الواحدة إلى معرفة ما تجرى به الأمور. إنها النافذة الواحدة التي يطل منها على شئون الحياة في مدينة أو بلدة أو في العالم، وإذا هو ارتاب في كل خبر

لم ينتفع بما يقرأ، وأغلقت دونه النافذة الواحدة فلم ير من أمور دنياه، قريبها والبعيد، إلا نذرا^(١).

وتأسيساً على هذا الفهم؛ فإن المقال الصحفي يستطيع أن يؤدي وظائفه من خلال طرق أربعة هي:

١- الإمتاع والمؤانسة.

٢- أن يجعل في الإمكان حذف "الرأى" من أعمدة الأخبار.

٣- تفسير الأخبار الهامة.

٤- حفز الرغبة في حياة سعيدة أسريا ومجتمعيا وقوميا، وإنسانيا.

أما الإمتاع؛ والمؤانسة؛ فيمثلان وظيفة قديمة قدم الإنسان؛ عندما كان المَغْنَى أو المنشد أو الراوية يقوم بالتسرية عن الناس؛ وإمتاعهم "برواية الغريب والطريف والعجيب من القصص الواقعية والخيالية على السواء. وقد ورثت الصحافة هذه الوظيفة التي يرى "ماكوجال" أنها تخفف العبء عن النفوس والعقول، وتجعل الحياة محتملة رغم ما فيها من متاعب، "وهكذا تصبح وظيفة الإمتاع ذات أثر نفسي حميد"^(٢).

وكثير من القراء يجدون هذا الامتاع في مقال من المقالات يقدم فكرة جديدة أو آخر يحفز على التفكير. وهناك قراء آخرون ينشدون الفكاهة؛ أو المؤانسة؛ أو الإثارة العاطفية والعقلية. والتنشئة والتعظيم قد يثبتان أنهما عاملان حاسمان في تفسير اللفظ. وعلى أية حال فإنه من المؤكد أن كتابا كثيرين، من أعظم المحررين نجاحا وتأثيرا يضعون المقالات التي تنشد التسلية والامتاع في مكان الصدارة من أعمدتهم. وهم يطلقون عليها اسم المقالات التي تهم الناس. والهدف منها هو حفز القارئ الأكل اهتماما بالأمر، للاطلاع على عمود المقال الصحفي. وفي الوقت

(١) د. أحمد زكي: مجلة العربي ص ٣٢٤.

(٢) د. إبراهيم إمام: دراسات في الفن الصحفي، المرجع السابع ص ٧٢.

نفسه تستهدف التخفيف من حدة الفكر المجرد أو الجدل داخل العمود. والنزر اليسير من المعلومات؛ أو الإرشاد الأخلاقي، يوجد عادة في هذه المقالات؛ ولكن الوظيفة الإمتاعية قد تكون أظهر.

وإذا كان كفاح الإنسانية في سبيل الحرية والعدالة قديم؛ وما زال يسم المقال الصحفي بطابعه حتى اليوم؛ فإن وظائف الامتاع والموانسة، والضحك؛ أيضا قديمة في الإنسانية. وما زالت منتجا من منتجات المقال الصحفي حتى اليوم.. بل كان الضحك في كثير من المقالات الساخرة، والكاريكاتورية؛ سلاحا قويا فعلا في تحطيم الاستغلال وتقويم الضلال؛ وحسبنا أن نعود إلى السيد عبد الله النديم لنقرأ مقالاته في صحيفته "التكيت والتبكي". بأنها أسلوب مهذب للتعبير عما يؤلم الانسان.

الخبر مقدس.. والرأى حر:

والفصل بين الخبر والرأى أمر ضرورى؛ تحقيقا للموضوعية الصحفية، فإذا كان الرأى في المقال ملكا لكاتبه؛ فإن الحقائق فى الأخبار ملك للقراء. وهم يطلبون، ولهم كل الحق فى مطلبهم؛ تقديم أخبار غير متحيزة؛ كما ينشدون تقديم كل الأخبار فى نفس الوقت.

ولعل الكثير من بين هؤلاء القراء؛ إن لم يكن معظمهم؛ لا يدركون حقيقة ما يدور فى العالم من حولهم؛ وقد لا يهتمون بما إذا كانت الأخبار التى يقرأونها ملونة أو غير ملونة. بل إنهم قد يريدون الأخبار التى تتفق مع تحيزهم السياسى أو الدينى أو القومى الخاص. ولكنهم ليسوا ممن يعملون الفكر والروية حين تتحكم فيهم العاطفة. والقادة الذين يمثلون العنصر المفكر يريدون من المقال للرئيسى أن يتحول إلى تأكيد لآرائهم الخاصة أو تعديلها. ولكنهم يريدون الحقائق كلها من جميع الزوايا أولا وهم أهل لها.

ولذلك يعنى المقال بالتعليق على هذا الخبر أو ذاك؛ ويبين مغزاه السياسى أو الاجتماعى أو الثقافى.

وانذلك فإن الفصل بين الخبر؛ وتفسيره؛ والرأى المبنى على الخبر أمر ضرورى. ذلك أن الخبر إنما هو الوقائع التى حدثت بالفعل. وتفسير الخبر جزء هام من أجزائه؛ يراد به شرح بعض المفاهيم، أو بعض المسميات أو المصطلحات الواردة فى صلب هذا الخبر.

وأما الرأى المبنى على الخبر؛ فهو المراد بالتعليق الصحفى ". يقول المستر ماركل" رئيس المعهد الدولى للصحافة فى ذلك:

"وأما نكر أن الكرملين يشن حملة من أجل السلام يعتبر خبراً".

"وأما شرح أسباب شن الكرملين لهذه الحملة فى هذا الوقت بالذات فهو التفسير".

"والقول بأن كل حملة للسلام تصدر عن الكرملين يجب أن ترفض؛ فهذا هو الرأى"..

"وأما الشرح فهو جزء هام من أجزاء الخبر.. وأما الرأى فلا مكان له غير أعمدة التعليقات"..

التفسير: وقد لوحظ أن تفسير الأنباء الهامة اليوم، هو الأولى بالاهتمام فى المقال الرئيسى. وهذا يعنى بيان العلاقة بين المسائل المحلية والقومية والدولية وبين مصالح البيت والعمل التى تعنى القراء من جهة، والإشارة إلى الارتباط بين المشكلات المحلية وحركات الدولة والأمة والعالم بأسره من جهة أخرى. ويعنى تفسير المجتمع لنفسه ولل العالم الخارجى وتفسير العالم الخارجى للمجتمع أيضاً. كما ويعنى الإعراب عن أحسن رأى شائع والتتوير به. والعقلية العادية نصف المتعلمة - التى تكون الجانب الأكبر من القراء - إنما تفكر فى أمور أعظم من أن تصوغها فى كلمات. وبما أن القارئ من هذه الفئة لا يعرف التحليل فإنه لا يستطيع أن يعلى آراءه وأن يقدح ذهنه ويقدم الأسباب التى أوصلته إلى هذه النتائج. وهو يفكر إلى قوة التعبير؛ إلى القدرة على أن يتلفظ بما اقتنع به. وهذه هى الوظيفة التفسيرية

التي يقوم بها المقال الرئيسي. الأمر الذي يجعل صفحة الرأي من الصفحات التعليمية الأولى فى الصحيفة - قسم يمكن أن يجد فيه القارئ نقاشا عن الأنبياء الحبيبة فى هذا اليوم، وإتاحة الفرصة أمامه لكى يتعلم كيف يميز بين ما هو تافه وما هو أساسى فى الشؤون المحلية والحكومية والقومية. ومن ثم يمكن أن يجد الحافز الأكبر للتقدم العقلى. ومن حسن الحظ أو لسوء الحظ فإن الصحف مضطرة إلى أن تنشر الكثير من الأنبياء التافهة. وعندما يميزون فى عمود المقال الاحتياحيّ مثلاً بين ما هو جوهري وماليس كذلك، فإنهم يذهبون بالعمود إلى أن يقوم بوظيفة من وظائفه المحددة.

القيادة: وتهدف هذه الوظيفة إلى الحث على حياة فاضلة فى البيت والمجتمع كما رأينا عند الحديث عن وظيفة القيادة، والتي يمكن أن تكون هدفاً منشوداً بالنسبة للمقال الصحفى، وإن كان وجودها الفعلى فيه غائباً فى أحيان كثيرة. وحين تحكم العقلية الغوغائية فى مشكلات الناس، فإنه فى مثل هذه المناسبات يكون مجرد نشر الأنبياء وتفسيرها غير كافيين. ولذلك فإن القيادة القوية المجردة من الأثائية تغدو ضرورة ملحة.

والقيادة، كما يقول "سبنسر" ليست مجهوداً يبذل من أجل "صياغة الرأي العام" الذى يسمع عنه المرء كثيراً من منصة الخطباء. ويجب على المرء أن يندد بطموح أى محرر لصياغة رأى قرائه حسب معايير الذاتية. وصياغة الرأى تعنى تشكيكه - وتحريفه غالباً - طبقاً للمثل العليا أو الآراء الخاصة بشخص واحد أو جماعة من الأفراد. ولا يعنى هذا التبرير أكثر من مجهود يبذل لصياغة طباع طفل، وذلك أمر ضار بطبيعة الحال. وكما تضاعلت حياة أكثر من رجل لأن أبا فضولياً يتدخل فيما لا يعنيه، له شخصية متسلطة قد شوه شخصيته الفردية ووضعها فى قالب غير صحيح أثناء سنوات الطفولة. والطفل لا يختلف عن الجمهور فى كثير من النواحي. فكل منهما يحتاج إلى الإلهام للتطور، وللتعبير عن الذات بوسائل فردية. وكل منهما فى حاجة إلى التشجيع والإرشاد بل والتحذير. ولكن لا أحد منهما يحتاج إلى التلقين الذى يصل إلى درجة حجب الأصالة

أو الفردية. والمحرر الذى يحاول إملاء إرادته يضطر عادة إلى التسليم والإذعان، ويتعرض لخسارة جسيمة فى نفوذه وشهرته، وفى المقابل هناك محررون يتمتعون بقوة شخصية كافية؛ ومغناطيسية عظيمة؛ تكفيان لأن يسودوا فى مجتمعاتهم، على قدر اهتمامهم بتقديمها ورقبها ونهوضها.

وصفوة القول - إذن - فإن التفسير الوظيفى للمقال الصحفى إنما ينطلق من - معطيات الواقع - ليبشر بالمدينة الفاضلة؛ تحقيقاً لحلم أفلاطون فى جمهوريته المثالية التى جعل حكامها من الفلاسفة. حتى لتقودنا كلمة "يوتوبيا" اليونانية القديمة إلى كلمة "طوبى" التى جاءت فى القرآن الكريم مرة واحدة فى قوله تعالى فى سورة "الرعد" [الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب].

ومن أجل ذلك وضع بعض المترجمين المعاصرين كلمة "الطوباوية" فى مقابل لفظ "يوتوبيا" التى جعلها الكاتب السياسى الانجليزى توماس مور (القرن السادس عشر الميلادى) عنواناً لكتابه الذى صور فيه للناس مدينة مثالية تحقق لهم أكبر قدر من السعادة يحلم بها الإنسان؛ وتستأصل من نفوسهم نوازع الشر؛ وتجبلهم على الخير..

الليست "الخيرية" التى تطبع الوظائف الصحفية للمقال بطابعها متصلة بهذه المدينة الفاضلة؛ على نحو ما من الأنحاء؟! ألا نرى أن فهم هذه الوظائف الصحفية فى الفكر الأوروبى والأمريكى؛ يتصل بجمهورية أفلاطون؛ ويوتوبيا توماس مور؛ وتومازو كامبانيللا صاحب مدينة الشمس؛ والسير "فرنسيس بيكون" فى الأدب الإنجليزى؛ وصاحب المنهج التجريبي الجديد؛ وصاحب "أطلنطس الجديدة" مدینته الفاضلة؛ التى حلم فيها بدولة مثلى يحكمها العلماء لا الفلاسفة..

فهل نصل نحن أيضاً من ذلك إلى فهم الوظائف الصحفية فى الفكر العربى والإسلامى؛ على نحو يصلها بمدينة "الفارابى" الفاضلة؟! حتى ليصبح مفهوم "الخيرية" فى التفسير الوظيفى للفن الصحفى؛ هو المقابل للفضيلة فى مدينة "الفارابى" الفاضلة؛ وهى التى رآها سبيل السعادة؛ ورأى دعامتها: التعاون.. ولهذا

عرف مدينته الفاضلة بقوله إنها "التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية".

وتأسيسا على أن التفكير ظاهرة اجتماعية؛ فإننا نحاول في نهاية هذا الفصل دراسة المقال الصحفي بين فنون القول، الأمر الذي يقتضينا أن نجتهد ما استطعنا في تحديد بيئة المقال الصحفي، لنتعرف من بعد على مقوماته؛ تأسيسا على أن المجتمع الحديث لا يقع في مجال الرؤية المباشرة لأحد، كما أنه غير مفهوم على الدوام، وإذا فهمه فريق من الناس، فإن فريقا آخر لا يفهمه على حد تعبير الكاتب الأمريكي "ولتر ليمان". وهنا نتضح لنا وظيفة المقال الصحفي في الشرح والتفسير والتكامل، حيث يصبح حلا لصياغة المعرفة بطريقة علمية واقعية، الأمر الذي يجعل من كُتّاب المقال الصحفي وسطاء اجتماعيين بين الخبراء المتخصصين من ناحية والقارئ العام من ناحية أخرى.

ذلك أن الفن الصحفي - على حد تعبير الدكتور إمام - فن حضارى بالضرورة، فإذا كان الشعر مثلا، يزكو ويزدهر في البيئة اليدوية، حيث تسود الحضارة الشفوية، فإن الفن الصحفي - الذي ينتظم فن المقال في أعطافه - على العكس من ذلك. إذ البيئة المحدودة تكتسب فيها المعرفة بالتجربة المباشرة والشخصية، لأنه إذا كان جميع أفراد مجتمع من المجتمعات مُعْثَنين ليفهموا بالتجربة المباشرة ما يجرى من أحداث، فإن الطرق العادية للاتصال الشخصي تكفي لنشر الأخبار وتفسيرها في هذا المجتمع، ولا يحتاج الأمر لأية وسيلة من وسائل الإعلام الحديثة.

ولكن المجتمع الذي يزداد نموه، وتتوسع تخصصاته، وتتعدد مشكلاته، لا يلبث أن يجد في فن المقال الصحفي ضرورة حتمية لمواجهة المعادلة الصعبة صياغة المعرفة بطريقة علمية واقعية.

• المقالة الأدبية.. والمقال الصحفي

وإذا كان عصر النهضة هو البيئة المواتية لظهور فن المقال الأدبي، فقد كانت عصور التقدم العلمي، والتتوير الفكرى - وتكوّن الرأى العام وظهور الطبقة

الوسطى التى تمتاز بعقلية واقعية، وتهتم بمشكلات المجتمع العملية؛ من أهم عوامل ظهور فن المقال الصحفى.. الذى يختلف عن فن المقالة الأدبية اختلافا جوهريا من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب جميعا، فالمقال الأدبى يعبر قبل كل شئ عن تجربة معينة مست نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه. أما المقال الصحفى فيتصل أكثر ما يتصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة، كما يفترض وجود رأى عام يخاطبه ويتحدث إليه. ولذلك، فإن المقالة الأدبية تدخل فى اعتبارها عواطف الفرد ووجدانه، أما المقال الصحفى فيهتم بما يسمى الوجدان الجماعى.

وتشتمل المقالة الأدبية كما تقدم على: المقال الوصفى أو الغرضى، والمقال النزالى والمقال النقدى، والمقال الكاريكاتيرى والمقال القصصى، والمقال الاعترافى... الخ.

أما المقال الصحفى فينقسم إلى أنواع منها: المقال الافتتاحى أو العمود الرئيسى، والعمود الصحفى، وفن اليوميات الصحفية.

الفصل الثالث

فن المقال الافتتاحي

.. ونحن نذهب إلى أن المقال الصحفي قد وظف فنون المقالة الأدبية من قصصية ووصفية ونزالية وكاريكاتيرية لأداء مهام الفن الصحفي، الذي يقوم في جوهره على أنه فن تطبيقي وليس فناً تجريبياً، وهو لذلك يقوم على أداء وظائف الإعلام والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع والتعليم والتنشئة الاجتماعية. فالمقال الصحفي مسئول عن تقديم المعلومات إلى الجماهير بصورة مبسطة مستساغة، وخالية من التفاصيل المعقدة، ولذلك يجب أن يكون المقال الصحفي جميل الأسلوب، مشرق الديباجة، متفرداً في موضوعه وهدفه، قوياً في تعبيره عن الرأي.. وإذا كان المقال يدعو لقضية، فلا بد أن يفعل ذلك دون إيهام، وإذا كان يشرح أو يفسر أو يحلل؛ فإن على الكاتب أن يقدم تفسيراً أكثر مما يستطيع المندوب الصحفي تقديمه في أعمدة الأخبار، متوسلاً بما يتميز به الفن الصحفي الحديث من تبسيط وتجسيد وتصوير، حتى ليقم أعقد المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية باصطلاحات الإنسان العادي.

ويعتبر "المقال الافتتاحي" من أهم فنون المقال الصحفي، لاعتماده في الشرح والتفسير والأيضاح على الحجج والبراهين، والإحصاءات والبيانات، للوصول في نهاية الأمر إلى إقناع القارئ وكسب تأييده، ذلك أن هذا المقال في مدلوله الاصطلاحي Leading Article، إنما يقود غيره من المقالات ويتقدمها من حيث تعبيره عن رأي الصحيفة كمؤسسة؛ ومن حيث تناوله لأهم الموضوعات بالقياس إلى سياستها التحريرية، ومن حيث المساحة الثابتة الممنوحة له، ولذلك فإن المقال الافتتاحي كثيراً ما يكون غفلاً من التوقع.

غير أن اتجاه هذا المقال إلى التعبير "الاشخصي" لايعني الجفاف في التعبير، أو الجفاء في موقف الكاتب من القارئ، إذ أن خاصية التبسط في الحديث

والإيناس فى السرد لاتزال من أهم مميزات فن المقال الصحفى. وهى المميزات التى يتسم بها أدب المقالة فى نماذجها الماثورة، حتى "يشعر القارئ من مقالات كتابها أنه إنما يجلس إلى صديق من أصدقائه، ويستمتع إلى بعض إخوانه، ويدور معه حيث يدور، ويدخل معه فى شجون من الحديث لا يحب أن يصل إلى نهايتها، وهى المميزات التى تجعل المقالة الصحفية تقوم على "روح المشاركة"، وهى روح الديمقراطية الحققة التى تفترض المساواة بين الجميع. ومن هنا فإن هذا الفن المقالى فى الصحافة المعاصرة يتسم بالهدوء والابتعاد عن الاستعلاء أو الخطابة. ذلك أن المقال الافتتاحى يهدف إلى الاقتناع لا مجرد الاستمالة العاطفية.

فالشواهد والأدلة والبراهين، سواء بالنصوص أو الإحصاءات، أو المقارنات ضرورة لازمة للتعليل على الأخبار والمجريات، وكثيرا ما يكون المقال الافتتاحى بمثابة تعليل على الأخبار والأحداث الجارية، مع الاستشهاد - بطبيعة الحال - بأمثلة تاريخية وتقارير إخبارية. ولذلك فإن كاتب المقال الافتتاحى يعتمد اعتمادا كبيرا على الأرشيف الصحفى، وعلى مذكراته الخاصة، بالإضافة إلى ذاكرته القوية، ومن ثم فإن كاتب المقال الافتتاحى - فى نهاية الأمر، رغم عدم توقعه باسمه، معروفا لدى جمهور القراء الذين تألفوا مع أسلوبه وتعودوا على فتح الصحيفة فى صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل الأسلوب والمقنع فى حجته.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفحاتها، ما عدا واحدة، ما يجرى فى العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء؛ وتستبقى صفحة واحدة فقط، وفى بعض الأحيان عمودا واحدا فحسب، لتجهر بأرائها وأفكارها، فحق الصحيفة فى الإعراب عن رأيها فى الأنباء التى تنشرها أمر طبيعى جدا، إذ النبأ والرأى رفيقان يظهران جنبا إلى جنب. ولذلك فإن أول سؤال يبدر إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأى معلومات تثير اهتمامنا هو "ما رأيك فى هذا الأمر؟".

ولذلك أيضاً كانت الصحف فى أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة، فتصدر إحداها فى رسائل الأنباء والأخرى فى كراسات. وكان "ديفويل ديفو"، هو أول من وحد بين هذين التيارين الصحفيين فى مطبوع واحد أسماه "ذى ريفيو" أصدره فى لندن عام ١٧٠٤^(١).

وينسب إلى "ديفو" أولية كتابة ما كان يسمى بالخطاب الافتتاحى Letter Introductory . وهو أول مقال حول موضوع سياسى أو اجتماعى تعليقا على الحوادث الجارية يكتب فى الصحافة الإنجليزية بأسلوب شائق جذاب، ويظهر عادة فى صدر الصحيفة وكأنه خطاب رقيق لطيف من الكاتب إلى القارئ، ولذلك سُمى بالخطاب الافتتاحى، وكان نواة للمقال الافتتاحى الذى نعرفه فى الصحافة الحديثة.

وقد كان المقال الافتتاحى فى القرن الماضى يشغل الصفحة الأولى وبعض أجزاء من الصفحات الأخرى، ولم يتزحزح عن مكانه الممتاز فى الصفحة الأولى إلا فى وقت قريب - أى منذ انحازت الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة للأخبار، وقلت عنايتها نوعا ما بالمقال. وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة فى كل أمة من الأمم، فى فترة من فترات التاريخ.

ففى الصحافة العربية اشتهر من كتاب المقال: محمد عبده، وإديب إسحق، وعبد الله النديم، والزعيم مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد، وعبد القادر حمزة، وأمين الرافعى وإبراهيم المازنى، وحسين هيكل، والعقاد، وطه حسين، وغيرهم من أساطين الفكر والأدب والصحافة وفى الصحافة الإنجليزية أسماء كتاب المقال من أمثال ديفو وأديسون وستيل، وجونسون وويلكيز وديكنز ولايب وبرنارد شو وبوب وغيرهم، وكذلك كان كتاب المقال من الأمريكيين من ألمع رجال الفكر والسياسة والأدب ومنهم صمويل آدمز وجون آدمز وجوزيف وارن وصمويل كوين ورالف أمرسون ووالتر ليمان وغيرهم.

(١) الدكتور إبراهيم امام: تطور الصحافة الإنجليزية، ص ١٩٦، ١٠٣.

وقد كان المقال الافتتاحي ينهض بمهمة القيادة والزعامة، كما كان وسيلة التوجيه والارشاد والتثنية الاجتماعية، والوسيلة المؤثرة لتكوين الرأى العام. ولا يزال المقال الافتتاحي يقوم بدور رئيسى فى الصحافة الرفيعة أو صحافة الرأى العام المستنير كصحيفة التيمس الانجليزية والنيويورك تايمز الامريكية والموند الفرنسية وغيرها، بل إن مقالات هذه الصحف قد تتجاوز فى أهميتها وتأثيرها حدود البلاد التى تنشر فيها الصحيفة؛ إلى بلاد أخرى^(١).

ويطلق الانجليز والأمريكيون على المقال الافتتاحي اسم Leading Article أو اسم Editorial Article، وهو المقال الرئيسى للصحيفة، وله فن خاص به من حيث الصياغة. وأساس هذا الفن هو الشرح، والتفسير والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً، والعاطفية حيناً آخر، للوصول إلى غاية واحدة فقط، هى إقناع القارئ. كما أن كاتب المقال الافتتاحي فى الجرائد الكبرى مثل (التيمس) و(الهيرالد تريبيون) يكون معروفا لدى جمهور القراء، بمعنى أنهم قد تعودوا على أسلوب كاتب المقال الافتتاحي الذى يجب أن يتميز بالسلاسة والبساطة والوضوح والابتناس بين الكاتب والقارئ. ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحي - الذى لا يوقع باسمه، معروفا لدى جمهور القراء الذين تآلفوا مع أسلوبه، وتعودوا على فتح الصحيفة فى صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب؛ المقنع فى حججه.

وقد أوحى لغة الصحافة المنطرفة فى حزبيتها، الصاخبة فى أسلوبها وعباراتها إلى عبقرية - ديفو إيداع المقال الهادئ المتزن، الذى يحص الآراء ويختبر الحقائق ويناقش سياسة الحكومات فى هدوء وروية. وهكذا أنشأ ديفو - كما تقدم - فى تاريخ الصحافة الانجليزية مقالات سياسية معتدلة، ومنطقية متزنة. ثم تطور فن المقال الافتتاحي فى الصحف السياسية التى اشترك فيها "ديفو" حتى بلغ مرحلة الفن الناضج الذى يقوم على أسس معينة وتقاليد محترمة. وبفضل "ديفو"

(١) د. ابراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى، ص ٢٠٩.

عرفت الصحافة أن المقال الافتتاحي ليس تعبيراً عن رأى الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة، كما هي العادة بالنسبة لأنواع المقال الأخرى. وفنونه المتعددة، بل إنه على العكس من ذلك ينبغي أن يكون تعبيراً دقيقاً عن رأى الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة. فإذا كتب رئيس التحرير مقالاً افتتاحياً فلا يجوز أن يضمّنه رأياً شخصياً، وإنما يعبر عن سياسة الصحيفة وموقفها العام بالنسبة للشئون السياسية والاجتماعية. ولذلك فإن المقال الافتتاحي لا يمكن أن يُنزل بتوقيع كاتبه وإلا كان التوقيع متعارضاً مع فكرة المقال نفسه ووظيفته فى التعبير عن السياسة العامة للصحيفة، لا رأى الكاتب وحده" وتأسيساً على هذا الفهم لوظيفة المقال الافتتاحي ذهبت الصحافة الحديثة إلى تخصيص صفحة للرأى والاقتراحات؛ تتألف من آراء الصحيفة نفسها وكذلك من آراء الآخرين، وقد تكون هذه الآراء الخارجية هى أفكار قراء الصحيفة ترد إليها على الطريقة المعروفة: "رسائل إلى المحرر" أو مقتطفات موجزة من أعمدة الرأى المنشورة فى صحف أخرى، تنقلها تحت عنوان مثل "من أقوال الصحف" مثلاً.

ويتحمل كتاب الاقتراحات مسئولية كبرى تجاه الجمهور، إذ يتحتم عليهم أن يكونوا من ذوى الاطلاع الواسع، وأن يجعلوا من أنفسهم اختصاصيين فى الموضوعات التى يكتبون فيها وأن يكونوا منصفين فى الآراء التى يكونونها أو يعبرون عنها، فليس هناك فى هذه الأيام إنسان واحد يستطيع أن يقتدى "بفرنسيس بيكون" و "يجعل المعرفة كلها ملك يديه" ^(١) على أن الأمر كما يقول "جافرى بارسونز" عندما كان المستشار الرئيسى لجهاز تحرير الاقتراحات فى صحيفة "نيويورك هيرالد تريبيون"، هو ما يلى:

"كلما ازداد أساس المعرفة عند الكاتب متانة، ازدادت قدرته على استنهاض الفكر فى أى موضوع فإن كاتب المقال الافتتاحي المجيد يخاطب من الناس عدداً أضخم بكثير مما توصل إليه أى مدرس أو فيلسوف أو ناقد إطلاقاً... وليس كثيراً عليه أى قدر من المعرفة، إذا كان عليه أن يستوقف انتباه جمهوره.

(١) بوند: مدخل فى الصحافة ص ٢٨٩، ٢٩١.

وإدراكا لهذه الأهمية، ذهب علماء الاجتماع إلى القول، إن الظروف والأحداث التي تمر بالإنسان والتغيرات التي تطرأ على المجتمع لا يمكن أن يكون لها دلالة ما، أو يكون لها في كيان الفرد أو المجتمع أثر ما، إلا إذا وعاهما الفرد وأدركها وقدرها وكيفها؛ فإذا لم يحدث من ذلك شيء ظلت هذه الظروف والأحداث والتغيرات بعيدة عن وجدان الناس، بل أصبحت وهي في حكم العدم^(١).

وينعكس أثر هذه المعرفة التي حصلها كاتب المقال الافتتاحي على ما يكتبه تحليلًا للأخبار؛ وما وراء الأخبار، وما يحمل كل خبر منها من مغزى، وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما تستطيع الجماعات أن تحل مشاكلها التي تعرض لها، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية، ويكون الفضل في ذلك راجعًا إلى الصحافة، أو إلى ذلك الكاتب الذي انبرى للكتابة في الوقت المناسب وأخذ يزوج بنفسه في تلك المشكلات، وإن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها، أو اشتركوا في إحداها على أية صورة من الصور.

بينما قد لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التي أحاطت بهم وأصبح لها أثر في حياتهم، وذلك لاتعدام الوعي من جهة، ولعجزهم عن تصور حياة أفضل، أو حالة أحسن من جهة ثانية.

ولذلك يرتبط المقال الافتتاحي - شأنه شأن فنون المقال عند الكتاب المقاليين في الصحافة الحديثة بقيادة الفكر، التي تتوزعها في العصر الحديث أمور مختلفة. إذ أن ظروف الحياة نفسها قد وزعتها بين هذه الأمور، فلم تستأثر الفلسفة، ولم يستأثر الشعر، ولم تستأثر السياسة، ولم يستأثر الدين، بقيادة الفكر في فصل من فصول هذه القصص التي يكونها العصر الحديث، وإنما اشتركت هذه الأمور كلها في قيادة الفكر، وأخذ كل منها بنصيب من توجيه العقل الإنساني والتأثير في الحياة والشعوب.. وآية ذلك أنك تنظر في أي وقت من أوقات هذا العصر الحديث، فإذا أنت أمام فلسفة تجاهد لتسيطر على الحياة، وسياسة تجاهد لتصوغ الحياة كما

(١) د. عبد اللطيف حمزة: المدخل في فن التحرير الصحفي ص ٢٢٦.

تحب، وأدب يجدد ليكون له التفوق والفوز، ولكل واحد من هذه الأشياء زعماءه وممثلوه والداعون إليه والذاتون عنه، حتى الأوقات التي يخيل إليك فيها أن أمرا من هذه الأمور قد ظهر تفوقه واستأثر بالفوز والغلبة. فقد يخيل إليك "أن عصر الثورة الفرنسية مثلا كان عصر سياسة ليس غير، ولكن فكر قليلا وأتقن درس هذا العصر، تجده عصر سياسة وعصر حرب، وعصر علم، وعصر فلسفة، وعصر تشريع، بل عصر دين أيضا، وتجده كل هذه الأمور تزدهم وتتنافس وتستيق إلى قيادة الفكر تريد أن تستأثر بها وتسيطر عليها".^(١)

ولا شك أن توزع قيادة الفكر، وتنوع الموضوعات يؤيدان خدمة جليلة للصحافة الحديثة واسعة الانتشار، والتي يختلف قراؤها اختلافا كبيرا في الأنواع والأمزجة، فهناك مقالات حول الرياضة، وأخرى حول الفن، بالإضافة إلى السياسة والاقتصاد، والشئون العامة. على أن الصحافة لم تعد فحسب من هذا التوزع في قيادة الفكر، ولكنها كانت سببا في توزع هذه القيادة. ذلك أن الكاتب أو العالم أو الفيلسوف لم يكن أحدهم يظفر بانتشار كتبه في العصور الأولى، إلا إذا اظفر بشئ من الشهرة وبعد الصيت، يرغب الناس في آثاره. ولم يكن الظفر بهذه الشهرة سهلا ولا يسيرا، أما الآن فقد يسرت المطبعة على كل ذي رأى أن ينيع رأيه ويناضل عنه، وعلى كل باحث أن ينشر ثمرات بحثه بين الناس. ولم تكده تظهر المطبعة، وتأخذ فيما أخذت فيه من النشر والاذاعة، كما يقول طه حسين حتى "ظهرت آثار ذلك قوية في حياة العصر الجديدة، فكثر الآراء واختلفت أو قل ظهرت كثرة الآراء واختلافها" واستطاعت أن تجاهد وتختصم وتتنافس في قوة وسرعة لم يكن للناس بهما عهد من قبل، ذلك أن المطبعة استتبعت شيئا آخر غير الكتب والرسائل، استتبعت الصحف اليومية والدورية. وقد أدى ظهور "الصحف اليومية السياسية والعلمية والأدبية إلى توكيد توزع قيادة الفكر، وانتهى به إلى حد غريب فقد كان العلماء والكتاب والفلاسفة والساسة ينشئون كتبهم وينشرونها، فيستغرق ذلك منهم الأشهر والأعوام، ويستتبع ذلك بطنا فيما يكون بينهم من النزاع والنضال والاستباق إلى قيادة الفكر. أما بعد أن ظهرت الصحف فالنزاع

(١) د. طه حسين : قادة الفكر ص ١٢٣.

يومي، أو أسبوعي، أو شهري، هو عنيف، وهو سريع، وهو متصل، وهو مؤثر في توزيع قيادة الفكر، بمقدار ما يشتد ويسرع ويستمر^(١).

وينعكس أثر توزع قيادة الفكر في العصر الحديث، على ما تكتبه الصحف من تحليل للأخبار وما وراءها، وعما يحمل كل خبر من مغزى، حتى يتمكن الأفراد والجماعات من حل المشاكل التي تعرض في الحياة، سواء كانت مشكلات نفسية أم اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية^(٢)، وفي ذلك ما يؤكد مسئولية كاتب المقال الافتتاحي تجاه الرأي العام، فهو يدرك تمام الإدراك أن صياغته للمقال ليست صياغة أدبية، ولا هي صياغة غير ملتزمة، وإنما هي صياغة ترتبط بسياسة الجريدة من ناحية، واهتمام القراء وميولهم، من ناحية أخرى. ولذلك نجد أن افتتاحيات الصحف الكبرى تعكس توزع قيادة الفكر فيما تحتوى عليه من تعليق سياسي، وآخر اقتصادي، وثالث اجتماعي، ولا تهمل التعليق الطريف أو الخفيف الذي يقوم بالتسلية والامتناع.

وتتصل مهمة الإقناع بالوظيفة التوجيهية في وظائف المقال الافتتاحي حين ينقل الكاتب إيمانه بأفكاره، على النحو الذي يجعله يحتل دورا قياديا في توجيه الرأي العام، ذلك أنه لا يكتفى بنقل الأفكار وتفسيرها، ولا ينقل إيمانه بأفكاره بتعبير عاطفي، ولكنه يؤثر ويدوم لتعلقه "بحرارة الفكر". أكثر من حرارة العاطفة! ذلك أن المقال الصحفي لم يعد مجرد توجيه بلاغي كما كان في طور التكوين الصحفي، بل إنه على العكس من ذلك ينهج منهاجا في التحرير يقوم على الدليل والبرهان، ويعتمد على الحقائق والأرقام والبيانات والإحصاءات الدقيقة. وهذه وسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد وهي التي تعطيه من القوة والتأثير ما لا يمكن أن تحققة الألفاظ الضخمة الجوفاء^(٣).

(١) الدكتور طه حسين: المرجع السابق ص ١١٥.

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة: مرجع سبق ص ٢٢٧.

(٣) د. إبراهيم إمام: السابق ص ٦٨.

وفى ذلك ما يؤكد على مسئولية كتاب المقال الافتتاحى كصاغة للرأى العام. الأمر الذى تشهد به لهجة القواعد والمبادئ التى نسقها وانتهجها المؤتمر الوطنى لكتاب الافتتاحيات فى الولايات المتحدة، فقد جاء فى فذلكة هذه القواعد "أنه يجب على كاتب المقال الافتتاحى، إذا كان يتوخى الأمانة لمهنته ومجتمعه، أن يجد فى أثر الحقيقة أنى أدى به المطاف".

وفيما يلى النقاط الأساسية لهذا القانون:

- ١- ينبغى على كاتب المقال الافتتاحى أن يعرض الحقائق بأمانة واكتمال.
 - ٢- ينبغى عليه أن يخلص من الحقائق التى يوردها إلى نتائج موضوعية، وأن يدعمها بالبيانات، وأن يقيّمها على مفهوم الخير الأعم.
 - ٣- ينبغى عليه ألا يكون مدفوعاً أبداً بمصلحة شخصية.
 - ٤- ينبغى عليه أن يدرك أنه ليس معصوماً من الخطأ، وأن يفسح مجال القول لمن يخالف رأيه، فى عمود رسائل القراء وغير ذلك من الوسائل الملائمة.
 - ٥- ينبغى عليه أن يعيد النظر فى استنتاجاته الخاصة وأن يصحح ما انتهى إليه منها إذا وجدها مرتكزة على مفاهيم خاطئة سابقة.
 - ٦- ينبغى أن يكون من الشجاعة بحيث يصمد لما يقتنع به على أسس متينة؛ وألا يكتب أبداً أى شئ ضد ضميره. وعندما تكون صفحات الافتتاحيات نتاج أكثر من ذهن واحد، فإن الوصول إلى رأى جماعى سديد لا يتم إلا عن طريق الآراء الفردية السديدة.، لذلك ينبغى احترام الآراء الفردية الصادرة عن تفكير.
 - ٧- ينبغى عليه أن يؤازر زملاءه فى تمسكهم بأعلى مستويات الاستقامة المهنية.
- ونتيجة لهذه الأهمية التى أحرزها المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة، فقد احتل الصفحة الأولى من صفحات الجريدة، بحيث كان أول شئ يطالعه القراء فيها، ولم يتحزح المقال الافتتاحى عن مكانه الممتاز فى الصفحة الأولى إلا فى

وقت قريب - أى منذ "انجازات الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخبر، وقلت عنايتها نوعا ما بالمقال وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة؛ من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة فى كل أمة من الأمم، بل فى كل فترة من فترات التاريخ^(١)."

فى الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحى للمجلة أو الصحيفة، أمثال: محمد عبده، وأديب اسحق، وعبد الله النديم، وإبراهيم المولى والسيد على يوسف والزعيم الشاب مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد، وعبد القادر حمزة، وأمين الرافعى، وإبراهيم المازنى، وحسين هيكل، وغيرهم من أساطين الأدب والفكر والصحافة جميعا كما تقدم.

وفى الصحافة الانجليزية وجننا المقال الافتتاحى مكتوبا بأقلام "ديفو"، و"أديسون"، و"جونسون"، و"ستيل"، و"ويلكز"، و"سويفت" وغيرهم.

وقد أصبح للافتتاحية فى الجريدة المعاصرة صيغة صحفية مميزة، وأقرب الأشكال إليها هو المقال.. الا أن الفرق بينهما يكمن فى أن الافتتاحية موجزة وذات طبيعة معاصرة، أما المقال فهو اليوم على قدر من الازدهار ويسر المطالعة، مثله يوم خطه قلم الكاتب لأول مرة. فما كتبه "أديسون" أو "ستيل" فى القرن الثامن عشر لم يفقد قيمته اليوم، لأنه يعالج كقاعدة؛ موضوعا ذا قيمة أساسية. أما الافتتاحية التى كتبت فى القرن الثامن عشر فانها لا تستوقف الاهتمام اليوم إلا لمجرد ما تتطوى عليه من قيمة أثرية، ذلك أنها تكون قد عالجت موضوعا ذا علاقة آنية بذلك الوقت فحسب^(٢).

وتأسيسا على هذا الفهم فإن يمكن تعريف المقال الافتتاحى يذهب إلى أنه:

(١) د. عبد اللطيف حمزة : المدخل ص ٢٢٧.

(٢) بوند: مدخل ص ٢٩٣.

مقال قصير وثيق الارتباط بالزمن الذى يصدر فيه.

أما الغرض الذى يرمى إليه هذا المقال الافتتاحى فهو عرض الرأى الذى تراه الصحيفة نفسها، متوسلة بطرق متنوعة لبيان هذه الأفكار والآراء.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن "آرثر بريسبين"، الذى كان له أتباع كثيرون فى أيامه كان يعتقد أن مجال كاتب الافتتاحية إنما يقوم على أداء أغراض، هى: أن يُعَلِّم، ويُنْزِل ويُدافع ويمتدح.. والتعليم هو أهم هذه الأغراض وأصعبها. والنزال أسهلها وأبغضها إلى النفس، وإن كانت دواعيه ضرورية فى بعض الأحيان.

أما الدفاع عن القضايا الخسيرة، وعن الضعيف ضد القوى، وعن الفكرة الجديدة والحيلولة دون تسفيهاها، فأمرٌ مهم؛ يهمله كتاب الافتتاحية عادة.

وكذلك الثناء مهمٌ أيضاً إلا على الصعيد الحزبى دون أن يكون له معنى ما.

إن وظيفة الافتتاحية، من وجهة نظر مثالية، هى إعلام الرأى العام، والأخذ بيده. فهى تفسر النبأ السائر للقارئ وتبين ماله من دلالة. وتقول فى ذلك جريدة "نيويورك تايمز". إذا ضلت الوظيفة القيادية طريقها فى بعض المواضع بين وقت وآخر، فإن العامل المعتمد عليه فى التصويب جاهز دائماً فى متناول اليد؛ وذلك إذا كانت أعمدة الأنباء تعرض الحقائق بأمانة.

ونخلص مما تقدم إلى أن الخصائص التى يتميز بها المقال الافتتاحى فى الصحافة المعاصرة إنما تتلخص فيما يلى (١):

أولاً- خصيصة الثبات على سياسة واحدة هى سياسة الصحيفة، إذ لا يصح لهذه الصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة لأنها بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأى.

(١) د. عبد اللطيف حمزة: المدخل ص ٢٢٠.

ومن أجل هذا يراعى فى المقال الافتتاحى عادة ألا يكون مذبلاً بتوقيع كاتبه، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها؛ بوصفها هيئة من هيئات الإعلام، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام.

ثانياً - خصيصة الحذر والاحتياط فى إبداء الرأى، لأنه مادام رئيس التحرير أوكاتب المقال الافتتاحى لا يعبر عن رأيه الشخصى، بل عن رأى الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها - الإعلام - وجب عليه أن يصطنع الحيلة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة: وإلا عرّضها للخطر.

وهنا نثار مسألة تتصل "بضمير الكاتب": فهل معنى ما تقدم؛ أن الكاتب ينبغي أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التى قلنا إنها ملك الصحيفة قبل أن تكون ملكاً للكاتب من كتابها؟

والجواب عن ذلك - كما يقول الدكتور سبنسر - هو أن الكاتب الذى يختلف فى وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من المقال الافتتاحى مجالاً.. لإظهار ذلك.

وباختصار يجب أن يعرف المحرر الصحفى للمقال الافتتاحى أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها فى بعض ويعتمد بعضها على بعض ويتداخل بعضها فى بعض، وهذه الأشياء الثلاثة هى:

سياسة الجريدة، وصياغة المقال، واهتمام القراء^(١). والواقع أن وظيفة كاتب الافتتاحية تظل هى كما كانت دائماً؛ تفسير الأنباء، إرشاد الرأى، والقيام بالحملات من أجل مساندة القضايا العادلة. ولكن النطاق الذى يعمل الكاتب ضمنه قد اتسع.

وليس الترفيه أقل خصائص المقال الافتتاحى شأنًا. فإن كاتب المقال الافتتاحى كثيراً ما يجد هذه المهمة أصعب من مجرد مناقشة قضية ما أو عرض عقيدة سياسية ما.. بيد أن الاتجاه الحديث المتزايد يذهب نحو إشاعة الإشراق على صفحة الرأى والافتتاحيات بما يسمى الافتتاحيات "الرشيقة المرحّة" المختلفة عن الافتتاحيات التقليدية، كالبحث فى قاعدة لغوية ومداعبة الشاذ عنها أو المتمسك بأصولها حتى التعصب.

(١) د. حمزة: المنخل ص ٢٣١.

تلك فى إيجاز شديد، هى أهم خصائص المقال الافتتاحى فى الصحافة العالمية والتي اكتسبها نتيجة لتطور الصحافة نفسها. فأصبحت الصحافة الحديثة تعتمد إلى كتابة العمود الرئيسى أو المقال الافتتاحى على نحو من الإيجاز فى عمود واحد من أعمدة الصحيفة. وفى هذا العمود مقال واحد حيناً، ومقالان أو ثلاثة حيناً آخر.

وذلك لكى تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التى لم تعرفها الصحافة القديمة، أو كانت معرفتها بها قليلة.

الوحدة العضوية فى تحرير المقال الافتتاحى:

ونخلص مما تقدم إلى أن المقال الافتتاحى "وحدة" مستقلة، وليس مجرد سرد للحقائق، أو إثبات بالشواهد، أو إيراد للأمثلة .. إنه وسيلة للتعبير عن رأى من آراء الصحيفة، أو منحى من المناحى التى تروج لها فى الاجتماع أو السياسة أو الفكر. ولذلك نجد الكاتب المقالى يبسط هذه الآراء والمذاهب ويبسط الحقائق التى يوردها لقرائه، بحيث تدعم فكرة المقال، وموضوعه، وغايته التى تنصب دائماً حول غرض واحد.

وأغلب الظن أن هذه "الوحدة"، التى تربط بين أعضاء المقال الصحفى، أو ترق ارتباطاً بما ذهب إليه نقاد الأدب من الدعوة للوحدة العضوية فى القصيدة، فلاحظنا فيما سبقناه من نماذج وما اطلعنا عليه من التراث الصحفى^(١)، أن المقاليين يراعون النسب بين الأفكار والشواهد وبين الشكل الخارجى للمقال أو البناء الفنى، بحيث يخرج المقال الصحفى متكامل الأجزاء متناسق الشكل والمضمون. وفى هذا الإطار الفنى فقد مهد الكتاب المقاليون فى أدبنا الحديث لتحقيق شكل جديد للمقال

(١) انظر: ١- فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة، هيئة للكتاب.

٢- فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، القاهرة هيئة للكتاب.

٣- عصر العقاد، صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة المصرية، القاهرة مؤسسة مختار.

٤- أدب المقالة: مؤسسة لونجمان - مكتبة أبو الهول.

٥- فنون المقال بين الصحافة والأدب - القاهرة مؤسسة مختار.

٦- التفسير الاعلامى لأدب المقالة؛ القاهرة مؤسسة مختار.

٧- فن المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، بيروت دار الجبل.

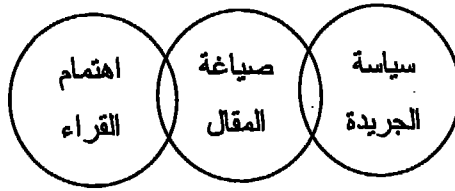
٨- المقالة الأدبية وعصر الاحترام؛ بيروت دار الجبل.

٩- فن المقال الصحفى؛ دار المعارف (مسلسلة كتابك)

١٠- الأسس الفنية للتحرير الصحفى؛ دار قباء للطبع والنشر

الافتتاحى فى الصحافة العربية، يودى عنها أفكارها الجديدة فى السياسة والاجتماع، على النحو الذى حقق للمقال الصحفى التجديد والتحرر البيانى، كما أظهرتنا الدراسة الأسلوبية لمقالات طه حسين وهيكى والعقاد.

ويذهب علماء الفن الصحفى إلى أن كاتب المقال الافتتاحى فى الصحيفة، يجب أن يتمثل فى رؤياه الإبداعية ثلاثة عناصر متداخلة، يؤثر بعضها فى بعض، ويعتمد بعضها على بعض، ويتداخل بعضها فى بعض، كما يصورها أستاذنا د. حمزة رحمه الله على النحو التالى:



ويمكن صياغة هذه العناصر رياضيا على النحو التالى:

$$\text{سياسة الجريدة} + \text{صياغة المقال} + \text{اهتمام القراء} = \text{المقال الافتتاحى}$$

وهى كما يبين من النموذج؛ عناصر متداخلة يصدر عنها الكاتب فى رؤياه الإبداعية، ليصل بالمقال الافتتاحى إلى هدف الصحيفة المنشود، وإفادة القارئ الذى تتوجه إليه.

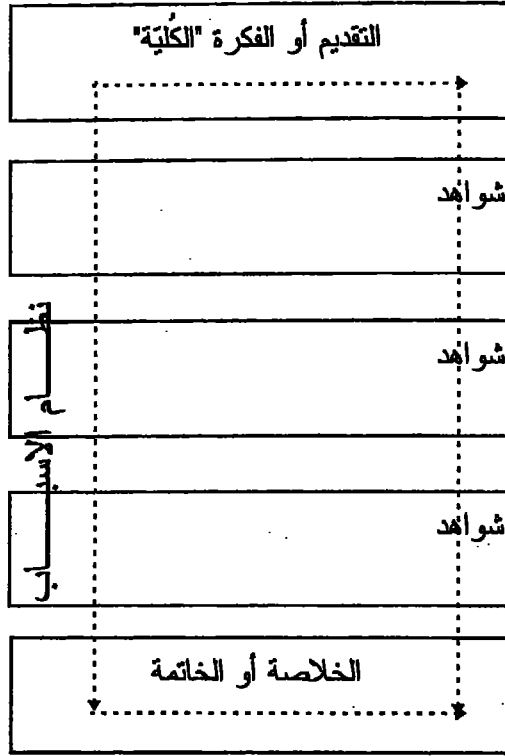
أما بناء المقال الافتتاحى، فيقوم على ثلاثة عناصر هى:

١- عنصر التقديم أو الفكرة الكلية المثيرة لاهتمام القارئ.

٢- عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة الكلية.

٣- عنصر الخلاصة التى يخرج بها القارئ من المقال.

وهذه العناصر يتألف منها "بناء" المقال الافتتاحى، على النحو الذى يوضحه النموذج التالى:



أولاً: عنصر التقديم أو الفكرة الكلية في المقال الافتتاحي:

يرتبط هذا العنصر ارتباطاً "عضوياً" بعنوان المقال، الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه فيما يتعلق بالوحدة التي تربط بين أجزاء النص، فالتقديم لا يمكن أن ينفصل عن عنوان المقال بحال من الأحوال، بل إن كليهما متمم للآخر، ولعل في ذلك ما يفسر إيثار كاتب مقال كبير مثل طه حسين لاختيار كلمة واحدة يعنون بها المقال. يختارها كلمة مشعة موحية بمضمونه، لا تنفصل عن مقدمته أو صلبه أو خاتمته، ومن ذلك مقال بعنوان: (شجاعة): يستهله بقوله :

"شجاعة نادرة باهرة هذه التي يتمتع بها بعض النواب إذا تحدثوا عن خصومهم، أفراداً وجماعات تحت قبة البرلمان. فهم يطلقون ألسنتهم في هؤلاء الخصوم بالحق والباطل، وبالخطأ والصواب، وبالجد والهزل، لا يقرون شيئاً، ولا

يحسبون حساباً، وإنما ينطلقون وكأنما خُلّيَ بينهم وبين الحركة، فليس إلى تسليتهم ولا إلى تهديتهم من سبيل^(١).

وتستخدم جريدة الأهرام في مقالها الافتتاحي عنواناً مشتقاً من موضوع المقال، بحيث يدل عليه دلالة مباشرة: مثل:

□ مصر وصندوق النقد الدولي^(٢)

□ و: عدم الاستقرار المزمن في أفغانستان^(٣).

كما يتضح في النموذج التالي:



مصر وصندوق النقد الدولي^(٤)

بعد عدة سنوات من المفاوضات المستمرة بين مصر وصندوق النقد الدولي يمكن القول بدون مبالغة أن سياسة الإصلاح الاقتصادي أتت ثمارها ونجحت في تخطي الكثير من العقبات التي عجزت دول أخرى كثيرة عن تجاوزها. وتنتهي هذه الرحلة الشاقة بالنجاح لتؤكد ثقة المجتمع الدولي ومنظماته المالية الكبرى في الاقتصاد المصري ولتفتح منافذ أخرى يتدفق من خلالها الاستثمار الأجنبي بما يعنى دعم الجهود المبذولة لرفع مستوى عيشة المواطنين، وبالاتفاق الأخير يصبح بالإمكان إسقاط الشريحة الأخيرة من الديون الملغاة وقيمتها ٤ مليارات دولار.

والواقع أن هذا النجاح في المفاوضات مع صندوق النقد لم يكن مفاجأة ولكن الجديد في الأمر أنها تجربة يحق لمصر أن تفتخر بها وتعزز ثقتها في النفس وآمالها في المستقبل من حيث القدرة على إقامة علاقات وثيقة مع

(١) صحيفة كوكب الشرق في ١٩٣٤/٤/٢٠.

(٢) جريدة الأهرام في ١٩٩٦/١٠/١٠.

(٣) نفس المرجع.

(٤) جريدة الأهرام في، أكتوبر ١٩٨٦.

المنظمات المالية العالمية لدعم مشروعات التنمية فى السنوات المقبلة. لقد كان واضحاً منذ بداية المفاوضات مع صندوق النقد أن هناك جدية من الجانب المصرى فى الإصلاح برغم صعوبة الميراث القديم من السياسات والتشريعات التى أعاقَت التطور الاقتصادى وكان واضحاً أن هناك تخطيطاً يجعل التحول من مرحلة إلى أخرى مضمون العواقب لصالح الصندوق لصالح مصر أيضاً. وكانت الحكومات المصرية عند مستوى التحدى فلم تفرط فى أساسيات الموقف المصرى ولم تصطدم بمطالب الصندوق وإنما واءمت بين الأمرين بتفكير خلاق ومبدع. وبجانب ذلك كان هناك عامل حاسم ساهم إلى حد كبير فى أن تكفل كل الجهود بالنجاح، ألا وهو الدور الذى لعبه الرئيس حسنى مبارك نفسه باتصالاته الدولية الموسعة وعلاقاته القوية مع قيادات الدول الكبرى صاحبة الكلمة فى سياسات الصندوق، والمكانة السياسية التى تحققت لمصر على المستوى الدولى بفضل الدور البارز الذى لعبته مصر فى قضية السلام بالمنطقة وعلى مستوى العالم.

لقد كسبنا الثقة فى أنفسنا أولاً بالإرادة والرغبة الصادقة فى الإصلاح وتحمل الشعب الكثير من التضحيات التى لم يكن هناك بد من تحملها، وكان ذلك هو مدخلنا فى كسب ثقة العالم أيضاً والتى انعكست فى التعاون من أجل دعم التنمية فى مصر.

إنها حقاً تجربة ناجحة وفريدة استفادت منها مصر وهى تخوض معركة التحول الاقتصادى من التخلف إلى الرفاهية فى ظل السلام، ولا شك أن دولا كثيرة أخرى ستسعى للاستفادة من التجربة المصرية

عدم الاستقرار المزمن فى أفغانستان^(١)

تعانى أفغانستان من حالة مزمنة من عدم الاستقرار التى أدت إلى الاطاحة ببنية الدولة منذ قيام القوات السوفيتية بالتدخل فيها لدعم نظام نجيب الله الشيوعى فى مواجهة معارضيهِ المسلمين فلمسنوات طويلة دار قتال عنيف بين فصائل المجاهدين الأفغان تدعمهم أطراف مختلفة مجاورة وغير مجاورة من ناحية، وقوات الحكومة يدعمها الجيش السوفيتى "السابق" من ناحية أخرى.

(١) جريدة الأهرام فى ١٠ أكتوبر ١٩٨٦

وكان من المعتقد أن انتصار المجاهدين الأفغان فى بداية التسعينات، وانسحاب القوات المتدخلة سوف يوقف هذه الدائرة، لكن عدم الاستقرار قد استمر بصورة ربما تكون أكثر عنفاً، بفعل تفجر القتال بين الفصائل الأفغانية ذاتها بهدف واضح هو السيطرة على السلطة. وتم التوصل فى أوقات مختلفة إلى "صيغ" لاقتسام مواقع الحكم فى البلاد، إلا أن هذه الصيغ ظلت قائمة على الورق فقط بينما يتم تسيير التفاعلات بين تلك المجموعات عن طريق السلاح. وفشلت محاولات الأطراف الخارجية، بما فيها الأمم المتحدة، فى مجرد وقف القتال. ودخلت أفغانستان دورة جديدة بظهور حركة طالبان، وقيامها باجتياح مناطق الفصائل الأخرى وصولاً إلى العاصمة كابول بدعم سياسى وعسكرى من أطراف مختلفة، بحيث وصلت الأمور إلى "مفترق مهم" فيما أن يتم حسم الأمور من خلال الاجتياح العسكرى، أو يتم التوصل إلى صيغة تسوية سلمية، أو تتدخل الأمور مرة أخرى، وتبدو جميع الاحتمالات قائمة، لكن إذا بدأت مرحلة جديدة من عدم الاستقرار هذه المرة، فإنها ستكون طويلة، ودموية..".

ثانياً: عنصر الحقائق والشواهد:

والعنصر الثانى من عناصر تحرير المقال الافتتاحى، وهو عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة. وهو عنصر يرتبط بعنصر التقسيم ارتباطاً عضوياً وثيقاً. ولكن هذه الوحدة "العضوية" فى المقال الافتتاحى لا تقوم على الترتيب الاحتمالى، بقدر ما تقوم على ترتيب المنهج الاستقرائى. ويقصد بالوحدة العضوية فى المقال الافتتاحى وحدة الموضوع، ووحدة الأفكار والآراء التى يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الشواهد المؤيدة لهذه الأفكار والآراء؛ ترتيباً استقرائياً؛ به يتقدم المقال شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى "خلاصة" تمثل العنصر الأخير من عناصر التحرير فى المقال، يستلزمها هذا الترتيب الاستقرائى للأفكار والشواهد والصور، بحيث تبدو عناصر المقال كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، يؤدى بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل فى التفكير والمشاعر.

وتقوم هذه الوحدة فى المقال الصحفى على التفكير الإبداعى النابع من رؤية الكاتب المقالى فى منهج المقال، وفى الأثر الإقناعى الذى يريد أن يحدثه لدى قرائه، وفى الأجزاء التى تتدرج فى إحداث هذا الأثر الوظيفى بصفة عامة، بحيث

تتمشى مع بنية المقال بوصفها وحدة حية، ثم فى الأفكار والآراء والشواهد التى يشتمل عليها كل جزء، حتى يتحرك به المقال إلى الأمام لإحداث الأثر الوظيفى المقصود منها، عن طريق التتابع الاستقرائى، وتسلسل الشواهد أو الأفكار.. ووحدة الطابع والوقوف على المنهج على هذا النحو - الذى تعرفنا عليه عند الحديث عن الرؤيا الإبداعية فى مقال طه حسين - يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية والشواهد التى تساعد على تأكيد الأثر الوظيفى المراد فى المقال .. ذلك أن دراسة الرؤيا الإبداعية فى المقال الصحفى تظهر لنا إدراك الكاتب لمنهجه جملة وفى وضوح؛ قبل الشروع فى الكتابة والتحرير. وهو المنهج الذى يشبه ما قاله ابن طباطبا فى وصف عملية نظم الشعر على الطريقة العربية، إذ يقول: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدته محصا المعنى الذى يريد بناء الشعر عليه فى فكره نثرا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التى تطابقه، والقوافى التى توافقها، والوزن الذى يسلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يُشاكل المعنى الذى يرومه أثبتته، وأعمل فكره فى شغل القوافى بما تقتضيه من المعانى، على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا اكتملت له المعانى، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاما لها، وسلكا جامعا، ويسلك الشاعر منهاج أصحاب الرسائل فى بلاغاتهم، وتصرفهم فى مكاتباتهم، فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل".

وفيما يلي نموذج للمقال الافتتاحى فى لجريدة الأهرام يوم ١٠ ديسمبر ١٩٩٦ تحت عنوان:

رأى

مصر.. والعمل العربى المشترك

انطلاقا من موقعه كرئيس للجنة العربية، بعث الرئيس حسنى مبارك رسائل إلى قادة الدول العربية خلال الأيام القليلة الماضية، أطلعهم من خلالها على آخر التطورات على الساحة العربية، بالإضافة إلى مستجدات مسيرة السلام فى المنطقة.

وتأتى هذه المبادرة من جانب القيادة السياسية العليا فى التوقيت المناسب تماما وتتوافق مع المسئولية التاريخية الملقاة على عاتق مصر فى قيادة العمل العربى المشترك وتحقيق الطموحات القومية فى بلوغ أقصى غايات الأمن والاستقرار والانطلاق بمعدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية إلى المستوى اللائق.

ومن حسن الطالع، أن الساحة العربية بدأت تستجيب فعليا لكل ما من شأنه توفير حالة من التعاون والتنسيق المتبادل والمشارك على الأصعدة السياسية والاقتصادية بشكل خاص، وفى جميع المجالات بحديها الأقصى والأدنى بصفة عامة، وقد برزت هذه المؤشرات عقب نجاح القمة العربية بالقاهرة، فضلا عن تأكيدها بكل جدية ووضوح فى المؤتمر الاقتصادى الإقليمى الثالث، وكذلك فى الاجتماعات والمؤتمرات الإقليمية والدولية التى يلتف العرب حول مصالحهم المشتركة فى أعمالها.

وإذا كان العالم كله يتجه الآن نحو التكتلات الاقتصادية والتجمعات الإقليمية، فمن الطبيعى أن تدفع هذه التطورات لإيقاظ الضمير العربى، الذى مرت به سحابة صيف عابرة، وتغذية شرابين مؤسسات العمل العربى المشترك بالدماء بعد أن كادت تتوقف عن القيام بمهامها لأسباب مالية واضحة وسياسية مستترة، والأهم من ذلك كله، هو فتح آفاق جديدة للتعاون العربى الفعلى والاستفادة من التجارب الماضية بتجنب تعارض هذا التعاون مع المصالح الوطنية العليا، واحترام السيادة وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لكل دولة، وهذه ليست معوقات للتعاون بقدر ما هى الأساس الصلب الذى نجحت تجمعات وتكتلات أخرى فى البناء عليها، وقد تقدمت بخطى سريعة ونحن نملك كل المقومات للحاق بها".

ومن ذلك النموذج يبين لنا ماتعنيه بحدثينا عن المنهج الاستقرائى فى بنية المقال، فهو يقسم المشكلة إلى ميدانين واضحين ويبدأ من "الكلى إلى الجزئى" فالكلى فى تقديم المقال هنا هو "العمل المشترك" والجزئى هو ما يتفرع عن تقسيم المشكلة من شواهد، يقوم فيها المقال بإحصاءات شاملة، وفقا للمنهج سواء فى

الفحص عن الحدود الوسطى أوفى استعراض عناصر المسألة بحيث يتحقق أنه لم يغفل شيئا. فالمنهج التحريري فى المقال الافتتاحى استنباطى استقرائى يضع المبادئ البسيطة الواضحة ويتدرج منها إلى النتائج.

وفى المقال الافتتاحى، يتدرج الكاتب فى استقصاء شواهد، ثم يتدرج فى تصوير الفكرة المحورية من خلال الشواهد والحقائق التى تؤيد فكرته الكلية المطروحة فى مقدمة المقال.
وفيما يلى نقرأ هذا النموذج:

رأى الاقتصاد

البيان الثانى لحكومة الجنزورى (١)

"بكل التفاؤل والطموح فى مستقبل أفضل، استقبلت الجماهير العريضة من شعبنا بالأمس بيان الحكومة أمام مجلس الشعب، وقد جاء البيان - وهو الثانى منذ تشكيل حكومة الجنزورى فى يناير الماضى - مكملًا ومتممًا للخطوات الجادة والجريئة فى اتجاه تسريع معدلات الإصلاح الإقتصادى، وحل المشكلات التى واجهت المواطنين نتيجة لهذه السياسات، وأيضًا وهو الأهم - فتح آفاق جديدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية التى يقودها الرئيس حسنى مبارك، خارج الوادى القديم، وفى كل ربوع مصر على السواء.

(لقد أكد رئيس الوزراء - فى بيانه - أن الخروج من الوادى الضيق يمثل المحور الرئيسى لاستراتيجية الحكومة بما يتضمنه من تخطيط شامل لتنفيذ جميع المشروعات القومية، التى أعلنت عنها، ومن بينها المشروع العملاق لتنمية جنوب الوادى بتكلفة استثمارية تبلغ ٣٠٠ مليار جنيه، ويغطى ٥٨% من أرض مصر، ويضيف مساحة زراعية تبلغ نصف مليون فدان كمرحلة أولى، وتصل فى نهاية مراحلها إلى نحو مليونى فدان، ويوفر أكثر من ربع مليون فرصة

(١) جريدة الأهرام فى ٢٤ ديسمبر ١٩٩٦.

عمل ويضم ٢٥ منطقة للصناعات الثقيلة، وهو ماسيساهم بكل تأكيد - فى تخفيف معدلات البطالة وفتح أبواب جديدة للرزق أمام الأجيال القادمة).

(ويرفع رصيد الحكومة الإيجابى على مدار العام وعملها الدعوب الذى شهدت به المعارضة قبل الأغلبية وتمثل شبه إجماع فريد من نوعه فى الحياة السياسية المصرية المعاصرة، إلى الثقة المطلقة فى كل ما ستتقدم به الحكومة من برامج للتنمية فى جميع المجالات، ومن حسن الطالع، أن هذه المعطيات تتزامن جميعها مع تمتع بلادنا بالاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى والأمنى، واحتلالها المكانة المرموقة والمناسبة إقليميا ودوليا.

القمة الأوروبية ومشكلة البطالة

خرجت القمة الأوروبية التى عقدت فى العاصمة الأيرلندية منتصف الشهر الحالى بين زعماء أوروبا الموحدة، بالعديد من النتائج المهمة بما سيؤثر على مسيرة الوحدة الأوروبية مستقبلا. وبينما تضمن جدول أعمال القمة العديد من الموضوعات، فلربما كانت أهم الموضوعات التى نالت النصيب الأعظم من المناقشة هو ذلك المتعلق باتفاق الاستقرار الخاص بتطبيقات معايير الانضمام للعملية الموحدة كما هو مقترح فى يناير ١٩٩٩. وقد تمت الموافقة على ألا يتجاوز العجز فى الميزانية نسبة ٣٪ المقترحة، مع وضع معايير لمعاقبة الدول التى تتخطى نسبة العجز المحددة، مع إعطاء هامش لوزراء المالية الخمسة عشر فى حالات الاستثناءات المؤقتة حتى لا تقع دولة تحت طائلة العقوبات فى ظل ظروف وحالات خاصة ذات طبيعة مؤقتة. ورغم أن المحللين يرون أنه ليس هناك خاسر أو كاسب فى دبلن وأن أوروبا هى الكاسب الوحيد، إلا أن الرئيس الفرنسى جاك شيراك نجح فى إدخال كلمة تنمية على اتفاقية الاستقرار لتصبح اتفاقية الاستقرار والتنمية. وفى هذا السياق يلاحظ أن هناك اتجاها اجتماعيا جديدا لا يلقى كل الترحيب من جانب ألمانيا، وقد صرح الرئيس الفرنسى بأن أوروبا لا يمكن أن تختصر إلى مجرد مشروع نقدى لأنها فى تلك

الحالة ستفقد روحها. كما أعلن الرئيس الفرنسي أن ما تم هو نتاج إعلان النموذج الاجتماعي الأوروبي، والذي يفتح المجال للحوار حول البطالة والتشغيل داخل أوروبا الموحدة من أجل موقف جماعي لحلها في الوقت الذي تعاني فيه أوروبا من أسوأ معدلات للبطالة منذ ما يقرب من خمسة عقود^(١).

ويخلص الكاتب من استعراض الشواهد وفق "نظام الأسباب"، إلى النتيجة الطبيعية لتسلسل الشواهد التي ساقها المقال:

وفيما يلي نقرأ نموذجاً آخر للمقال الافتتاحي في جريدة الأخبار:

السلام والاستيطان لا يلتقيان

بعيدا عن اتفاق إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي في مدينة الخليل عاصمة الضفة الغربية المحتلة الذي من المفترض أن يكون قد تم توقيعه أمس بين إسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية.. يدين العمل الإرهابي الذي ارتكبه جندي نظامي إسرائيلي عمره ١٩ سنة أمس الأول العديد من النقاط التي لا بد من وصفها في الاعتبار. فالجندي الإسرائيلي ناعوم فايدرممان الذي يؤدي الخدمة العسكرية منذ سبعة أشهر في وحدة إدارية بعيدة عن مدينة الخليل اعترف بأنه جاء إلى المدينة من أجل ارتكاب اعتداء ينسف إمكانية التوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين على إعادة الانتشار.. وهو كان يستهدف أحداث مواجهة مسلحة بين قوات الشرطة الفلسطينية والجنود الإسرائيليين في وسط المدينة. وهذا الجندي النظامي هو أحد مستوطنين مستوطنة "معاليه أدوم" الواقعة بين أريحا والقدس.. وهو قال لتلفزيون إسرائيل إنه غير نادم على فعلته قبل أن يقول للمحققين إنه سبق أن تلقى علاجاً نفسياً في أحد المصحات!!

أولى هذه النقاط التي لا بد من وضعها في الاعتبار بناء على ما حدث هو أن تحقيق السلام مستحيل مع بقاء المستوطنين المسلحين في مدينة الخليل..

(١) الأهرام في ٢٤ ديسمبر ١٩٩٦

خصوصا أن الحادث الذي وقع أمس الأول ليس الأول من نوعه ففي ٢٥ فبراير ١٩٩٤ ارتكب مستوطن آخر هو باروخ جولشتاين منبحة في الخليل أيضا عندما أطلق النار على المصلين في الحرم الإبراهيمي فقتل ٢٩ فلسطينيا قبل أن يقتل بدوره. وأكد الجيش الإسرائيلي آنذاك أنه فوجئ تماما بالحادث. وهكذا يصبح منطقيًا أن تقوم الحكومة الإسرائيلية وعلى الفور بإجلاء المستوطنين اليهود من الخليل وكفالة الأمن والهدوء هناك.. وهذا هو نص الطلب الذي أعلنته حركة السلام الآن الإسرائيلية في بيانها تعليقًا على الحادث.

النقطة الثانية هي أنه لا بد من التأكيد على أن مثل هذا الحادث ما كان يقع لولا التأجيلات الكثيرة التي قامت بها حكومة إسرائيل ليست الحالية بزعامة نتنياهو فقط لكن السابقة أيضا بزعامة شيمون بيريس لتطبيق اتفاق إعادة الانتشار مع الفلسطينيين.. فهذه الروح بدأت تسرى أكثر بسبب حالة الإحباط وخيبة الأمل من سرعة تحقيق السلام المنشود والاستقرار المأمول.

النقطة الثالثة هي أن هذا الحادث يؤكد بوضوح أنه لا يمكن الجمع بين المستوطنات والسلام في نفس الوقت.. وأنه - كما قال الدكتور صائب عريقات كبير المفوضين الفلسطينيين - بأن السلام والاستيطان خطان متوازيان لا يلتقيان.. فزرع المستوطنات أشبه بزرع قنابل موقوتة ستفجر في وجه الجميع في أي وقت.

النقطة الرابعة هي كما قال إسحق مورديخاي وزير الدفاع الإسرائيلي إنه لا يمكن استبعاد تكرار مثل هذه الأحداث الخطيرة في المستقبل.. وأنه يجب على كل من الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني التصدي للمتطرفين كل في معسكره. لكن ما لم يقله مورديخاي هو أن التصدي للمتطرفين لا يمكن أن يكون بالاجراءات الأمنية فهم مرضى نفسيون في أفضل أحوالهم لكنه يكون بالحرص على تحقيق السلام الحقيقي.. السلام الذي يشعر طرفا معادلته بالرضا والقناعة بأنهم حصلوا على حقوقهم ولم يفرض عليهم شيء.

النقطة الأخيرة هي أن استمرار المسيرة السلمية هو الخيار الوحيد لتحقيق الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط. وأن هذا الهدف هو مطلب عادل لشعوب المنطقة بما فيها الشعب الإسرائيلي وهو أمل كذلك للمجتمع الدولي كله.. وحتى يتحقق هذا لابد أن تصفو القلوب وأن تحسن نوايا الجميع بلا استثناء وأهمهما نوايا الحكومة الإسرائيلية بصفتها للطرف المشترك الوحيد في كل معادلات السلام.

هذا، وقد يستهل المقال بعنصر "الشواهد" المشتقة من الواقع، والمعتمدة على الأخبار والمجريات، والتقارير الأخبارية، وفي هذا النمط من أنماط التحرير نجد توجُّهاً للمقال الافتتاحي في الصحافة العربية الحديثة، إلى أن يصبح "إخبارياً، في جوهره، بمعنى أن مافيه من رأى ومن توجيه ومن ترفيه؛ إنما يعتمد على الأخبار وتفسيرها واستغلالها في تأييد رأى سياسى أو آخر. على أن هذا النمط الإخبارى في تحرير المقال الصحفى، يرتبط ارتباطاً وثيقاً كذلك بقواعد المنهج الذى يعتمد على تقسيم المشكلة ما وسعه التقسيم طلباً للوضوح، ولذلك يضع الكاتب أمامه المبادئ البسيطة، التى يشتقها من التقارير الإخبارية، ويتدرج منها إلى النتائج.

كيف نقوم الافتتاحيات؟

فى الإجابة عن هذا السؤال، يقول الأستاذ "إيجارديل" ضع النقاط التالية نصب عينيك عندما تقرأ افتتاحية فى إحدى الصحف:

أولاً: يجب أن يكون المقال الافتتاحى مثيراً للرغبة فى القراءة. وكثيراً ما يكون المقال غير مثير. والسبب فى ذلك أن محررها لا يضرب الأمثلة؛ ولا يقدم الشواهد، ولا يضيف عليها خيالاً، بل يحاول تلخيص مجموعة من الأفكار المختلفة فى افتتاحية واحدة.

ثانياً: يحرر المقال الافتتاحى خبير فى موضوع المقال؛ ومن حق القارئ ألا يحصل على أفكار الكاتب فحسب؛ بل يحصل على تعليقات ومعلومات مستقاة

من أوثق المصادر. ويستطيع الكاتب الاستعانة بالوثائق. والكتب المحفوظة في قسم المعلومات بالصحيفة.

ثالثا: يجب أن يساعد المقال الافتتاحي قراء الصحيفة على حل المشكلات الوطنية والعقلية. ومن واجب محرر الافتتاحية أن يعالج مشكلات المجتمع الكبرى مثل رعاية الطفولة والتأمين الاجتماعي والإسكان. الخ.

رابعا: الافتتاحية القوية تساعد القراء على فهم حقيقة الأخبار ودلالاتها.. وليست كل افتتاحية تعزز رأيا أو تخالفه، فالبعض منها يتضمن اقتراحات ووجهات نظر تساعدنا على تفسير الأحداث.

نماذج للمقال الافتتاحي:

ومن تحرير الافتتاحيات القوية نستطيع التعرف على المسائل العامة، ونستطيع التأكد من ذلك حين نحلل الافتتاحيات التي تنشر في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية عن الأحداث التاريخية التي وقعت في بلادنا. وهذه بعض نماذج من المقالات الافتتاحية في صحفنا المصرية والعربية المقال الافتتاحي لجريدة الأهرام:



"الأهرام" بمصر ولمصر^(١)

حين قال الرئيس حسنى مبارك فى احتفال الأهرام بافتتاح مطبعته الجديدة العملاقة بمدينة ٦ أكتوبر إن الأهرام عاش مع المصريين جميع قضاياهم طوال أكثر من قرن، فإن هذه الشهادة التى نعتز بها جميعا كانت أرفع وسام تلقته كبرى الصحف المصرية والعربية من قائد مصر باسم مصر.

(١) جريدة الأهرام فى ١٤/١٠/١٩٩٦م.

إن مقياس نجاح أى صحيفة فى العالم كان وسيبقى هو تعبيرها عن آمال
والام الطبقة أو الجماعة التى صدرت لتكون متحدًا باسمها، ولكن أن تصبح صحيفة
منذ صدورها صحيفة الأمة كلها فإن تلك حالة نادرة الحدوث فى التاريخ السياسى
وفى التاريخ الصحفى معاً، وهكذا كانت الأهرام وستبقى، فالأهرام فى يوم من الأيام
لم تكن صحيفة قصر أو حزب أو سياسى بعينه مهما يعمل قدره، ومهما يقو نفوذه،
فهى صحيفة مصر كلها بكل طبقاتها وأحزابها ومدارسها الفكرية فى مزيج فريد من
الالتزام القومى وحرية التعبير.

قبل ثورة ١٩٥٢ كان لكل حزب صحيفة، وكان لكل صحيفة اتجاه سياسى،
ولكن الأهرام كانت صحيفة الجميع، وبعد الثورة ووسط صراعات مراكز القوى
حافظت الأهرام على هذا التقليل فلم تكن صحيفة التنظيم الواحد، ولا كانت صحيفة
هذا الجناح أو ذاك.

وفى عهد الرئيس مبارك الذى فتح باب حرية التعبير على مصراعها وقضى
على كل أسباب الصراع داخل النظام قامت الأهرام بأروع أنوارها فى التعبير عن كل
الاجتهادات الوطنية من أجل بناء مصر الحرة والنامية اقتصادياً، وكانت هى السباقة
إلى مد روافدها إلى كل مصرى وكل عربى يعيش خارج وطنه بإصدارها لطبعاتها
الدولية، ثم كانت هى السباقة أيضاً إلى ارتياد العصر الجديد للصحافة بكل ما فيه من
حديث فى دنيا الطباعة وفنون النشر والتحرير. لقد أسعدنا نحن أسرة الأهرام أن
يشعر قائد مصر ومع الشعب كله بما ألزم أبناء الأهرام به أنفسهم من أن يكونوا
بمصر ولمصر كلها، وأن يشهد لهم علناً بذلك... ونحن بدورنا نجدد الالتزام أمام القائد
والشعب بأن نبقى دائماً على هذا العهد... لا نتوخي غير مصلحة مصر ولا ننتمى لغيرها،
ولا نفرق بين أبنائها".

تصريحات نيتانياهو الصفيقة^(١)

هل هو غرور أم صفاقة تلك التى أصابت رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين
نيتانياهو؟ لقد أدلى أمس الأول بتصريحات تخلو تماماً من اللباقة واللباقة السياسية

(١) الأهرام فى ١٧ سبتمبر ١٩٩٦

الواجبة عند التخاطب بين الدول، وهى لباقة مطلوبة وضرورية حتى فى وجود خلافات فى المواقف ووجهات النظر بينها.

قال الرجل فى غيبة وعى واضحة - وهو يتحدث عن العام اليهودى الجديد لراديو إسرائيل - إن مصر صارت كمن يقطع أنفه ليغيب غيره بينما هو فى الحقيقة لا يغيب إلا نفسه. وكان هذا الكلام القبيح تعليقاً من فخامته على موقف مصر العاقل المتعقل الذى يطالب بإحراز تقدم فى عملية السلام من أجل ضمان نجاح مؤتمر القمة الاقتصادى المقرر عقده فى القاهرة فى شهر نوفمبر القادم.

ويبدو أن هذا الرجل الذى لا يعى حقائق الحياة نسى دور مصر القيادى والريادى فى صنع السلام فى الشرق الأوسط، وهو الدور الذى تقدره الدنيا كلها وتترك أفضاله على نيتاهاو وشعب إسرائيل كله. ويبدو أنه يعى أنه لولا مصر لما كان لإسرائيل موطئ قدم فى أى بلد عربى، ولما كان لإسرائيل أى قبول فى أى بلد إفريقى أو آسيوى. هذا - فيما يبدو - عيب من رجل لا يعرف العيب، وعليه أن يراجع نفسه من الأول إلى الآخر.

لقد مضى نيتاهاو - الذى يبدو أنه فى حاجة لمن يرثى لحاله - مطالباً سوريا بإعلان تخليها عن الجولان أو جزء منها لإسرائيل، حتى يفكر سيادته فى إقامة سلام معها. وأكد أنه لن يتخلى عن القدس الشريف مهما كان الثمن.

ثم بلغ الحمق بنيتاهاو مبلغه حين قال إنه مستعد للتضحية بالعلاقات الاستراتيجية مع أمريكا إذا أصبحت هذه العلاقات سبباً فى تقديم تنازلات للعرب.

إن المؤسف حقاً هو أن نيتاهاو يدلى بهذه التصريحات الهوجاء وهو فى موقع رجل الدولة. لقد التمس الناس العذر له وهو يهرول نحو موقع رئيس الوزراء وقت الانتخابات بإطلاق التصريحات الطائشة هنا وهناك. وكان المنتظر حينما يصبح رئيساً للحكومة أن يتصرف تصرفات السياسيين لا المزايدين. ومع ذلك فإن هذه التصريحات الأخيرة زادت فى حمقها وغباها على تصريحاته فى أثناء الحملة الانتخابية.

إن مثل هذه التصريحات يمكن أن تلقى رواجاً لدى رجل الشارع الإسرائيلى للضحك بها عليه وقت الانتخابات. ولكن إذا قالها من هو فى موقع مسئولية فإن ذلك أدعى إلى التحرى عن قواه العقلية.

ضرورة تنفيذ اتفاق النفط والغذاء^(١)

أحال مجلس الأمن مسؤولية تنفيذ اتفاق النفط مقابل الغذاء إلى الأمين العام للأمم المتحدة، وهي إحالة تضع الرجل في مأزق حقيقي.. فان هو شرع فوراً في تنفيذ الاتفاق مراعاة للاحتياجات الانسانية الماسة للشعب العراقي، فان واشنطن قد تضع على الأرجح فيتو ضد إعادة انتخابه أميناً عاماً للأمم المتحدة. وان هو لم ينفذ الاتفاق في الوقت الراهن متجاهلاً الأوضاع الإنسانية المأساوية لشعب العراق، فإنه سوف يعرض نفسه لحقن ونقمة الكثير من شعوب العالم المتعاطفة مع الشعب العراقي والنقمة الكثيرة من الجمعيات المدافعة عن حقوق الإنسان، ولن يضمن تأييد الولايات المتحدة لإعادة انتخابه. والحقيقة أن الأوضاع المعيشية المأساوية للشعب العراقي تفرض على مجلس الأمن وعلى الولايات المتحدة الأمريكية المبادرة إلى تحمل مسؤولية البدء في تنفيذ اتفاق النفط مقابل الغذاء بدلاً من إلقاء العبء على الأمين العام للأمم المتحدة بمفرده. وعلى الولايات المتحدة بصفة خاصة إذا كانت تريد أن تكسب أي مصداقية أخلاقية وإنسانية أن تتعهد بعدم إعاقة هذه العملية عبر أي مباحكات عسكرية لا مبرر لها مع العراق سوى المبررات الانتقامية والمزايدات الانتخابية التي لا تستند لأي مبرر أخلاقي أو إنساني مستقيم.

كذلك فإنه على الأمين العام للأمم المتحدة إذا ضمن بالفعل تأمين تنفيذ العملية أن يبدأ فيها على الفور لأن هناك شعباً عدده ٢٠ مليون إنسان يعاني من أوضاع معيشية مأساوية ويمكن لبدء تنفيذ اتفاق النفط مقابل الغذاء أن يخفف منها كثيراً بانتظار رفع الحظر الاقتصادي الشامل المفروض على العراق منذ أغسطس ١٩٩٠ والذي فقد مبررات استمراره منذ وقت طويل".^(٢)

الوادي الجديد ونقطة الانطلاق

لامجال لتضييع الوقت حتى تتشكل مصر مع القرن الحادي والعشرين.. هذه كانت كلمات الرئيس حسني مبارك عند إعطائه إشارة البدء لسريان مياه

(١) الأهرام في ١٧/٩/٩٦

(٢) جريدة الأهرام في ١٧/٩/١٩٩٦.

النيل إلى مفيض توشكى.. فالقرن الحادى والعشرون سيبدأ بعد ثلاث سنوات فقط. ولم يعد هناك وقت يمكن إضاعته والعالم كله يستعد على قدم وساق فى سباق مع الزمن..

إن مشروع الوادى الجديد الموازى لودى النيل يعد بحق مشروعاً قومياً سوف يلتف حوله كل المصريين، ذلك أنه يمثل مشروع الحياة فى القرن القادم.. فإما أن يكتمل ويوفر عناصر الحياة للملايين من الأجيال القادمة، وإما سوف يضيق الوادى القديم بمن فيه أكثر مما هو ضيق وعندئذ سوف تصعب الحياة أكثر وأكثر..

من الآن لابد أن نضع كل الجهد والتخطيط السليم من أجل الوصول إلى هدف إقامة واد جديد يوسع الأرض المعمورة إلى ٢٥٪ من إجمالى الأرض المصرية مقابل الـ ٤٪ فقط المعمورة حالياً.

ولعل الأمر المهم حقاً هو توصيل مياه النيل إلى سيناء بما يساعد على إقامة المزيد من المجتمعات العمرانية فى هذا الجزء العزيز من أرض مصر.. ولعنا نضيف هنا أهمية أن نعمل على إيجاد مجتمعات جديدة على البحر الأحمر، أكثر المناطق استعداداً لإقامة حياة ومدن متكاملة.. لذلك لابد من التخطيط لتوصيل المياه إلى هذا الساحل سواء من النيل أو بالتحلية لإمكان إقامة الحياة عليها.. وألا يجب أن تضيق هذه الأرض فى منشآت سياحية فقط بل من الضروري أن تتحول إلى مدن ماهرة تستوعب سكان مصر فى القرن القادم.

ولعل مشروع الوادى الجديد يكون نقطة انطلاق جادة لبناء مصر الجديدة.. مصر المستقبل".

الاضطراب فى الشمال والدور المطلوب للدولة العراقية

مازال القتال الضارى الذى تفجر مجدداً بين الفصائل الكردية المتناحرة فى شمال العراق مستمراً فى صراع على السلطة والنفوذ، وفى ارتباط بولاءات خارجية لاعلاقة لها بمصالح الشعب الكردى. وإذا كان الاتحاد الوطنى الكردستانى بزعامة جلال الطالبانى قد شن هجومه الأخير اعتماداً على الدعم المباشر من الجيش الإيرانى وبمشاركة مقاتلين إيرانيين حسبما ذكرت وزيرة الخارجية التركية، فإن ذلك يعطى كل الحق لبغداد فى استخدام جميع الوسائل

لمواجهة التدخل الأجنبي الإيراني في شمال العراق الذي يستهدف وضع مجموعة تابعة لإيران في مركز السلطة والنفوذ هناك.

وقد صرح أحد قيادات الاتحاد الوطني الكردستاني بأن الوضع في شمال العراق يحتاج لدور عسكري ودبلوماسي أمريكي، وهي دعوة للولايات المتحدة للتدخل حتى بشكل عسكري في شمال العراق إلى جانب طالباني بالطبع الذي يبدو أنه يعرض ولاءه على كل من يقدم الدعم له بدءاً من إيران ووصولاً للولايات المتحدة.

والحقيقة أن هذه التصريحات والحقائق الخاصة بارتباط طالباني وضربه بإيران يبرر للحكومة العراقية اتخاذ مآثره ضروريا لحماية الأمن القومي العراقي وإزاحة كل من يتاجرون بولائهم لقوى أجنبية على حساب مصالح العراق وأمنه القومي وإذا كان الفصل الكردي الآخر بزعماء البرزاني الذي ينتمي للعائلة التي حملت على عاتقها تاريخيا قيادة كفاح الأكراد، يرغب في التعاون مع بغداد في مواجهة طالباني فلا بد أن تعمل بغداد والبرزاني على أن يكون هذا التعاون مبنيا على أساس من السيادة العراقية الكاملة على شمال العراق وإعمال صيغة الحكم الذاتي للأكراد بصورة تحقق مصالح وأمن العراق وأكراده على أساس علاقة استراتيجية وليس تحالفا تكتيكيا". (١)

الخليل مفتاح الثقة لاشك

"إن حل مشكلة الخليل سيوجد مناخا عاماً من الثقة مما سيؤدي بالتأكيد إلى مزيد من المفاوضات التي تهدف إلى وضع الحل النهائي لمشكلة الفلسطينيين والإسرائيليين، ومما يشجع بدوره سوريا على الدخول في مباحثات السلام وإنهاء الجمود التي وصلت إليه العملية السلمية منذ منتصف العام.

ولعل ما يشجع على التفاؤل - رغم كل الصعوبات التي تبدو على السطح - أن جميع الأطراف على اقتناع تام بأن السلام أصبح هو الخيار الاستراتيجي

(١) الأهرام في ١٧ أكتوبر ١٩٩٦.

الوحيد الذى لا بديل عنه. وقد هدأت الآن نبرة التهديد التى سادت خلال فترة التوتر الماضية مما يشجع على إيجاد أجواء جديدة لاستئناف المفاوضات.

وكما قال الرئيس مبارك فى مؤتمره الصحفى - عقب اجتماعه مع وزير الدفاع الإسرائيلى - فإن المفاوضات لابد أن تستمر حتى تصل إلى نتيجة يرضاها الجانبان لتنفيذ الاتفاقيات التى سبق التوقيع عليها، ويجب ألا تنزعج من إطالة أمد المفاوضات، حيث إن القضايا التى نتناولها هى بالفعل قضايا شائكة لكل الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى.

إلا أننا لابد أن ندرك أن التمسك بالحق العربى وباهمية المثابرة وحسن إدارة المفاوضات لابد أن تأتى بنتيجة إيجابية تحقق آمال الشعب الفلسطينى إن أجلاً أو عاجلاً فى إقامة وطنه ودولته المستقلة.

ولابد أن تترك إسرائيل أن السلام الحقيقى القائم على العدل هو الضمان والوحيد للأمن والاستقرار وليس القوة والتهديد بها هو الذى يتضمن لها أمناً. ولابد أن تترك إسرائيل أيضاً أن الجمود الذى أصاب عملية السلام لا يمكن أن يكون إلا فى صالح فئات متطرفة محدودة تريد أن تهدم الاتفاقات الموقعة من أساسها بخلاف رغبة غالبية الشعب الإسرائيلى.

جولة روس ومفاوضات التسوية

"جاءت جولة المنسق الأمريكى لعملية التسوية فى الشرق الأوسط، السفير دينيس روس، فى وقت تزايدت فيه الشكوك حول موضوعية وإيجابية الدور الأمريكى لاسيما بعد أن صوتت الولايات المتحدة ضد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بوقف الاستيطان الإسرائيلى فى الأراضى العربية المحتلة والتى هى موضع تفاوض، ثم تصريح وزير الخارجية الأمريكى وارن كريستوفر الذى ادعى فيه أن إسرائيل تقدم تنازلات مهمة والجانب الفلسطينى لا يستجيب لها!! فى ظل هذه الأجواء بدأ روس جولته ومن ثم تزايدت التكهنات بفشل الجولة لاسيما وأن روس نفسه معروف عنه التعاطف الشديد مع المواقف الإسرائيلىة.

وما إن بدأ روس جولته المكوكية التى شملت تل أبيب وغزة والقاهرة، حتى بدا واضحاً أن ثمة تغيرات بدأت تطرأ على حدود الدور الأمريكى الذى بدأ يفارق مهمة "ناقل الرسائل" إلى مهمة أكثر إيجابية من ذلك تضمنت المبادرة بطرح فكرة عقد اجتماع على مستوى القمة بين عرفات ونيثانياهو لكسر الجمود فى

الموقف وإعطاء الانطباع بحدوث تقدم، يعكس ذاته فى مرحلة تالية فى الأجواء التى تسود بين الأطقم المفاوضة عن الجانبين.

وبالفعل تم فى لقاء عرفات - نيتانيا هو الاتفاق على بعض الخطوط العامة، وبدأت الأطقم المفاوضة ترجمتها على مائدة التفاوض الأمر الذى يوحى باحتمال التوصل قريبا إلى اتفاق حول إعادة الانتشار فى مدينة الخليل ووضع الأسس العامة للمفاوضات النهائية. ولا يعنى ذلك أن الاتفاق أصبح مؤكدا أو أن مماطلات الجانب الإسرائيلى قد توقفت. وبالتالى لابد من استمرار التنسيق بين الأطراف العربية حتى تلتزم الإدارة الأمريكية بدور وساطة إيجابى وموضوعى - بقدر الإمكان - وتتصاع الحكومة الإسرائيلىة لما يتم الاتفاق عليه لاسيما وأنها أظهرت قدرة عالية فى تحريف الاتفاقات وأيضا السعى للتوصل منها. (١)

مخاطر استمرار التعتت الإسرائيلى

مازال رئيس الوزراء الإسرائيلى يصر على موقفه المتشدد من قضية السلام، ومازال يطرح أفكاره الغربية على استئناف المباحثات مع سوريا بدون أى التزامات أو اتفاقيات سبق أن قدمتها حكومة حزب العمل السابقة، وبدون الإعلان عن التزامه بالانسحاب من الجولان معتبرا أن ذلك يمثل شرطا لايجب أن يوضع قبل بدء المباحثات.. وفى مباحثاته مع الرئيس الأمريكى كلينتون زعم نيتانيا هو أن تأجيل الانسحاب من مدينة الخليل هو فى صالح عملية السلام مشيرا إلى أن الانسحاب الآن يمكن أن يفجر الموقف فى الخليل وبالتالى انهيار عملية السلام برمتها.

وعلى ذلك يكون الموقف الإسرائيلى فى وضعه المتشدد والمتجمد منذ تولت الحكومة الإسرائيلىة الجديدة مسئوليتها، غير عابئة بما يمكن أن تؤدى إليه سياساتها من انتكاسة كاملة لجهود السلام تعود بالمنطقة إلى أجواء التهديد بالحروب واستئناف الصراع المسلح بدلا من اللجوء إلى طاولة المفاوضات وفق المبادئ التى ارتضاها المجتمع الدولى ممثلا فى مؤتمر مدريد الذى شاركت فيه إسرائيل ووقعت على مبدأ الأرض مقابل السلام.

(١) الأهرام فى ٢٦ ديسمبر ١٩٩٦.

وليس من الديمقراطية — التي تتشدد بها إسرائيل — أن تعتمد حكومة جديدة إلى شطب كل اتفاقات وتعهدات الحكومة السابقة لمجرد إنها تنتمي إلى حزب آخر يختلف في توجهاته السياسية والايديولوجية.. وليس من الديمقراطية في شيء أن تنكر الحكومة الإسرائيلية الحقوق الأساسية للعرب سواء في فلسطين أو الجولان أو لبنان، متسلحة بمنطق القوة.

إن التحذيرات التي وجهتها مصر مؤخراً من نتائج المماطلات واللاءات الإسرائيلية إنما تهدف في إخلاص إلى تهيئة المناخ المناسب لعملية السلام التي يجب أن تستند إلى مبادئ الشرعية الدولية وليس إلى عنصر القوة، حيث يدرك الجميع أن لكل دولة في المنطقة عناصر من القوة يمكن أن تجعل الصراع مريراً وطويلاً إذا ما استمر التعتن الإسرائيلي.

وليس من شك في أن الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية كبيرة في إفساح الطريق أمام مفاوضات جادة تؤدي إلى سلام دائم وشامل إلا أن فترة الانتخابات الرئاسية قد جمعت هذا الدور المهم وأدت إلى استسلام شبه كامل لوجهة النظر الإسرائيلية، الأمر الذي لا يمكن أن يخدم عملية السلام سواء على المدى البعيد أو القصير.

وإذا فحصنا تصريحات بنيامين نتنياهو في أعقاب لقائه مع الرئيس الأمريكي، نجد أن رئيس الوزراء الإسرائيلي يعلن أنه يتطلع إلى مساعدة الولايات المتحدة من أجل استئناف محادثات السلام مع سوريا في أقرب وقت ممكن "ودون شروط مسبقة" ودون الانسحاب من الجولان، متجاهلاً أن ما أعلنه يمثل شروطاً مسبقة، فالمفترض أن محادثات السلام الإسرائيلية - السورية بدأت على أساس مبدأ "الأرض مقابل السلام" وقطعت شوطاً في عهد الحكومة الإسرائيلية السابقة تجاوزت من خلاله الأبعاد الاجرائية وتطرفت إلى جوهر المحادثات أي الانسحاب من الجولان السورية المحتلة وانصب الخلاف حول ما كانت تطالب به الحكومة السابقة من إقامة محطة للإنذار المبكر الأرضي، إضافة إلى حدود الانسحاب هل حدود ما قبل عدوان ٥ يونيو - كما تطالب سوريا - أم الحدود الدولية - كما تطالب إسرائيل. وبالتالي فإن حديث نتنياهو عن استئناف المحادثات دون الالتزام بالانسحاب من الجولان يعني تجميد عملية التسوية والوصول بها إلى طريق مسدود، إذ ما الذي يدفع سوريا إلى استئناف محادثات تدرك تماماً أن الحكومة الإسرائيلية الراهنة ستستخدمها لأغراض

أخرى غير التسوية وسوف تماطل وتراوغ من خلال إثارة أبعادا جرائية تجاوزتها لمفاوضات مع الحكومة الإسرائيلية السابقة.

كذلك واصل نيتانياهو مناوراته ومغالطاته فيما يتعلق بتنفيذ الاتفاقات التي وقعتها الحكومة السابقة مع الجانب الفلسطيني، إذ أعلن في واشنطن أن تنفيذ الانسحاب من الخليل يمكن أن يفجر الموقف ويؤدي إلى انهيار عملية السلام برمتها. وهو أمر ينطوي على مغالطات شديدة إذ إنه في أى تسوية لصراع معقد وتشابك تكون هناك مواقف مختلفة ومتناقضة يتم حلها من خلال اتفاقيات تركز مبدأ "الحل الوسط" ويعتمد ترسيخها على حسن تنفيذ ما تضمنته من بنود، وهو ما قام به الجانب الفلسطيني على خير وجه حتى الآن، في حين يناور نيتانياهو بحجج ومبررات واهية تتم عن عدم الرغبة في السلام وتكشف بوضوح عدم الوفاء بالالتزامات التي تعد سمة من سمات.

المسئولية التعاقدية، وإذا واصل نيتانياهو مناوراته ومغالطاته، فسوف تترادى احتمالات تفجر الوضع برمته. (١)

مصر.. والانطلاق الاقتصادى

"تؤكد كل المؤشرات والتقارير الصادرة مؤخرا عن عدد من المنظمات الدولية وخبراء الاقتصاد فى العالم أن مصر مؤهلة فى المرحلة القادمة لتحقيق طفرة فى الانتاج تمكنها من الانطلاق الاقتصادى الذى تسعى إليه من أجل مستقبل أفضل للمواطن المصرى، بل إن مصر - كما يقول الخبراء - هى إحدى الدول المرشحة فى السنوات القليلة القادمة لتحقيق فى مجال التنمية والانطلاق الاقتصادى ما حققته دول النمرور الآسيوية.

إن كل هذه الترشيحات الباعثة على التفاؤل من أجل مستقبل أفضل ما كانت لتصدر إلا بفضل الاستقرار السياسى الذى تنعم به مصر فى عهد الرئيس حسنى مبارك، وكذلك بفضل المناخ الجيد الذى يوفره لدفع الاستثمار العربى والأجنبى على أرض مصر، وتشجيع القطاع الخاص المصرى على المشاركة بقوة فى مسيرة التنمية.

(١) الأهرام فى ١٢ سبتمبر ١٩٩٦.

ولعلنا لانبالغ إذا أكدنا أنه ما كان يمكن لمصر أن تسعى لتحقيق هذا الانطلاق إلا بعد ما حققته من مراحل متقدمة فى تنفيذ برنامجها الإصلاحي الشامل سياسيا واقتصاديا وتشريعيا واجتماعيا.

وإذا كان هذا البرنامج الإصلاحي قد واكبه تنفيذ أضخم برنامج فى تاريخ مصر لإصلاح المرافق والبنية الأساسية، وكذلك نجاح المرحلة الأولى من برنامج الإصلاح الاقتصادى فى ضبط السياسات المالية والنقدية فإن كل هذه العوامل مجتمعة قد وفرت أرضية جاهزة لبدء تنفيذ المرحلة من البرنامج، والتي تستهدف تحقيق الطفرة المنشودة فى الإنتاج والانطلاق الاقتصادى.

وإنه مما يعزز تحقيق تلك الطفرة أن تستضيف مصر هذا التجمع الاقتصادى العالمى الكبير على أرضها فى نوفمبر القادم، فى إطار المؤتمر الاقتصادى.

وإن نظرة فاحصة لما ستطرحه مصر من مشروعات على المؤتمر، وما تسعى إليه من جذب الاستثمار ودفع القطاع الخاص المصرى والأجنبى للاستثمار فى مصر إنما تؤكد أن مصر فى طريقها لتحقيق الانطلاق الاقتصادى.

فرنسا وإحياء الدور الأوروبى

"مازالت أصداء الزيارة التى يقوم بها الرئيس الفرنسى "جاك شيراك" للمنطقة تحدث دويها على جميع المستويات الإقليمية والدولية، خاصة بعد الأحداث التى شهدتها هذه الزيارة فى إسرائيل وخطابه المهم أمام المجلس التشريعى الفلسطينى الذى أكد فيه أهمية وقف الاستيطان الإسرائيلى ووقف جميع الممارسات التى تعوق عملية السلام، وتتعارض معها خاصة فى القدس، وهى أمور تزيد الفجوة بين الرؤية الفرنسية والرؤية الإسرائيلية. ولذلك كان من الطبيعى أن ترفض إسرائيل التدخل الأوروبى فى المنطقة، ولكن لم يكن من المنطقى إطلاقا، أن ترفض الولايات المتحدة هذه المسألة خاصة أنها ظلت طوال الفترة الماضية هى اللاعب الرئيسى فى المنطقة، والحكم الوحيد فى الصراع بين العرب وإسرائيل، ولكنها لم تستطع التخلى عن تأييدها الكامل والمطلق للسياسات الإسرائيلية، بغض النظر عن مدى ملاءمتها لما يحدث على صعيد التسوية السياسية من عدمه، وخير دليل على ذلك الموقف الأمريكى تجاه قضية "تفوق البراق" أو إعادة انتشار القوات الإسرائيلية بالخليل وغيرها من

الامور التي أكدت عدم حيادية الولايات المتحدة، بل وتشجيعها المستمر للمواقف الإسرائيلية، زاعمة أن ذلك يحقق الأمن لها، ويضمن تسوية عادلة للصراع. من هنا فإن تدخل الطرف الأوروبي، بفاعلية وموضوعية، في المنطقة، سوف يؤدي إلى إعادة التوازن من جديد، ويضمن الحد من السطوة الإسرائيلية المتعالية، ويسهم في منح عملية السلام والتسوية الجارية الآن بالمنطقة المزيد من الثقة والنجاح".^(١)

تأييد مصرى للجهد الفرنسى

أوروبا وأمريكا وصياغة نظام عالمى جديد

تشهد المنطقة الآن تحركات دبلوماسية مكثفة لكسر الجمود الذى أحاط بالعملية السلمية بسبب تراجع حكومة بنيامين نتنياهو عن الخط الأساسى للمسيرة السلمية، والذى أسس على مبادئ ومقررات مؤتمر مدريد واتفاق أوسلو وبمبادئ القانون الدولى التى لا تجيز الاستيلاء على الأرض بالقوة.

ومن أبرز المحاولات التى تبذل لكسر هذا الجمود تلك الجولة الواسعة التى يقوم بها الرئيس الفرنسى جاك شيراك لـ ٦ دول معنية أساسا بالمسيرة السلمية استمرارا لجهود فرنسا من أجل إحلال السلام فى الشرق الأوسط.

وتكتسب جولة شيراك هذه المرة أهمية خاصة فى ضوء الآراء الصريحة التى أعلنها خلال زيارته لسوريا وإسرائيل حول وجوب قيام دولة فلسطينية. وإن هذه الدولة هى التى ستضمن الامن الحقيقى لإسرائيل، مع وجوب الانسحاب الإسرائيلى من الجولان وجنوب لبنان حتى يكون السلام شاملا.

نقطة أخرى ركز عليها الرئيس الفرنسى وهى وجوب أن يكون لأوروبا دور سياسى فعال فى العملية السلمية، وقد اتفق معه رئيس الوزراء الإيطالى خلال زيارته للقاهرة مؤكدا أن أوروبا لا يمكن تهميشها فى العملية السلمية،

(١) جريدة الأهرام فى ٢٦ أكتوبر ١٩٩٦.

خاصة وأنها تشكل المصدر الرئيسى للمعونات الاقتصادية التى تتدفق للمساعدة فى إحلال السلام.

هذه الآراء التى أبدتها مصر بقوة من خلال تصريحات الرئيس حسنى مبارك لقيت معارضة شديدة من حزب الليكود الإسرائيلى وجماعات التطرف هناك لدرجة أن الرئيس الفرنسى تعرض لمضايقات بوليسية بحجة حمايته خلال زيارته للقدس العربية.

وقد واصل شيراك جولاته بزيارته أمس واليوم للأراضى الفلسطينية، حيث أكد نفس المعانى التى سبق أن أعلنها بوضوح من قبل. وغدا تستقبل مصر رئيس فرنسا بكل الحب والترحاب مودة لدوره ولدور أوروبا الإيجابى فى الاسهام فى احلال السلام بالمنطقة، مؤكدة مساندتها لأى جهد يقوم به المخلصون والمتفهمون لابعاد القضية من أجل ايجاد تسوية دائمة وعادلة وشاملة.

"الخلاف العلنى الذى ظهر للعيان مؤخرا بين كل من الولايات المتحدة وأوروبا حول عملية السلام فى المنطقة، ينبئ فى الواقع بأكثر من الصورة المحدودة حول الشرق الأوسط فقد جاهر أكثر من مسئول أوروبى بالقول إن أوروبا لا يمكنها أن تكتفى بدور البنك الذى يقدم المعونات للمنطقة دون أن تضطلع فى نفس الوقت بدور مؤثر فى عملية السلام، وهى رؤية تؤيدها جميع الدول العربية. وعلى الجانب النقيض تقف إسرائيل مؤيدة من الولايات المتحدة التى ترى أن على الولايات المتحدة أن تبقى الراعى الوحيد للمفاوضات السلمية. وتؤكد أن أى تدخل أوروبى فى هذه المرحلة الصعبة من المفاوضات قد يضر العملية السلمية فى مجملها.

والواقع أن قصر الخلاف بين الجانبين على رؤيتهما للشرق الأوسط يعانى من بعض القصر فى الرؤية. فمنذ إنهيار الاتحاد السوفيتى وانتهاء الحرب الباردة رسميا، كانت ولا تزال تتردد المقولات حول طبيعة النظام الدولى الجديد هل هو أحادى القطبية ممثلا فى القيادة الأمريكية المنفردة للعالم، أم عالم متعدد الأقطاب تلعب فيه أوروبا الموحدة واليابان ومعهما الجنوب شرق اسيا الناهض اقتصاديا إلى جانب الولايات المتحدة أورا تتلاءم مع وزنها ومكانتها الاقتصادية

والسياسية، من هنا فإن الخلاف الراهن فى الواقع - ربما حدث بأسرع ما يتوقع البعض - هو خلاف حول الشرق الأوسط قد سبقه خلاف أمريكى - فرنسى حول إفريقيا.. من هنا ولأن من المصلحة العربية أن تعاد صياغة العالم دون انفراد جهة واحدة أيا كانت بالتحكم فى مقاليد الأمور، فإن تأييد الدور الأوروبى فى الشرق الأوسط سيلعب دوراً فى صياغة عالم متعدد الأقطاب قد يكون أكثر رحمة من عالم تحكمه رؤية واحدة، ليست فى أغلب الأحوال فى مصلحة العرب^(١).

المقال الافتتاحى لجريدة الأخبار :-

كلمة اليوم (٧) هل تدرك إسرائيل تحذيرات مبارك؟

"جاء تحذير الرئيس حسنى مبارك فى حديثه لمحطة الـ"بى بى اس" الأمريكية من خطر انهيار عملية السلام وتجميد العلاقات بين إسرائيل وكل الدول العربية.. نتيجة لنفاد الصبر بسبب إصرار بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى لفرض وجهة نظره فى عملية السلام وتجاهله الاتفاقيات الموقعة.

وتحذير الرئيس مبارك تأكيد لمسئولية نتنياهو عن الجمود الذى تعيشه عملية السلام وأنه لم يقدم أى جديد.. وأن هذه السياسة تفتح المجال أمام عمليات إرهابية مدمرة ليس فقط لإسرائيل ولكن للعالم أجمع.. وأن الوضع سينفجر إذا لم يتم السيطرة عليه وحل مشكلة المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية لأن الفلسطينيين والإسرائيليين سيقاتلون بعضهم البعض فى كل أنحاء الضفة وغزة.

(١) الأهرام فى ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦.

(٢) جريدة الأخبار ١٩/٢/١٩٩٧.

وفى قراءة متأنية لحديث الرئيس.. نجد أن الرئيس يوجه للمرة الثالثة خلال ستة أشهر كلاما خطيرا إلى حكومة نتياهو وتتحاشى الحكومة الإسرائيلية الرد عليه.. ونجد أن الحديث يحمل فى طياته تحذيرا فى غاية الخطورة لإسرائيل.. فهل حكومة الليكود قادرة على فهم كلام الرئيس مبارك وقادرة بالتالى على تحمل تبعات التحذير.

إن الرئيس مبارك أكد فى حديثه أن مصر لا تستطيع الانسلاخ عن العالم العربى والدول العربية لا تستطيع الاستغناء عن مصر وموقعها كشفقة كبرى تتحمل مسئولياتها فى القضايا القومية ومنها قضية فلسطين ولا تستطيع اتخاذ موقف الحياد عن عملية السلام ولا تريد أن تضغط على الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات للقبول بمواقف وتقديم تنازلات يرفضها شعبه.

وفى حديث الرئيس يؤكد على قوة العلاقات بين مصر والولايات المتحدة وهى علاقات صداقة وليست تبعية لأننا لسنا تابعين للولايات المتحدة ونعلم أن الدعم يمكن أن ينتهى فى يوم أو آخر.

وإشارات التحذير فى حديث الرئيس مبارك كثيرة وكلها تؤكد موقف مصر الثابت فهى تدين السياسات الإسرائيلية ومحاولة نتياهو لنسف عملية السلام.. كما أن مصر لا يمكن أن تسكت إزاء أى عدوان إسرائيلى جديد يستهدف سوريا أو لبنان أو يستهدف فرض السلام الإسرائيلى الذى تعرضه الحكومة الإسرائيلية عليهما.

إن نظرة مصر إلى السلام تنطلق من مبدأ لم ولن يتغير وهو أن السلام اما أن يكون شاملا وعادلا ودائما، أو لا يكون إذ لا يمكن أن تقيم إسرائيل سلاما مع مصر والأردن وتترجع عن التزاماتها تجاه الشعب الفلسطينى والاستفراد بالجبهة السورية أو اللبنانية.

فهل ستترك إسرائيل أبعاد هذا التحذير وينتصر العقل؟

تهنئة لبورسعيد^(١)

"استحققت وتستحق مدينة بورسعيد الباسلة تلك التحية التي وجهها إليها
أمس الرئيس حسنى مبارك فى كلمته بمناسبة الذكرى الأربعين لخروج آخر
جندى بريطانى من مصر بعد فشل العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه كل من
بريطانيا وفرنسا وإسرائيل.. وعندما تحتل مصر بهذه الذكرى وتعتبرها بمثابة
انتصار.. فذلك ليس معناه أننا نتحدث عن انتصار بمعناه العسكرى.. لكنه كان
انتصاراً بمعنى آخر هو انتصار لإرادة شعب قدم نموذجاً للمقاومة التى أصابت
قوى العدوان بالصدمة مما أفقد الدول الثلاث التركيز وأدى بها إلى حالة من
التخبط العسكرى والإحباط السياسى.. وأصبح هذا العدوان نموذجاً لسوء التقدير
وعدم الإدراك الحقيقى لابعاد الموقف العربى والدولى.. ولمعدن الانسان
المصرى الذى تزيده المصاعب والمصائب قوة وصلابة على قوته وصلابته
وتؤكد الأزمان قدرته الكبيرة على قبول التحريات عندما تفرض عليه.

فعندما حلقت المئات من قاذفات القنابل البريطانية فى سماء مصر وألقت
الاف الاطنان من القنابل الثقيلة وقذفت أهدافها بالصواريخ وألقت عشرات
الآلاف من المنشورات التى تحض على الثورة ضد نظام الحكم الوطنى فى
مصر آنذاك لم يخضع شعب مصر للتخويف والإرهاب والتخريض وظل
حريصاً على تأييد النظام الوطنى صامداً قابلاً للتحدى الذى هدد وجوده وكرامته
وكبرياءه.. هذا هو الانتصار العظيم الذى حققه المصريون فى بورسعيد وفى
كل المدن المصرية.. لقد وقف المصريون "العظماء" وقفة رجل واحد حول
قيادتهم مبدئين استعداداً كاملاً للبدل والتضحية..

هذا الشعب هو نفسه الذى صمد وقاوم وتحمل وصبر بعد هزيمة ١٩٦٧
المخزية.. وأعلن أنه لن يستسلم ورفض الهزيمة التى لم يكن له يد فيها..
وهو عندما خرج يومى ٩ و ١٠ يونيو يعلن رفض تنحى الرئيس الراحل
جمال عبدالناصر لم يكن يعلن تمسكه بزعيم قدر ما كان يعلن رفضه كشعب
لهزيمة ويعلن قدرته على الصمود والبقاء مرفوع الهامة..

هو نفسه الشعب المصرى الذى حقق أعظم الانتصارات العسكرية فى
أكتوبر ١٩٧٣ عندما حطم الجيش الإسرائيلى وأسطورته واقتحم خط بارليف

(١) الأخبار ١٠/١٢/١٩٩٦.

أعظم الموانع الماثية فى التاريخ العسكرى.. وأعاد للأمة العربية عزتها وكرامتها وكبرياءها المفقود.. وقال بأعلى الصوت إن المصريين قادرون دائما على تحدى الصعاب مهما كانت.

هذا هو نفسه الشعب القوى الذى خرج يعلن من موقع القوة ومن مكانة المنتصرين حبه ورغبته فى السلام لدى عودة الرئيس الراحل أنور السادات من القدس بعد مبادرته السلمية التى أصابت العالم كله بالدهشة..

وهو نفسه الشعب الذى التفت حول قائده حسنى مبارك منذ توليه الحكم فى عام ١٩٨١ يكمل معه مسيرة السلام.. ويبدأ معه مسيرة الإصلاح والتنمية.. ويتحمل بصبر ودون كلل سنوات عصيبة ذاق فيها مرارة التحول من الاقتصاد المركزى إلى الاقتصاد الحر حتى أصبح الآن على أعتاب جنى الثمار.

هذا الشعب المصرى هو نفسه الآن الذى فجر فيه مبارك الرغبة فى التحدى والبناء من جديد من أجل الدخول إلى القرن الحادى والعشرين ببلاده أكثر قوة وعنفوانا.. وهى تبنى كما بنى الأجداد منذ آلاف السنين واديا جديدا يفيض خيرا وفيرا على المصريين الآن.. وعلى الأجيال القادمة..

هذا هو الشعب المصرى البطل الذى لا يحتاج إلى جهد كبير لتحفيزه على مزيد من العمل والإنتاج إذا تم تحديد الغاية والهدف أمامه.. بانها مصر.. ورفعة مصر وثقتها وازدهارها..

لنا نتوجه بالتهنئة إلى شعب بورسعيد الصامد.. ولكل الشعب المصرى البطل.. وفيما يلى نموذج للمقال الافتتاحى فى جريدة الجمهورية^(١).

«الجمهورية» تقول الطبع الفوم فى الوادى الجديد

"أعلن الرئيس حسنى مبارك أن الدراسات الخاصة بمشروع التوادرى الجديد العملاق غربى النيل تمت منذ عشرين عاما.. وأن وزارة الرى المصرية قامت بهذه الدراسات التى أثبتت صلاحية المنطقة للزراعة باستخدام الفائض من مياه النيل.. فائض حصة مصر..

(١) للجمهورية ٥ يناير ١٩٩٧.

إن لم يأت المشروع فجأة.. أو بدون دراسة.. لكنه مشروع قومى طموح يستجيب لاحتياجات سكان مصر فى القرن القادم ولم يعد من المنطق أن يستمر التكدس السكانى للمصريين فى الوادى والدلتا إلى الأبد.. فقد عشنا طويلا فى منطقة ضيقة لا تزيد عن ٤٪ من مساحة مصر.. ولا يعقل أن تستمر الزيادة السكانية المصرية فى تصاعد دائم.. بدون التفكير فى الخروج على الوادى الضيق.. والخروج منه.

ولا شك فى أن مشروع الوادى الجديد العملاق غربى النيل.. جاء فى موعده.. وتوأكب مع مرحلة الانطلاق الاقتصادى.. كما أنه يأتى كمنفذ جديد للتنمية التى تستوعب الزيادة السكانية وهذا يعنى أن المشروع الجديد يفتح أبواب الأمل لسواعد الشباب المتحمس.. المتطلع للمشاركة فى بناء مصر.. وبناء الحياة الأفضل لنفسه.

وبصراحة لم يعد يلىق بمصر القرن الحادى والعشرين أن يبقى شريط الحياة الاخضر محاطا بصحراء لانهائية شرقا.. وغربا والمسألة لا تتعلق بالشكل فقط.. لكنها تتعلق أيضا بالأمن القومى الشامل لمصر والحقيقة أن بناء دلتا جديدة غرب النيل.. عامرة بالمزارع والمصانع يعطى عمقا استراتيجيا بعيدا لهذا الوطن، وكل ذلك يؤكد أن هذا المشروع القومى العملاق ضرورة اقتصادية وسكانية واستراتيجية.

وقد تعرض المشروع لدراسات جادة ومستفيضة استمرت سنوات طويلة وأصبح المشروع الآن على موعد مع القدر.. ليرى النور فى مرحلة الانطلاق الاقتصادى.. والتنمية الشاملة وسارعت مؤسسات التمويل الدولية الكبرى إلى تأكيد اهتمامها بهذا المشروع القومى العملاق وأبدى خبراء البنك الدولى فى واشنطن استعدادهم للمساهمة فى تمويل المشروع.. وإقناع رجال الأعمال والشركات العالمية الكبرى بالاشتراك فيه بالمال والتكنولوجيا وبالطبع لن يستفيد من كل ذلك سوى أبناء مصر من محدودى الدخل.. الذين يشكلون الشاغل الاساسى لزعيم مصر وقائد مسيرتها الوطنية.. الرئيس حسنى مبارك وهذا المشروع هو أفضل ما تبدأ به مصر من مشروعات فى عام ١٩٩٧.. وهو فى جوهره يمثل الطموح القومى العظيم لزيادة ثروة مصر.. ودعم قدراتها الاقتصادية الشاملة." وفيما يلى نموذج للمقال الافتتاحى فى جريدة الشرق الأوسط :

التشرق الأوسط

جريدة العرب الدولية

أقوال مشجعة تنتظر الأفعال

• انتقدت الولايات المتحدة وفرنسا تأييد رئيس الوزراء الإسرائيلي لاستئناف الاستيطان في الاراضى الفلسطينية.

الولايات المتحدة اعتبرت بالأمس تصريحات بنيامين نتنياهوو الداعمة للتوسع الاستيطاني في الاراضى الفلسطينية المحتلة "غير مساعدة" و "غير بناءة"، واختارت فرنسا تعبير "مقلقة للغاية" لوصف تصريحات نتنياهوو وقالت على لسان واجهتها الدبلوماسية انها "إذا ما تأكدت.. تتضمن خطر خلق بؤر جديدة للتوتر وعوامل جديدة للجمود".

كبداية هذان موقفان يستحقان الترحيب. ولا شك أن الدول الكبرى عندما تجد الحاجة للتعبير عن مواقفها تقطع نصف الطريق إلى تبني الموقف المنسجم مع الأنفاظ، والا كان بإمكانها الصمت.. كانى لا سمعت ولا رأيت.

غير أن اعلان هذا الموقف الايجابى يظل خطوة منقوصة لن تطمئن اصحاب المصلحة فى السلام الحقيقى إلا إذا عزز بتدابير عملية.

فالجميع يعرف أنه مكتوب على المجتمع الدولى التعامل مع هذا الرجل فى المستقبل المنظور طالما احتفظ بثقة الكنيست (البرلمان الإسرائيلى)، وهذا يعنى أن المفتاح بيد نواب هذا البرلمان المفترض أنهم يعكسون مشاغل الشارع الإسرائيلى وهمومه.

وانطلاقا من هذا الواقع، علينا التذكر أن الكيان الإسرائيلى كيان غير مكثف ذاتيا، على الرغم من كل المزاعم الاعلامية عن "تخصيره" الصحارى واجتراحه "الخوارق التقنية". فمما لا جدال فيه أن إسرائيل دولة تعتمد اعتمادا كبيرا على الاعانات الخارجية المباشرة وغير المباشرة، وهذا يعنى أنه اذا وجدت الارادة الدولية لإفهام إسرائيل حكومة وبرلمانا وناخبا بأن لكل تصرف

تصرفا مقابلا، أصبح بالإمكان وقف العريضة التي يرتكبها ننتياهو هذه الأيام على أنقاض مقومات السلام.

وبكل بساطة فإن واشنطن، وكذلك باريس ولندن، فى موقع يسمح لها بممارسة ضغط سياسى واقتصادى على إسرائيل من منطلق أنها أيضا دول تستطيع ضمان أمنها ومصالحها.

وما هو مفهوم فى العالم العربى اليوم، أن الأطر التى تحقق ضمنها "مؤتمر مدريد" تقضى بمبادلة الأرض بالسلام. أى بأن يقبل العالم العربى بوجود إسرائيل آمنة وسيدة ومستقلة فى منطقته، ولكن شريطة أن تضمن أمن وسيادة واستقلال غير الإسرائيليين فى جبرتها. بكلام آخر مطلوب من إسرائيل احترام الجزء الخاص فيها من شروط العقد السياسى المنصوص عليه فى مدريد بما له علاقة بالمنطقة ككل، وفى أوصلو بما يتعلق بالفلستينيين.

وإصرار ننتياهو هذه الأيام على التأجيل فى موضوع المستوطنات بعدما طرح مقولة "الامن مقابل السلام" بديلا لـ "الأرض مقابل السلام"، يشكل امتحانا نرجو أن تتجاوزه القوى الكبرى بنجاح، وأن تترجم أقوالها إلى أفعال.

10 Opinion

Al-Ahram Weekly Cause and effect

The synchronised bombings of the US embassies in Kenya and Tanzania last Friday are, in essence, a declaration of war on the primary advocate and executor of the New World Order. The choice of targets, the magnitude of the attacks (which left more than 230 dead and 5,000 wounded), the precision of the operation and the solemn vows of retribution by Washington all indicate that the war will be widespread, vicious and protracted.

Nairobi and Dar es Salaam were the last places one would have expected to be the stage of a massive terrorist attack. But then, that is probably the very reason the terrorists targeted them. As the two capitals have never been known to harbour extremist organisations or to suffer from the plague of terrorism, security there was not at its tightest. This must have facilitated the logistics considerably.

In the absence of either a definitive claim of responsibility or official accusations from the US, Kenya or Tanzania, speculation has been rife as to the identity of those who planned and carried out the attacks. Islamist organisations, however — any or all of over half a dozen groups, acting singly or collectively — are the prime suspects for the moment.

The suspicion is well-grounded. Six such groups banded together last February and formed the so-called Islamic Front for Jihad (struggle) Against the Jews and the Crusaders — meaning Israel and, principally, the United States. The front's founding statement included a *fatwa* (religious opinion) according to which Muslims are duty-bound "to kill Americans and seize their assets wherever they can be found". The front included the Jihad Organisation, which has a record of violent activity inside Egypt, including the 1981 assassination of President Anwar El-Sadat. This group issued a threat against the Americans a few days before the East African bombings.

All of this means that the United States and its allies, notably Israel, are up against a highly professional organisation with a wide sphere of influence. All the Pentagon's power may help in fighting terrorism, but it will never be fully effective as long as discontent and the will to resist persist. A better approach would be policy shifts in favour of the oppressed, such as the Palestinians, and away from Israel.

EDITO

Lutte pour une identité

Si les Palestiniens peuvent se targuer de quelque chose en cinquante ans de lutte, c'est bien d'avoir pu préserver leur cause et leur identité malgré les efforts d'Israël ou des « frères » arabes pour enterrer l'une et effacer l'autre. La survie n'avait rien d'évident après la guerre qui a accompagné la création, le 14 mai 1948, de l'Etat d'Israël, et la défaite consécutive des armées arabes, autant d'événements qui sont restés dans la mémoire collective palestinienne sous le nom significatif de « *nakba* » (catastrophe).

Plusieurs centaines de milliers de Palestiniens ont alors dû partir en exil pour se réfugier dans les pays arabes voisins, ou en Cisjordanie et à Gaza. « *Après la nakba, toutes les tentatives se concentraient sur l'effacement de l'identité palestinienne* », affirme Yasser Abd-Rabbo, un responsable de longue date de l'OLP, aujourd'hui ministre de la Culture et de l'Information de l'Autorité palestinienne. « *C'est pourquoi les premières batailles que durent livrer les Palestiniens, immédiatement après la nakba, étaient dirigées contre les efforts visant à mettre un terme à leur existence et à tuer leur rêve de pouvoir un jour retourner sur leur terre* », explique-t-il.

La lutte était menée sur deux fronts : politique d'un côté, contre des tentatives arabes d'assimiler les réfugiés palestiniens et d'annexer les parties de la Palestine historique qu'Israël n'avait pas prises, et culturel de l'autre, contre l'idée qu'aucune identité nationale palestinienne n'existait.

Dès décembre 1948, la Jordanie annexe la Cisjordanie, avec l'aval de notables palestiniens réunis à Jéricho et emmenés par le maire de Hébron, Mohamad Ali Jaabari. Cette décision suscite la colère de la rue palestinienne et conduit à plusieurs manifestations,

notamment à Naplouse. « Les Jordanien ont riposté par une vaste campagne d'arrestations pour casser les protestations », se souvient Faïq Warrad, qui appartenait à l'une des petites factions nationalistes palestiniennes nées après la *nakba*. Le roi de Jordanie, Abdallah,

est assassiné en 1951 à Jérusalem-Est par un Palestinien. Mais le royaume hachémite maintient son contrôle sur le territoire jusqu'à la guerre de 1967 et la victoire israélienne qui débouche sur l'occupation de la Cisjordanie et de la bande de Gaza.

Pendant ce temps, d'importantes manifestations agitent les camps de réfugiés, au début des années 50, contre les propositions d'installation définitive des résidents des camps dans le Sinaï, dans la vallée du Jourdain ou dans certaines parties de la Syrie et du Liban. Les Palestiniens commencent ensuite à organiser leur propre lutte armée, dans l'espoir de « libérer » leur patrie. En 1955, le gouvernement égyptien permet la formation de groupes de *fedayyines* (combattants) à Gaza.

Les Etats arabes tentent alors de contrôler le mouvement palestinien en favorisant la création de l'Organisation de libération de la Palestine, en 1964, et en mettant à sa tête un homme jugé malléable, Ahmad Al-Chouqeiri. Mais ce n'est qu'après la prise de pouvoir de l'OLP, en 1969, par Yasser Arafat et sa faction, le *Fath*, que les Palestiniens purent vraiment obtenir leur institution indépendante des Etats arabes et engager à fond la lutte armée.

Le choix de la négociation et le retour d'Arafat en terre palestinienne, en 1994, à la suite des premiers accords d'autonomie avec Israël, marquent une étape capitale dans la longue marche des Palestiniens. Mais à ce jour, ils restent très loin de pouvoir concrétiser leur rêve d'Etat indépendant ayant Jérusalem-Est pour capitale.

حديث الرأي العام

يمثل حادث انفجار سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في كل من كينيا وتنزانيا ابتداء ذات مدلولات خطيرة تعكس مدى السخط والاحباط الذي أصاب البعض بسبب سياسة الولايات المتحدة الأمريكية القائمة على تحقيق مصالحها دون اعتبار لمصالح الآخرين وكذا ارتكازها على سياسة الكيل بمكيالين في عدة لزمات دولية تحدث في العديد من دول العالم خاصة في منطقة الشرق الأوسط وفي تراخيها إزاء عملية السلام العربي الاسرائيلي. وفي تمهيدا معاينة اخطاء بعض المسلمين بعنف وارهاب شديدين..

ونحن حينما نقول ذلك لا نحبذ العمل الذي تم ضد سفارتي امريكا في كينيا وتنزانيا. فاما نقول ذلك لان لهذين العاملين لاسبابا ومقدمات أدت الى حدوث هذه النتائج وهي نتائج يجب أن تتحمل الولايات المتحدة الأمريكية تداعياتها ومصلحتها..

ونحن نندد ونرفض الانفجارين اللذين دمرتا سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في كل من كينيا وتنزانيا باعتبارهما عملا ارهابيا يستوجب مقاومة ومعاقة فاعليه ذلك لان الحادثين قد استهدفا الارباء من المواطنين أثناء كينيا وتنزانيا وكذا استهدفا الموظفين في السفارتين الأمريكية والذي وصل كما ذكرت آخر احصائية الى حوالي ٢١٨ قتيلا و ٥٠٠٠ جريح..

ونؤكد كما قلنا سابقا أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية هي وراء تفشي الارهاب وجعله ارهابا عالميا منظما وهذه السياسة الأمريكية القائمة في تخيلها على أنها أصبحت قوة تحاول فرض هيمنتها على العالم واثبتت هذه السياسة شرمة للزبد من القوة وأنها فظة ومتعالية على الجميع. هذه السياسة هي التي أدت الى حالات الكره والعداء تجاهها في جميع أنحاء العالم. ومما يدل على سياسة الاستكبار والاستلاء الأمريكي قول الرئيس الأمريكي بيل كلينتون أثناء حملته الانتخابية الاخيرة «إن الولايات المتحدة الأمريكية لمة لا يمكن للعالم أن يعيش بدونها»!!

وحتى لا نتهم بأننا نتجنى على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية.. فإننا نستدل بما قالته صحيفة ألمانية ويسير رأيها في نفس استنتاجنا وتحليلنا للاحداث.. فقد قالت صحيفة «سودويتشه» الألمانية التي صدرت مؤخرا: أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية التي تنتهجها من بين الاسباب التي أدت الى تفشي روح العداوة ضدها والتي ظهرت في أشجع صورها في تفجير سفارتيها في كينيا وتنزانيا. حيث كانت تصريحات المسئولين الأمريكيين في الفترة الماضية تعبيراً عن التكبر القومي والاستلاء الاحق الأمريكي..

وقالت الصحيفة الالمانية: إن البيانات التي وردت بعد تفجير السفارتين وكذلك ما يتردد في الاوساط الدبلوماسية يؤكد أن الكثيرين في اجزاء مختلفة من العالم يشعرون أن الولايات المتحدة الامريكية أصبحت قوة تحاول فرض هيمنتها بطريقة فظة ومتعالية. وأن الولايات المتحدة تسببت في خلق اعداء كثيرين لها في العالم العربي من خلال دورها في عملية السلام في الشرق الاوسط علاوة على جهودها الخفية في انشاء تحالف مضاد للرئيس العراقي صدام حسين... وقالت الصحيفة: السياسة الامريكية تحتوي على الكثير من الاخطاء والتناقضات مما يستثني المقاومة والاختلافات السياسية الحادة معها خاصة بعد أن جعلت أسلوب فرض المقبولات على الآخرين لهم وسيلة لفرض سياستها الخارجية مثلما أرادت أن تفعل مع الشركات التي تتعامل مع العراق أو إيران أو ليبيا أو كوبا وكذلك في رفضها لانشاء محكمة جنائية دولية ودورها السلبي في اتفاقيات النناخ الدولية وأكدت صحيفة «سوددويتشه» أن السنولين عن تفجيرات السفارتين أرادوا أن يوصلوا رسالة إلى واشنطن مفادها بأنه لا يهمهم عدد القتلى والجرحى الذين سيقطلون فهم ليسوا الهدف الذي يجب أن تصيبه القنابل بل والعلم الأمريكي والامة الامريكية... وحينما وقعت الحادثتان لسفارتى امريكا سارع البعض وتطوع وأعلن أن وراء الحادث «حركة اسلامية» وهذه ادعاءات مفرضة وباطلة تريد النيل من الاسلام والمسلمين.

فالمسلمون والعرب ابرياء من الارهاب بل أن الارهاب يمارس ضدهم في كثير من مواقع على خريطة العالم. ولا يستطيع أى شخص مهما كان أن يلصق تهمة الارهاب بدين عظيم كالاسلام والاسلام براء من الارهاب.

الفصل الرابع

فن العمود الصحفى

تهتم الصحافة اهتماما بالغا بفنون المعالم؛ فى التحرير الصحفى. و"المعالم" هى التى تشمل: التقرير الصحفى والحديث الخاص، كما تشمل المقالات الصحفية والمقالات الافتتاحية، ويجىء فن العمود الصحفى فى مكانه من الجانب المقالى الذى احتل حيزا كبيرا فى الصحافة، لما يمتاز به من وصف واقعى ورجوع إلى مصادر الأنباء، وأسلوب صحفى اجتماعى بسيط، فضلا عن تنوع أساليب التحرير فيه.

وعلى الرغم من أن لفن العمود الصحفى فى الجريدة اليوم منزلة الباب الصحفى الثابت فى العالم، وعلى الرغم من أن عدد قرائه يزيد كثيرا على عدد قراء الافتتاحية غير الموقعة، فإن تكامل العمود وشعبيته حديثا عهد نسبيا. ذلك أن الصحف اهتمت فى حياتها بالخبر ثم بالمقال، بينما لم يتسع المجال للعمود، فلم يظهر إلا متأخرا. وإذا جاز أن يختار تاريخ لظهور أهمية العمود الصحفى فى الصحف، فإن من المرجح أن يكون ذلك التاريخ منحصرا فى أوائل القرن العشرين. فالصحف العربية والمصرية خاصة كانت تعتمد على المقال الافتتاحى، الذى كان طويلا فى البداية، ثم أخذ يقصر شيئا فشيئا. كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة فى أغلب الأحيان، وإن كانت تتناول أحيانا بعض الموضوعات الطريفة. غير أن الصحف المصرية قد أخذت عن الصحافة الغربية فن العمود الصحفى "على نحو ما نجد عند طه حسين الذى يتجه فى أوائل العشرينات إلى العمود المتخصص، أو الثقافى فى "حديث الأربعاء" ومن ذلك يبين أن ظهور العمود الصحفى فى الأدب العربى الحديث قد جاء استجابة للتجاوب بين الصحافة وطبقات الشعب المصرى بعد ثورة ١٩١٩، وهى الثورة التى دفعت الكتاب إلى أنحاء من التصوير والتعبير يطمحون من ورائها إلى أن تكون "مرآة صافية صقيلة لحياة الشعب يرى فيها الشعب نفسه فيجب منها ما يحب ويبغض منها ما يبغض، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح".

وكان العمود المقالى، ثمرة من ثمار الروابط الثقافية والاجتماعية، التى تظهر بظهور الترابط الاجتماعى متعدد الوجوه، وتجاوب الصحافة مع الطبقات الجديدة فى المجتمعات المختلفة. حتى لنقول مع طه حسين إنه يحقق الصلة بين "الشعب وحياته الواقعية العامة وهذه الحياة الواقعية" شعبية أو تريد أن تكون شعبية لا يستأثر بها فريق من الناس دون فريق.

وفى ضوء هذه الرؤيا، تتعدد أنواق قراء الصحف ومشاربهم ومستوياتهم، طبقيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. وفى مواجهة هذه الحياة الواقعية الجديدة. ليس للصحافة بد من أن تتطور، وأن تغير من أسلوب تحريرها واختيار موضوعاتها، وأن تنجى المقالات إلى الاهتمام بمصالح الأفراد والجماعات المتعددة المذاهب والاتجاهات والأهداف.. وعن هذا الاتجاه نشأ: المقال الافتتاحى القصير ثم فن العمود الصحفى كفنين مقالين تفاعلاً مع الصحافة الحديثة.

والعمود الصحفى يرتبط بما اتصف به النصف الأول من هذا القرن فى نهايته من عامل السرعة من جهة، وبالضغوط التى تعرضت لها الصحافة المصرية، كما يبين من التشريعات الخاصة بالنشر من جهة أخرى، بحيث أصبح المقال الموقع فى الصحف اليومية يواجه ضغوطاً لا تتبع كلها من داخل صناعة الصحف، وإنما تتبع من أعمال الرقابة الإدارية على الصحف كذلك. ولعل فى هذا ما يفسر اتجاه فن العمود إلى التوسل بالرمز، لمواجهة المصادرة التى فرضت على الصحف والكتب، وهنا نجد، طه حسين مثلاً - يكتب "جنة الشوك" وينشرها على شكل عمود فى "الأهرام" فى الأربعينات، قبل جمعها فى كتاب ينشر لأول مرة عام ١٩٤٥، وظل هذا العنوان اسماً لعموده الصحفى فى "الجمهورية" فى الستينات.

ومقال العمود؛ حديث شخصى يومية أو أسبوعية لكاتب معين يوقعه باسمه وتحت عنوان ثابت مثل "فكرة" لمصطفى أمين بالأخبار، والتى كان يكتبها من قبل شقيقه على أمين و"حقائق" لإبراهيم نافع فى الأهرام و"مواقف" لأليس منصور بالأهرام و"من قريب" لسلامة أحمد سلامة بالأهرام، ومجرد رأى "صلاح منتصر بالأهرام وصندوق الدنيا" لأحمد بهجت فى الأهرام، ونصف عمود لأحمد رجب فى أخبار اليوم. "والموقف السياسى" لإبراهيم سعده فى أخبار اليوم .. والعمود الصحفى

يمثل فكرة أو رأيا أو خاطرا للكاتب، حول واقعة أو ظاهرة اجتماعية، أو سياسية أو ثقافية. ذلك أن الغاية الأساسية من هذا الفن المقالى هى ربط القارئ بالكاتب والصحيفة. ويعتبر العمود رأيا شخصيا للكاتب قد يتفق وقد يختلف مع سياسة الصحيفة فى موضوع معين. غير أن بعض علماء الصحافة مثل "ليبلنج" يذهبون إلى أن كاتب العمود لا يختلف عن كاتب المقال الافتتاحى، لأنه يعرض وجهة نظر الصحيفة لا وجهة نظره هو، ولكن معظم الصحف الكبرى فى العالم تؤثر أن يكتب الكاتب بحرية كافية معبرا عن رأيه الشخصى. وفيما يلي نموذج من "جنة الشوك" للدكتور طه حسين فى جريدة الجمهورية:

(١)

جنة الشوك

بقلم الدكتور طه حسين

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ:

أيهما أدعى للسخرية طاغية معتوه أو قاض مجنون!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

كلاهما وتمرا.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ:

فانى لم أفهم منك هذا الجواب.

قال الأستاذ للشيخ لتلميذه الفتى:

إنك لقليل العلم بالأمثال ولكن مثلا آخر قد يعينك على فهم مالم تفهم. زعموا

أن رجلا من أهل العراق يعرف بالعبادى سئل: أى حمارك شر قال هذا ثم هذا.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ:

الآن قد وعيت. ولكن ما خطب الشعب الذى امتحنه الله بطاغية معتوه

وقاض مجنون.

(١) جريدة الجمهورية فى ١٩/١٢/١٩٥٩.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:
إنما هي سحابة صيف عن قريب تقشع... وسل الله أن يكذب هذا الشعب
قول من قال. الناس على دين حكامهم.

طه حسين

١٩٥٩/١٢/١٩

من هذا النموذج المقالى - عند طه حسين يتبين أن المقال العمودى فن جديد
قديم، على النحو الذى تبين لنا عند دراسة "العمود الرمزي"، حتى لنذهب إلى أن
وصل هذا الفن المقالى فى الصحف برصيد قولى تراث يؤدى إلى لون من التعبير
صادق كل الصدق، ملائم كل الملاءمة لحقائق التاريخ الأدبى العام من جهة،
ولحقائق التاريخ الأدبى العربى من جهة أخرى.

ذلك أن هذا الفن - كما يقول طه حسين - كغيره من فنون القول إنما نشأ
منظوماً لا منشوراً.. فهو منذ نشأته الأولى فى الأدب اليونانى مذهب من مذاهب
الشعر ولون من ألوانه، نشأ يسيراً ضئيلاً، ثم أخذ أمره يعظم شيئاً فشيئاً حتى
سيطر أو كاد يسيطر على الأدب اليونانى فى الاسكندرية وغيرها من الحواضر
اليونانية، فى العصر الذى تلا فتوح الاسكندر. وقد نشأ كذلك فى الأدب اللاتينى
ضئيلاً يسيراً، حتى إذا اتصل اللاتينيون بالأدب اليونانى عامة وبالأدب الإسكندري
خاصة، ترجموا ثم قلدوا ثم برعوا، حتى أصبح هذا الفن من فنون الشعر اللاتينى
ممتازاً أشد الامتياز وأعظمه فى القرنين الأول والثانى للمسيح، أى فى العصر
المجيد من عصور الإمبراطورية الرومانية.

وقد راد طه حسين إبداع الفن فى صحافتنا الحديثة من خلال عموده
الرمزى النثرى "جنة الشوك". وهو الفن الذى سماه اليونانيون واللاتينيون "إبيجراما"
أى نقشا، واشتقوا هذا الاسم اشتقاقاً يسيراً قريباً من أن هذا الفن قد نشأ منقوشاً
على الأحجار، فقد كان القماء ينقشون على قبور الموتى وفى معابد الآلهة وعلى
التمائيل والآنية والأداة البيت أو الأبيات من الشعر، يؤدون فيها غرضاً قريباً أول
الأمر. ثم أخذ هذا الفن يعظم ويتعقد أمره، حتى نأى عن الأحجار واستطاع أن

يعيش فى الذاكرة وعلى أطراف الألسنة، ثم استطاع أن يعيش على أسلات الأفلام وفى بطون الكتب والدواوين. وقد أطلق اليونانيون واللاتينيون كلمة "إيجراما" أول الأمر على هذا الشعر القصير الذى كان ينقش على الأحجار، ثم على كل شعر قصير، ثم على الشعر القصير الذى كانت تصور فيه عاطفة من عواطف الحب أونزعة من نزعات المدح، أو نزعة من نزعات الهجاء. ثم غلب الهجاء على هذا الفن، ولاسيما عند الاسكندرانيين وشعراء روما؛ وإن لم يخلص من الغزل والمدح. فلما كان العصر الحديث لم يعد الشعراء الأورييون يطلقون هذا الاسم إلا على الشعر القصير الذى يقصد به إلى النقد والهجاء.

ذلك هو الأصل الأوربى القديم للمقال العمودى. أما الأصل العربى القديم، فلم يكد يعرفه الأدب الجاهلى، أو نحن لا نعرف من الأدب الجاهلى ما يمكننا من أن نقطع بأن الشعراء الجاهليين قد حاولوه أو قصدوا إليه. ولم يعرفه الأدب الإسلامى (وقد يروى شئ منه بين الفرزدق وعبد الله بن الزبير مثلاً)، وأكبر الظن أن الشعراء الإسلاميين لم يعرفوه؛ لأنهم لم يرثوه عن الفحول الجاهليين، ولأنهم لم يشهدوا حياة متحضرة مترفة كالتى عرفها شعراء الإسكندرية وشعراء روما، وإنما عرفوا حياة قد اتصلت بالحضارة ولكنها لم تبدأ من البداوة، وقد حفظت تراثاً قوياً ضخماً ومذهباً فى الشعر مألوفاً، أخص ما يمتاز به طول النفس حتى يؤدى الشاعر ما يحتاج إلى تأديته فى أناة ومهل لا تمتاز بالقصر ولا بالاختصار. فلما كان العصر الثانى من عصر الحضارة الإسلامية، أزهى فى العراق هذا الأدب العباسى الجديد، وظهر هذا الفن فى الأدب العربى قوياً خصباً مختلفاً ألوانه فى البصرة والكوفة وبغداد. ولكن حياته لم تطل، وإنما اقتضت ظروف السياسة والأدب أن يعدل الشعراء والفحول عنه عدولاً يوشك أن يكون تاماً، وأن يستخفى به بعض الشعراء وبعض الكتاب، بل بعض الذين لا تعرف لهم سابقة فى الشعر ولا فى النثر.

ثم كانت عصور الضعف الألبى، فذهب هذا الفن من فنون القول فيما ذهب، واستؤنفت فى عصرنا الحديث حياة تقليدية عنى فيها أدباؤنا بعمود الشعر، ولم يخالفوا عن سنة الفحول من الجاهليين والإسلاميين والمحدثين، فلم يحفلوا بهذا الفن الذى لم يزدهر فى تاريخ الشعر العربى إلا وقتاً قصيراً. وقد نقلت الآداب اليونانية

واللاتينية إلى اللغات الأوربية فى العصر الحديث. فقلد الشعراء الأوربيون فى هذا الفن كما قلدوا فى غيره من الفنون، ثم ابتكروا فيه كما ابتكروا فى غيره من الفنون، حتى أغنوا آدابهم منه بألوان رائعة. ولكن النهضة الشعرية التى دفع الأوربيون إليها منذ أواخر القرن الثامن عشر صرفتهم عنه إلى مذاهب أخرى من الشعر صرفا يكاد يكون تاما.

ومن ذلك يبين أن إحياء العمود الرمزى فى فنون المقال الصحفى يقوم على هذه الأصول، فى تعبير نثرى قصير، يتفق ومقتضيات الفن الصحفى الحديث. فالقصر إذن خصلة مقومة لهذا الفن المقالى، على النحو الذى تقوم عليه "الإيجراما" فى شكلها الشعرى، وهذه الخصلة فى نموذج طه حسين من عناصر الأصالة فى الحياة العربية، ذلك أن "الإيجاز هو الذى غلب فى بداية الحركة الإسلامية جانب العمل على جانب القول". وهذا الإيجاز بالقياس إلى الفن الصحفى الحديث أمر جوهري. ذلك أن العمود الصحفى لا يتسع لأكثر من الكلام عن فكرة واحدة، أو خاطر واحد، بحكم ظروف العصر من جهة، وظروف الصحيفة من جهة أخرى، حيث لا تخصص إلا حيزا صغيرا للعمود، الأمر الذى يقتضى الإيجاز فى التعبير، وعدم الجنوح إلى الإسهاب بحال ما (١).

ومن أجل ذلك وجدنا العمود الصحفى فى "جنة الشوك" لا يتجاوز خمسة عشر سطرا، بحد أقصى، على نحو ما تمتاز به "الإيجراما" إلى جانب التركيز على فكرة واحدة. ومن ذلك مقال للدكتور طه حسين بعنوان:

حريّة

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ألم تر إلى فلان ولد حرا وشب حراً، وشاخ حراً، فلما دنا من الهرم أثر الرق فيما بقى له من الأيام على الحرية التى صاحبها فى أكثر العمر؟!

(١) فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، هيئة الكتاب: الفصل الخاص بالعمود الرمزى.

"قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: أضعفته السن فلم يستطع أن يحتمل الشيخوخة والحرية معا. وأنت تعلم أن الحرية تحمل الأحرار أعباء ثقالا".

ومن هذا النموذج يتضح لنا على الفور أن من أهم خصائص المقال العمودى: الإيجاز البالغ المطابق لمقتضى الحال، وتكثيف الرأى فى ألفاظ قليلة، على نحو ما يسميه البلاغيون "إيجاز القصر" أو الإيجاز البلاغى الذى لا يقدر فيه محذوف، لأن الأقدار تتفاوت فيه، ليسهل إفلات العمود الصحفى من قلم الرقيب فى فترات المحن السياسية التى تمر بها الشعوب فى بعض الأحيان.

ويؤطف الكاتب المقالى هذه الأغراض البلاغية، فى عموده الصحفى ليطبعه بخفة الظل وسلاسة الأسلوب. ولذلك قد يمزج التعبير بالتهكم والسخرية مع الحكم والأمثال المتداولة، والنكات اللاذعة والاقتباسات الدالة، والنقد البناء. وفيما يلى نموذج لعمود "لمسات" الذى يكتبه الأستاذ محمد زايد فى صفحته (اهتمامات الناس) بعدد الجمعة فى الأهرام:

لمسات

□ الحكيم وزير خارجية إسرائيل السيد ليفى.. يطلب من السلطة الفلسطينية أن تقنع بما كسبته وتكتفى.. ولا تثير فى لجان الارتباط مسألة المستوطنات لئلا تتعقد المفاوضات.. عين العقل.. لأن المضى فى السلام.. لا يعنى أبدا إنهاء الاحتلال!

□ ظلمنا كثيرا مادلين أولبرايت.. فرغم أنها من أب وأم يهوديين.. إلا أنها لا تحابى أبدا إسرائيل.. وإنما فقط تعادى العرب!

□ قبل الهنا بسنة.. يؤكد العالمون ببواطن الأمور تزوير انتخابات المحليات القادمة.. لماذا لا تتلقى الحكومة البشرى.. وتبادر إلى انتهاز الفرصة وتفتح باب تقديم الطعون قبل بدء الانتخابات؟!

□ أظهرت أخيرا قضية الحباك أن "القبة ليس تحتها شيخ".. فكل المتهم به هبر ٩١ مليون جنيه لا أكثر.. لهذا خاب الأمل فى قيام "الطريقة النهبية الحباكية"!

□ سئل فيلسوف الغبرة: ماذا تطلب في الموازنة العامة الجديدة للدولة؟
فرد قائلا: تغيير اسمها إلى "الموازنة الهامة" للدولة.. بين الدخول والنفقات!
محمد زايد: اهتمامات الناس^(١):

□ ولما كان اليوم الثالث بعد الأول من عام سبعة وتسعين.. أنهت شهر
زاد رواية ما جرى في العام السابق للعين.. وهنا أدركت الصباح.. فكفت عن
النكد المباح.. وتطلعت إلى أيام كلها أفراح!
□ المشروع العملاق لتنمية جنوب الوادي.. أطلق "توبة يقظان" مدوية..
أفاقت الجغرافيا من سباتها الطويل.. فتذكرت أن كل شمال لابد أن يكون له
جنوب!

□ مع أن الأرض "بتتكلم عربى".. فهم البعض من حالات كسوف الشمس
وخسوف القمر التي سوف يشهدها عام ٩٧ أنها "ظواهر كونية" ولم يفهموا من
لغة الأرض أنها "ظواهر احتجاجية" على ما يحدث فوقها!
□ سئل فيلسوف الغبرة: ماذا ترى في موقف الدكتور وزير التعليم من
الدروس الخصوصية؟ فرد قائلا: ولو أنه طيب.. أرى أنه في حاجة إلى "درس
خصوصى" في فسيولوجيا "البطون المفجوعة".

والسمة "الإيجرامية" في العمود الصحفى لا تصدر عن نفس المصدر الذى
صدرت عنه "الابيجراما" التى نشأت فى حياة ناعمة متخمة فى القصور، ذلك أنها
- فى الصحف - ترتبط برؤية الكاتب اللغوية فى الاتصال بالجماهير من جهة؛
وبالظروف التى تحجب التعبير المباشر من جهة أخرى. والعمود الصحفى يمتاز
بخصلة أخرى تتصل بالمعنى، وهى أن يكون المعنى أثرا من آثار العقل والإرادة
والقلب جميعا، وهو فى هذه الخصلة كذلك يتفق مع "الإيجراما" من حيث أنها
ليست شعرا عاطفيا يصدر عن القلب أو يفيض به الطبع، وليس هو شعرا يصنعه
العقل وحده، وإنما هو مزاج من ذلك يسيطر الذوق عليه قبل كل شئ. أثر العقل
فيه - كما يذهب إلى ذلك طه حسين - أنه نقد لاذع أو هجاء مفض، أو تصوير دقيق
لشئ يُكره أو يُحب. وهذا كله يحتاج إلى بحث وتفكير، وإلى روية وتأمل، ولا يأتى
مستجيبا لعاطفة من العواطف أو هوى من الأهواء. وأثر الإرادة فيه أنه لا يأتى

(١) الأهرام - الجمعة ١٩٩٧/١/٣.

عفو الخاطر ولا فيض القرحة .. وذلك أن الكاتب العمودي يعقد إلى عمله وإنشائه قصداً، ويستعد لتجويده والتأنق فيه. وأثر القلب فيه - كما يقول طه حسين كذلك - أنه يفيض عليه شيئاً من حرارته وحياته، ويجرى فيه روحاً من قوته التي يجدها عندما يقبل على الخير أو عندما ينفر من الشر، عندما يرضى، وعندما يسخط.

وفيما يلي نموذج من عمود "شوارد" الذي يكتبه المؤلف في صفحة الألب بجريدة الأهرام - ملحق الجمعة تحت توقيع مستعار: "سندباد":

خبث شوارد

تلبيس إبليس

"قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ما المقصود بتعبير "تلبيس إبليس" في كتب التراث؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: "التلبيس" إلباس الباطل لباس الحق، أي إظهار الباطل في صورة الحق بالدفاع عنه والتكليل على صدقه، والمنافحة عنه، والنياد عن حقيقته و "تلبيس إبليس" إظهار أن المدافع لهذا التلبيس لا يكون إلا الشيطان لأنه المحرك دائما للشر والمعرض على الباطل والمثير للضلال والدافع للدفاع عن الفساد، ومما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأبي ذر صاحبه: يا أباذر. هل تعاونت بالله من شر شياطين الإنس والجن؟ فقال أبوزر: يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال عليه السلام: نعم هم شر من شياطين الجن!

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ومن أجل ذلك كنت تحذرننا في دروس "الإعلام" من تلبيس الدعاية في مقابل اصطلاح "النقاء الاعلامي"؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: إن الله سبحانه يقول في سورة الانعام - ١١٢.

"وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا" شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا"

وفى ذلك تنبيه لنا بمقاومة الشياطين من الاتس والجن.. وشياطين "الدعاية" يلجأون إلى الاغراء والاستهواء. وصاحب الدعاية، أشبه بإيليس حين يلبس الباطل لباس الحق. وهو لذلك يختلف عن رجل الاعلام الذى يعتمد على الحقائق والمعلومات والنقاء الإخبارى فى أداء رسالته. إن إيليس العصر يصوب أسلحته الدعائية إلى الروح المعنوية عند الأفراد والجماعات والمؤسسات والشعوب بهدف تحطيمها. ومن كتابنا الكريم نعلم أن شيطان الجن يوسوس لشيطان الإثس فيطرح فى خياله زخرف القول الباطل يعارض به دعوة الرسل بالهمس الخفى.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ومن أجل ذلك يتوسل إيليس العصرى بكل الوسائل لكى يحاصر الحق ولو كان من بين هذه الوسائل اختلاق الأكاذيب وإطلاق الشائعات.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: فى أثناء الحرب الثانية كانت الشائعات من أهم وسائل الدعاية السوداء بل أطلق تعبير "حملة الهمس فى الأذان" على الشائعات خارج ميدان القتال ووجدت منظمات لخلق الشائعات لحساب العملاء. وفى دراسة العالمين الأمريكيين "البورت" و "بوستمان" تعريف يقول إن "الشائعة هى.. كل قضية أو عبارة نوعية أو موضوعية قابلة للتصديق تنتقل من شخص إلى آخر عادة بالكلمة المنطوقة وذلك دون أن تكون هناك معايير أكيدة للصدق" وحسبك أن تعلم من خطر الشائعات أن سقراط سيق إلى الموت بسببها إذ اتهم بإفساد الشباب!

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: وماذا نقول لهؤلاء الذين يلبسون الباطل لباس الحق.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: وجّه إليهم إهداء أستاذنا عميد الأدب العربى لأحد، الذى كتبه قال فيه :

"إلى الذين لا يعملون ولا يحبون أن يعمل الناس" ولتطمئن يا بنى فصائع الشائعة أشبه بالنعامة فى المثل القديم إذ ذهبت تطلب قرنين فعادت بلا اذنين !^١

"سندباد"

والكتاب العموديون فى الصحافة العربية المعاصرة يمثلون ما وصلت إليه المدرسة الحديثة من ترسل صحفى يتسم بالبساطة والوضوح وحرية التعبير القائم على التعقيل الصحيح. ومنهم من يأخذ نفسه بموضوع سياسى معين يتناوله تناولاً مميزاً؛ حتى لتجمع مقالاته العمودية بين الفلسفة العقلية وإجادة الأسلوب الصحفى، كما نجد فى عمود "حقائق" عند إبراهيم نافع. ويقترب البعض الآخر مثل أنيس منصور من فن "مونتاني" الذى يجعل العمود الصحفى أقرب من القصيدة الغنائية.

مواقف

١- مصر: هبة النيل - قالها أبو التاريخ هيرودوت عندما جاء إلى مصر. فالنيل وهبنا الماء والأرض والجو المعتدل والنبات والحيوان والاستقرار وحب الحياة، فقامت حضارتنا على جانبيه. فكان المصرى القديم، ولا يزال، محسودا بين الشعوب حولنا التى تعيش على الآبار والأمطار..

وأبونا النيل صار شيخا سفيها، فهو يجرى ويلهث من اثيوبيا إلى السودان إلى مصر، ثم يلقى بنفسه إلى البحر. ولذلك كان لابد أن نمسكه فأقمنا السدود والخزانات لتكون بنكاً نحفظ فيها وديعتين: الماء والطمى.

ولأننا (أولاد حلال) فقد ورثنا سفاهة أبينا، فأغرقنا الأرض وأضعفنا التربة، ولوثنا الهواء، وسممنا الماء بالكيمياويات والمبيدات... حتى مات النبات والحيوان والتربة والإنسان..

ثم قلدنا أبانا النيل مرة أخرى أفضل وأجمل فمددنا ذراعا ثلاثة إلى أرض جديدة عذراء تدخر لنا الحياة والأمل والأمان ومستقبلا أفضل..

وبالأمس وباسم الله الذى يعطى من يشاء بغير حساب ومع الرئيس مبارك نفتتح دلتا جديدة فى أرض جديدة لصفحة جديدة من رخاء مصر..

وقد تعجب الملك سليمان قديما عندما نظر إلى النهر والبحر فقال: إن الانهار كلهب فى البحار. لا الأنهار جفت ولا البحار امتلأت!

ولكن الأنهار أخذت تجف. ولذلك لابد أن نمسك أيدينا وتدخر قطرة الماء. فلا نكرر جهالتنا فى تبديد المياه وإعدام التربة وشنق الحياة فى كل شجرة وكل بقرة وكل إنسان!

ومثل هذا اليوم من شهر يوليو القادم تصل سفينة الفضاء الأمريكية إلى كوكب المريخ، بحثا عن قطرة ماء من أجل أن يعيش الإنسان. لأن الله تعالى قال: (وجعلنا من الماء كل شيء حي). فهل يا ترى سوف نتعلم من تاريخنا ألا نعاود قتل الحياة بأيدينا في وادينا؟

ولكن مع الأسف لقد علمنا التاريخ أننا لا نتعلم من التاريخ!

أنيس منصور (١)

والقارئ لعمود أنيس منصور: "مواقف" يتمثل قول ابن العميد في الجاحظ، حين "يعلم العقل أولا والأدب والسياسة بعد ذلك" وهو بذلك يوظف المقالة الأدبية، لمقتضيات للعمود الصحفي على النحو الذى جعلنا ندرك ما يعنيه أسناننا د. زكى نجيب محمود، حين قال إن المقالة الأدبية يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع، على شرط أن يجئ السخط فى نغمة هائلة خفيفة، هى أقرب إلى الأتئين الخافت منها إلى العويل الصارخ، وهى سخط مصطنع بفكاهة لطيفة، وليس سخطا مما يدفع الساخط إلى تحطيم الأثاث وتمزيق الثياب.. كما يشترط فى المقالة أن تكون على غير نسق من المنطق، أن تكون أقرب إلى قطعة مشعثة من الأحراش، الوحشية منها إلى حذقة المنظمة، فلا نقط فيها ولا تبويب ولا تنظيم". وفيما يلى نموذج آخر :

(٢) مواقف

ونام عميقا تغطى وتمطى وقفز من الفراش كبعض من المفكرين يقولون ما قاله ارشيمدس: أي وجنتها.. وجنتها!

أما الذى وجده فهو الصحراء.. ففيها متسع للجميع.. وتعمير الصحراء هو الحل.. والزراعة هى المستقبل. ومصر بلد زراعى. وكلنا فلاحون وريفيون - أى أناس زرعوا الأرض، وأناس يتفرجون على ذلك. وظهرت نظرية تقول:

(١) جريدة الأهرام.

(٢) جريدة الأهرام فى ٢٥ / ١٠ / ١٩٩٦.

يجب أن نزرع الشبان فى الصحراء. فإذا زرعناهم أنبتوا سلاما وحبا بينهم وبين أبناء الوادى. ازرعوه فى الصحراء. ازرعوه حتى لا يقلعونا!

ونشرنا الخرائط للأرض التى يجب أن نقتطعها لشباب الخريجين.. أرض مساحتها خمسة أفدنة.. وعشرة أفدنة.. تقام عليها بيوت للعروسين.. أى يجب أن يقيم العريس وعروسه فى الصحراء يرويان ويذران ويغرسان ويزرعان ويحصدان ويكسبان. ويتضاعف الدخل القومى.. والفلوس تغرى بالفلوس.. والألف جنيه هو أبو المليون.. وكم من فقير صار غنيا، وكم من واحد كان عنده خمسة فدادين صارت الخمسة خمسين ومائة وألفا.. فالبداية صغيرة.. فالميل يبدأ بخطوة.. وكلام حلو كثير. (وذهب الشبان واقاموا وفرحنا بهم ولهم.. وطبلنا وزمرنا.. وأسعدنا أن الحل هو الأرض وأن الأرض هى الخير.. وأن الخير عام. والقرآن الكريم يقول: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون..) ورأينا ما عملوا. وأسعدنا ذلك.. ولكنهم لم يسعدوا بسعادتنا. فعندهم مشاكل كثيرة. فهم أولا ليسوا فلاحين لم يمسكوا فأسا ولا رأوا شادوفا ولا طنбора.. ثم ليس لديهم فلوس.. والماء ليس متوافرا دائما ولا الكهرباء ولا البنور.. يعنى إيه؟ يعنى تجددت شكاوى الشبان. وهذه المرة شكاوى لامن عدم وجود حل أو نظرية، ولكن بسبب وجود حلول ناقصة ونظريات مرتجلة.. وسعادة فى الصحف وعلى الشاشة فقط..

فقد فعلنا بهؤلاء الشبان تماما ما فعلناه بعمال التراحيل. وقلنا لهم: احرثوا الأرض يطلع لكم بطيخ.. وحرثوا الأرض ولم يطلع لا بطيخ ولا شمام.. وإذا ذهبوا يجددون الشكوى مما يعانون.. لم يلقوا إلا ما يلقاه المواطن العادى ساكن القاهرة والمنصورة: وفوت علينا بكره وبعد بكره.. لقد اصبح الحل مشكلة!

أنيس منصور

والرؤية العملية للواقع تجعلنا نذهب مع كتاب العمود الصحفى، إلى أن الصحفية ليست انعكاسا للواقع الاجتماعى فحسب. أو تسجيلا لهذا الواقع، ولكنها كذلك جزء من تاريخ المجتمع، تقوم بدور القيادة فى القضايا المهمة، وتعرض الأخطاء وتكتفها سواء الأخطاء التى ارتكبها الحزب السياسى الذى تؤيده الصحيفة،

أو الأخطاء التي ترتكبها السلطة السياسية أو الحكومية. ذلك أن المواطنين ينشدون من صحيفتهم أن تكون جريئة في نضالها من أجل الحق.

وتتحدد وظيفة المقال العمودى فى ضوء هذه الرؤية الصحفية، للقضايا الاجتماعية المختلفة، حين تذهب هذه الوظيفة بالعمود الصحفى إلى اتخاذ موقف محدد من هذه القضايا، يقوم على تفسير الكاتب وتحليله لها، ورأيه الذاتى أيضا، كما يقوم على تقويمه للواقع وحكمه الخاص، الذى يتميز بالصواب فى التفسير، والاستقلال فى التقويم. على نحو ما يتضح فى نموذج "حقائق": العمود اليومى للأستاذ إبراهيم نافع^(١) :

(١) الأهرام فى ١٩/٨/١٩٩٨.

حقائق

«السياسة لا تعرف إلا لغة المصالح».. هذه العبارة فرضت نفسها على الساحة الدولية منذ قديم الأزل ولا تزال. وقد تذكرت تلك المقولة عند محاولتي إيجاد تفسير لوقف دول الاتحاد الأوروبي من بعض المبادرات المصرية. إذ يبدو أن السيرة الناجحة للاقتصاد المصري لم تسجل فقط جذور للنافسة، وإنما أثارت أيضا المخاوف والحذر، ولا أقول الاحقاد. والفريق أن يحدث ذلك من بعض الدول التي ترتبط مع مصر بعلاقات سياسية واقتصادية وثيقة مثل دول الاتحاد الأوروبي، والأكثر من ذلك أن الجانبين المصري والأوروبي كانا قد قطعاً شوطاً كبيراً على طريق المشاركة. ولذلك فقد ذهبت لتلك الإجهادات الأوروبية التصفية التي اتخذتها دول الاتحاد ضد بعض السلع المصرية، فيما سمي بفرض رسوم مكافحة إغراق، التي وصلت إلى ١٨,٥٪ على المنسوجات، خاصة، وأن القرار الأوروبي اتسم بالمفاجأة والمباغتة دون سابق تفاوض أو إنذار.

وفي تقديرى أن هذا الموقف الأوروبي له عدة تفسيرات، في مقدمتها جودة المنتجات المصرية وتميزها بالإقبال المتزايد عليها من المستهلك الأوروبي، مما أصاب بعض الحكومات الأوروبية بالزعزع من إمكان حدوث تعديل في الوزن التجارى لمصلحة مصر، بعد أن ظل طويلاً لمصلحة الدول الأوروبية.

فمهما تحدثت الدول المتقدمة عن حرية التجارة والأسواق الحرة، فإنها في النهاية لا تريد سوى أن تكون لها الغلبة وأن يميل للوزن التجارى لمصلحتها على طول الخط. ومن هذه الزاوية بالتحديد تنتظر تلك الدول، ومن بينها بعض الدول الأوروبية، بقلق إلى تقدم وازدهار اقتصادات الدول النامية، خشية أن تصل أى من هذه الدول النامية إلى مرتبة الشريك الكامل اقتصادياً، وهو ما لا تقبله في الحقيقة كل الدول المتقدمة بلا استثناء. فدول الاتحاد الأوروبي تهدف إلى المحافظة على ترتيبها للتقدم في قائمة الدول المصدرة في العالم، وبالتالي تبذل كل جهدها لكيلا تتراجع صادراتها ولو خطوة واحدة بالمقارنة مع وارداتها.

ومن يوفق في الموقف الحالي بين مصر والاتحاد الأوروبي يلمس عدة حقائق تثير القلق والتعجب لهذا الموقف من جانب أوروبا، هي أن الصادرات المصرية من المنسوجات لا تمثل سوى نسبة ضئيلة بالنسبة لواردات الدول الأوروبية من هذه الصناعة.

ومصر ملتزمة بتطبيق اتفاقية التجارة العالمية ومختلف السلع المصرية تتفق مع الشروط العالمية للتجارة، التي تلتزم بها مصر. فمن أين يأتي إغراق السوق الأوروبية بهذه السلعة أو تلك؟

كيف نلهم رغبة دول الاتحاد الأوروبي في توقيع اتفاق للمشاركة المصرية الأوروبية، ثم تقوم هذه الدول في الوقت نفسه بوضع العراقيل أمام الصادرات المصرية؟

(والحديث بقية)

إبراهيم نافع

حقائق

الموقف الحاسم الذى اتخذته مصر على المستوى الحكومى، وعلى مستوى دوائر رجال الأعمال لمواجهة الإجراءات الأوروبية المناهضة للصناعات المصرية يعكس جسيبة الرغبة فى دفع الصناعات المصرية والعمل على إزالة أى عقبات تعترض طريقها، خاصة بعد أن اثبتت تلك الصناعات جودتها وقدرتها على الاستمرار والمنافسة، فإذا ما تمادت الدول الأوروبية فى موقفها، وفرضت بشكل نهائى ما قررت مؤقثاً من فرض رسوم مكافحة إغراق على بعض السلع المصرية، فإن ذلك سوف يلحق الضرر بالصناعة الأوروبية ذاتها، إذ أن تخفيض الصادرات المصرية إلى أوروبا سيقابله بالضرورة وقف استيراد بعض منتجات الدول التى وقفت ضد مصر، مما يؤثر على اقتصاديات تلك الدول، نظراً لزيادة واردات مصر بالمقارنة مع صادراتها لهذه الدول، وعلى سبيل المثال فإن مصر تستورد من فرنسا مثلاً ما يوازى ١,٢ مليار دولار سنوياً، فى حين أن الصادرات المصرية إليها لا تتجاوز ٢٠٠ مليون دولار.

غير أننا نلاحظ أن الحكمة قد فرضت نفسها على الموقف المصرى من هذه الإجراءات الأخيرة، وأنه لم يتوقف عند حدود المعاملة بالمثل فى حد ذاته، وإنما بدأت الدبلوماسية المصرية تشق طريقها للتعامل مع الموقف بشكل عسزى وحضارى،

فنهض رجال الأعمال فى كل موقع للاتصال بنظرائهم فى دول الاتحاد الأوروبى لشرح وجهة النظر المصرية وتوضيح المخاطر المترتبة على الإجراءات، والفرص المتاحة للمشاركة الحقيقية.

أى لتوضيح الموقف بكل أبعاده،

خاصة أن المستثمرين المصريين لا يرغبون فى تغيير سياساتهم القائمة على تأييد الانفتاح الاقتصادى على العالم، وتحرير التجارة الخارجية، كما لا يريدون التراجع عن الاستراتيجية الجديدة للصناعة المصرية، التى تقوم على التصنيع بهدف التصدير بدلاً من التصنيع بهدف تلبية احتياجات السوق المحلية وحدها لتخفيض الواردات. كما اتجهت رغبة عدد من المستثمرين ومنظمات الأعمال إلى التنسيق مع نظرائهم فى دول مجموعة الـ ١٥ من أجل التوصل إلى موقف موحد لقطاع الأعمال فى هذه الدول، بما يتيح فرصة الوصول إلى أفضل الصيغ المناسبة لتنفيذ الاتفاقات الدولية متعددة الأطراف.

وقد جاء هذا التحرك الأولي قبل البحث عن أسواق بديلة فى آسيا وإفريقيا ودول الكومنولث وأمريكا. فسهل وصلت الرسالة إلى رجال الأعمال بدول الاتحاد الأوروبى. وهل انركوا حقاً مخاطر تحول دول مثل مصر عن أسواقها سواء للاستيراد منها، أو التصدير إليها؟

إبراهيم نافع

ويظهرنا عمود "من قريب" للأستاذ سلامة أحمد سلامة؛ على نموذج مقالٍ متميزة؛
يتضح فيه أثر الفلسفة النقدية في تناول المقالٍ لأمر الحياة؛ كما يتضح فيه أثر
المنهج التحليلي في التفكير والتعبير؛ على النحو الذي يطبع هذا المقال العمودي
بطابع موضوعي يشير إلى منهج مبدعه "من قريب". على نحو ما نجد في
النموذجين التاليين (١)

من قريب

الحوادن.. مسئولية مشتركة

لا يسمع العالم من انباء السودان خلال السنوات الأخيرة غير إحدى قصتين أو كليهما معاً. فإما أن يكون القتال مشتتاً على أشده بين قوات نظامية تتبع حكومة الخرطوم وفصائل قوات التجمع التي تمثل المعارضة السودانية في الجنوب. أو أن تكون المجاعة قد فتكت بعدة مئات من الألوف تتجاوز المليون سوداني أحياناً. وأن فرق الإغاثة الدولية تنوسل لكل من الحكومة السودانية وقوات المعارضة لوقف القتال وعقد هدنة - ولو مؤقتة - حتى يمكن توصيل المؤن والأغذية إلى الضحايا. ولا يوجد شك الآن في أن ثمة قوى بولية وإقليمية تستهدف تقسيم السودان. وأن هذه القوى تعمل بكل الحرص والداب على تحقيق هذا الهدف سواء على المدى القصير أو الطويل. وأنها تستغل في سبيل ذلك تضارب الزعامات والمصالح، وإثارة النزعات العرقية والقبلية، والخلافات الدينية بين الشمال والجنوب... وتستفيد أكبر الفائدة من محاولات فرض الوحدة بقوة السلاح التي استنزفت السودان اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. وطوال السنوات الماضية بذلت مصر جهوداً مضيئة لإحياء مؤامرات التقسيم الدولية والإقليمية، واستخدمت نفوذها لدى قوى المعارضة السودانية لدفعها للتوصل إلى تسوية سلمية مع حكومة البشير - الترابي التي لا تترك فرصة إلا انتهزتها لإثارة الخلافات مع مصر، وتوظيف هذه الخلافات لابقاء العلاقات متوترة بين

البلدين الشقيقين. وكان آخر ما فعلته حكومة البشير هي النكوص عن الاتفاقات التي سبق التوصل إليها لتحسين العلاقات، ومن بينها إعادة الممتلكات المصرية التي صابرتها، وإفبات حسن النيات في التعاون الأمني وتسليم أية عناصر إرهابية تلجأ إلى السودان.

ومن المعسرف أنه في ظل التدهور الخطير الذي شهده الأوضاع في جنوب السودان أخيراً، وانتشار المجاعة على نطاق واسع بسبب الحرب الأهلية.. اتجهت مصر إلى بذل مساعيها بهدف لم تشمل ووقف القتال، ولم تقدم على استضافة الاجتماعات الأخيرة إلا بعد إبلاغ حكومة الخرطوم..

إن الأوضاع الدولية الراهنة، والانفجارات الإرهابية التي وقعت ضد أمريكا في شرق إفريقيا، أعادت تسليط الضوء على الأنظمة التي تعتبر حاضنة للإرهاب.. وتعترف حكومة الخرطوم أنها ضمن القائمة وأن قوى إقليمية عديدة تخربص لتقسيم السودان وقصل جنوبه عن شماله. وأنه لولا معارضة مصر ووقوفها بكل قوة ضد هذه المحاولات لكان تقسيم السودان قد وقع منذ وقت طويل.

ومن هنا تبدو اتهامات الخرطوم لمصر بالتدخل فضلاً عن سداستها، بمثابة دعوة صريحة إلى تحالف القوى الأجنبية الضالعة والمتامرة لتقسيم السودان.. وهذا ما لن تسمح به مصر، حتى ولو ابت سياسات البشير إلى تحقيقه باسم الشريعة والدعوة إلى الإسلام بحد السيف.. والمسئولية هنا مشتركة بين حكومة الخرطوم وقوى التجمع، بعد أن أصبح السودان أشبه بكمرة ناضجة حان قطافها لدعاة التقسيم في أية لحظة.

سلامة أحمد سلامة

(١) الأهرام في ٢٠/٨/١٩٩٨.

من قرب

الأستاذ الفاضل /

أشرت في بابكم الموقر إلى الموقف السلبي لأمريكا وأوروبا تجاه الممارسات العدوانية ليهود إسرائيل. ولى رأى أود أن أسهم به فى توضيح وتفسير ماهية المساندة الأمريكية والأوروبية لإسرائيل. فقد تزايدت فى الآونة الأخيرة المواقف المعلنة للسياسة الأمريكية بمساندة إسرائيل وتأمين وجودها فى فلسطين، ونتج هذا الأمر عن ضعف النفوذ العربى ليس فى أمريكا وحدها بل فى كل أوروبا وخاصة أوروبا الغربية.

والولاء لدولة إسرائيل ليس نابعا من قوة إسرائيل نفسها أو من ازدياد نفوذ اليهود فى الدول الغربية وأمريكا ولكنه راجع لأسباب دينية فى الأساس. فمن الخطأ الاعتقاد بأن اللوى الصهيونى يمثل أقوى أداة فعالة أو قوة ضغط على السياسة الأمريكية لتسييرها وفق المخططات الصهيونية. كذلك فإنه من الأخطاء الشائعة اعتقاد معظم المؤرخين والمحللين السياسيين أن نكاء ودهاء اليهود الصهيونيين الأوائل مثل وايزمان أو لويس برانديس وحكمتهم السياسية وراء إصدار وعد بلفور ومساندة الدول الغربية لليهود.

فلا تزال توجد عدة قوى واتجاهات من غير اليهود تساند إسرائيل عن اقتناع تام بأن اليهود قد عادوا إلى وطن أجدادهم الذى اغتصبه منهم العرب. وقد تمركزت هذه القوى فى كل من بريطانيا وأمريكا. وذلك هو السبب وراء تأييد هاتين الدولتين والسعى لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين ثم مساندتها بعد ذلك.^[1]

والنقطة الأساسية فى هذا الموضوع هى تأييد المذهب البروتستانتى للاحتلال اليهودى لفلسطين. ويعتبر كل من كالفن ومارتن لوثر، هما مؤسسى هذا المذهب فى أوروبا ويرى البعض أن كالفن، وهو مؤسس المذهب البروتستانتى فى سويسرا، من أصل يهودى، وكان اسمه الأصلى كوهين، ثم غيره إلى كارفن عندما انتقل من سويسرا إلى فرنسا للتبشير بدعوته، ثم غيره إلى كالفين حينما انتقل إلى إنجلترا.

فأصول هذه العلاقة المميزة بين اليهود والبروتستانت ترجع إلى القرن السادس عشر الذى تمرد فيه مارتن لوثر على الكنيسة الكاثوليكية واعتبره

^[1] الأهرام ٢٣ ديسمبر ١٩٩٦.

إصلاحاً داخل هذه الكنيسة، فقد اعترض على بعض المعتقدات الكاثوليكية ولذلك سمي معترضاً Protestant وانصب اهتمام هذه الحركة الجديدة على الإيمان الكامل بأسطورة شعب الله المختار، وعودة المسيح المنتظر والعهد الألفى السعيد، وحق اليهود الدينى فى فلسطين.

وللحديث بقية إذا أردتم.

محمد مصطفى محمد

ماجستير عن اقتصاد اليهود فى مصر

هذه وجهة نظر ننشرها عملاً بحرية الرأى والبحث العلمى معاً. وإن كنت شخصياً لا أميل إلى اعتبار العامل الدينى وحده السبب فى التأييد الغربى الكاسح لإسرائيل، فنحن نعرف أن الكنيسة الكاثوليكية بدورها عدلت عن بعض مبادئها أخيراً تحت تأثير ضغوط سياسية ارضاء لليهود ولتحقيق مصالح تاريخية بين الفاتيكان وإسرائيل.. وليست الكنيسة البروتستانتية وحدها فى ذلك.

سلامة أحمد سلامة

وإذا كنا نفضل المقال الموقع على غير الموقع لافتقار الأخير إلى الطابع الذاتى، فإن القراء المعاصرين يرحبون بعودة "الطابع الذاتى" فى المقال العمودى.. والطريف أن المقال العمودى لم يقترن بهذا الطابع الشخصى، إلا بعد فترة متأخرة من تاريخه، وبطريق الصدفة تقريباً، فقد استحدثه "فرانكلين ب". أدامس عندما أدخل فى عموده "برج القيادة" مذكرات من "مفكرة بيى" إذ أخذ يوقع العمود بالأحرف "ف. ب. أ". ومن الطبيعى جداً أن تعكس المفكرة الطابع الشخصى، لأنها تعالج ما يراه كاتبها وما يفعله ويحس به ويفكر فيه.

وإذا كانت معرفة الكاتب لقرائه وبيئته، تتيح له أن يتكلم بلغة الشعب من حوله فى مقاله العمودى، فإن هذا الأمر يجعل من الطبيعى فى المستقبل، أن يتجه المؤرخون إلى دراسة الشعوب من خلال المقالات العمودية وكتابها؛ دراسة دقيقة تعطى مؤشرات هامة لدراسة حركة التاريخ الاجتماعى فى مكان وزمان معينين. ذلك أن الكاتب المقالى إنما يصدر فى عموده الصحفى عن رؤية اجتماعية واضحة نجعلنا نذهب مع طه حسين إلى أن "ما يقال فى نقد الناس وحدهم إنما هو أشبه بالمرايا، يرى الناس فيها أنفسهم، لأننا لا ننقد عفارىت الجن، ولا نجمد الملائكة الأبرار، وإنما ننقد ونحمد ما نرى وما نعلم من آمال الناس وآثارهم".

وفيما يلى نموذج من عمود "مجرد رأى" الذى يكتبه الاستاذ صلاح منتصر فى الاهرام:

مجرد رأي

(١) عبادة إيه ١٩٩٧

قال لى أحد الأصدقاء عندما سمعت أم طرقات الزائر الغريب على الباب عند الفجر فإنها عندما فوجئت برجال البوليس الواقفين وفى يد أحدهم مدفع الكلاشنكوف وهم يطلبون إينها فان أول ما طرأ إلى ذهنها أنهم أخطأوا وتصوروه من "المطرفين الدينيين" ودفاعا عن ابنها قالت لكبيرهم ببراءة يا بيه ابنى مالوش دعوة بالجماعة دول.. ابنى بيرقص وبيقضى وقته فى سماع المزيكا.. يا بيه ده كمان بيشرب الخمرة..

وقد تصورت الأم الطيبة أنها بذلك أنقذت إينها فراحت تتماذى فى إلصاق الأفعال السيئة به ولكنها فوجئت بالضابط الكبير يقول لها: عشان كده احنا جايين نقبض عليه.. ابنك يا هانم من بتوع عبادة الشيطان!

وطرقت الأم على صدرها فى ذهول وهى تصرخ: عبادة إيه ياخويا..! لم أكن فى مصر عندما نشرت الصحف القبض على الأولاد وقد كان الواضح أن أجهزة الأمن هى المصدر، ولكن أجهزة وقد فاجأها الخبر تماما كما فاجأ أمهات عدد كبير من الشباب الذين قبض عليهم راحت تعيد وتريد وتفتعل أقوالا واعترافات وحكايات حتى أصبحنا على ما يبدو أمام قصة جديدة "فتاة العتبة" التى سبق أن حدثت أيضا فى شهر سابق من شهور رمضان وقيل من بين ما قيل أن هذه الفتاة وقعت ضحية لاعتداء جنسى وقع عليها فى وسط ميدان العتبة أرحم ميادين القاهرة وأمام عيون كل الذين تصادف مرورهم فى الميدان فى ذلك الوقت!!

عدت من عبادة الرحمن لأجد كل من أقابله مهموما بما قيل عن عبادة الشيطان.. اختلفت الأقوال والتفسيرات والشروحات واختلطت اعتبارا من أن إسرائيل هى الفيروس والسبب، وصولا إلى الذين ذهبوا للعمل فى الخليج وتحمل سنوات الغربة من أجل توفير اسباب الحياة لأسرهم وقد أصبحوا اليوم مسئولين بأنهم ذهبوا لعبادة المال وتركوا أولادهم يعبدون الشيطان.

(١) الأهرام فى ١٩/٢/١٩٩٧.

لاحظت أيضا اختلاف ردود أفعال المجتمع.. على الفور ظهرت شريحة اعتبرت مجرد القبض عليهم إدانة والبعض تسرع وطالب بمعاقتهم كمرتدين وآخرون طلبوا "قتلهم على سبيل القصاص" دون أن يعرفوا معنى القصاص فى الإسلام وأنه لا يكون إلا فى حالة واحدة هى قتل النفس.

فئة ثانية انزعجت وتاهت فيما نشرته الصحف وأذاعه التلفزيون بينما اعتبرت فئة ثالثة أن الموضوع فرقة بلا أساس وراحت تبحث عن الفرقة فى هذا الوقت بالذات لدرجة أن بعضهم تصور أنه قصد بها التغطية على موضوع ممدوح اللبثى (!)

وهكذا فى مبالغات وصلت إلى حد التطرف أصبحنا نعالج قضية من قضايا التطرف التى كان حتماً وضرورياً أن نواجهها!

صلاح منتصر

والرؤية الصحفية لمضمون المقال العمودى هى التى تحدد بناءه وشكله التحريرى. ذلك أن معظم المقالات العمودية إنما تصدر فى تحريرها عن نموذج أو عدة نماذج تحدها الرؤية الصحفية للكاتب الرؤية التى تسهم فى تكوينها مقوماته الخاصة ومصادر ثقافته المتنوعة، على نحو ما نجد فى عمود "فكرة" للأستاذ مصطفى أمين:

"من الآن يجب أن يستعد العالم الثالث لدخول القرن الواحد والعشرين.. ويعد نفسه ويؤهلها لحياة جديدة متقدمة منطلقة إلى الأمام.. لامستقبل للقاعدين والغافلين والكسالى والذين يرفضون التغيير والتجديد ويصرون أن يبقوا فى مكانهم غافلين.

العالم الجديد لامكان فيه للخاملين ويجب أن نعترف أن العالم الثالث متخلف وسبقه الزمن وإن بينه وبين عالم الغد مائة سنة على الأقل. علينا أن نختصر هذه المسافة ففسير بسرعتين سرعة نلحق بها الغد، وسرعة نتحرك بسرعة المستقبل. وهذه ليست مهمة سهلة فقد تعود عالمنا الثالث أن يسير الهوين ويتوهم أنه يسير بأقصى سرعة.. وهذا الهوين لغة لم يعد يفهمها العالم، كل شئ أصبح يتحرك بسرعة. يعدو وينطلق ولا يقدم ساقا ويؤخر ساقا.

العصر القادم هو عصر الشعوب والحكومات وليس عصر العصابات، عصر المصارحة والعمل فى النور وإطلاع الشعب على الحقائق وعدم الكذب عليه أو تضليله ولا مكان فيه للعاملين فى الظلام.. ويجب أن تشعر حكومات العالم الثالث أنها حكومات الشعوب لالحكومات الحكام وأنها تستمد سلطتها من المواطنين ولا تفرض عليهم وإن القرارات يجب أن تصدر من تحت لانتزل كالصواعق من فوق.

حكومات العالم الثالث يجب أن تتوقف عن الاستهتار بالشعوب وأن تعلم أنها خادمة الشعب لاسيئته وأنها تنفذ إرادته لا تفرض عليه إرادتها وترغمه أن ينزل عن مشيئتها. ويجب أن توقف البذخ والإسراف والاستهتار وتحافظ على أموال الشعوب وتصونها لاتتهبها وتسلبها وتعبث بها، ومهمة الشعب أن يكون الحارس الأمين على أموال الشعب لا يغلق عينيه ولا ينام ولا يسمح للصوص والنصابين والأفاقين والمختلسين للعبث بأموال الشعوب.^(١)

علينا بالوضوء قبل أن ندخل القرن الواحد والعشرين.

مصطفى أمين

والعمود الصحفى - يزداد شيوعا كلما شاعت الصحافة، وهو أقرب إلى المقالة الأدبية، حين نعود إلى مفهومها الذائع. ذلك أن الكلمات التى تطلق على المقالة فى اللغات الأوروبية توشك أن تفيد كلها كما تقدم معنى المحاولة والمعالجة فكلمة Essay وكلمة sketch بل كلمة study وهى تترجم أحيانا بمعنى الدراسة، لايعود أن يكون القصد منها فى بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التى يعوزها الصقل والإنجاز، وكلها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير، يريدون بها الرسم الذى يخطط الصورة قبل تلوينها، أو النموذج الذى يصب التمثال على مثاله وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على الاشتراط، كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتمم الذى استوفى نصيبه من الاتقان، وكلمة Article وهى أبعد قليلا من الغرض تفيد معنى الفاصلة أو الجزء؛ ويقابلها عندنا (الفصل) الذى يستقل بموضوعه، ولا يشترط فيه أن يكون فصلا فى كتاب مطول تتممه فصول.

وفيما يلى نموذج من عمود "شوارد" فى صفحة الأدب بجريدة الأهرام :

(١) الأخبار فى ١٢/٢٧. ٩٦

شوارد

من عصر «المأمون»
إلى أكاديمية الفنون

.. أما الأسباب الداعية لاهتمام المأمون بالترجمة فيختلف فيها المؤرخون، ولعلها مجتمعة - كما يقول د. عبد الحليم محمود رحمه الله - كانت داعية للمأمون إلى الترجمة.. هذه الأسباب الداعية، ما حكاه ابن النديم، من أن المأمون رأى في منامه رجلاً أبيض اللون، مشرباً بجمرة، واسع اللحية، حسن السمائل، جالساً على سرير، قال المأمون: وكأن بين يديه قد ملئت هبة. فقلت من أنت؟

فقال: أنا "أرسطو"

فسررت به، وقلت: أيها الحكيم أسألك؟

قال: سل.. قلت: ما الحسن؟ قال: ما حسن في العقل. قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن في الشرع. قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن عند الجمهور، قلت: ثم ماذا؟.. قال: ثم لا ثم...

قلت: زدني.

قال: عليك بالتوحيد..

وهذا السبب يراه "سانتبلانا" أشبه بالأساطير منه بالحقائق، ويرى آخرون أنه تعبير عما يشعر به المأمون من تقدير لأرسطو.. وعلى أية حال فإن المؤرخين يسجلون لعصر المأمون ازدهاراً ثقافياً فريداً، ذلك أنه قد شجع النهضة العلمية وحرية الفكر ودفع حركة النقل والترجمة إلى الأمام، وقد تجلى ذلك إمداد "بيت الحكمة" بالكتب في مختلف العلوم والفنون، حتى أصبح أشبه بجامعة علمية، ووزارة للثقافة نهضت في ظلها الترجمة، وانتشرت بل لقد تنافس كثير من الوجهاء في تبني الترجمة والتوسعة على المترجمين، وقد شجع المأمون كل ذلك وساهم بالنصيب الأوفر في هذا المجال.

وبيت الحكمة مكتبة فكر في إنشائها ببغداد الخليفة هارون الرشيد، ونفذه ابنه الخليفة المأمون، وكان ذلك نتيجة للحركة العلمية النشطة في بغداد واتساع

حركة الترجمة عند اليونانيين، وتقدم صناعة الورق، وكثرة التأليف العلمية، جمع بها المأمون مؤلفات العرب المشهورة، ونقل إليها ما حصل عليه من مكتبات بلاد الروم. وقد تولى أمانة هذه المكتبة جماعة من العلماء أمثال: يوحنا بن ماسويه، وسهل بن هارون، والفتح بن خاقان وغيرهم. وظلت هذه المكتبة عامرة ومصدر إشعاع علمي ضخم، إلى أن دمرها المغول فيما دمروه عند استيلائهم على بغداد ١٢٥٨م - ٦٥٦هـ وكان بيت الحكمة يحوى كل الكتب فى العلوم التى اشتغل بها العرب، كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون إليها، أكبر الأثر فى تقدم الحركة العلمية فى عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى. ولم يقتصر تشجيع العلم على الخلفاء بل تعداهم إلى الوزراء وسائر كبار رجال الدولة. ويذكر المسعودى أن يحيى بن خالد البرمكى كان يميل إلى البحث والمناظرة.

اليوم ونحن نستقبل عام ١٩٩٧، ونقترب من مشارف القرن الحادى والعشرين نرى د. فوزى فهمى رئيس أكاديمية الفنون، يحقق إنجازاً عظيماً فى قضية الترجمة يحيى به دور بيت الحكمة، على النحو الذى يؤكد أننا نستأنف ما انقطع من تاريخ أمتنا، حتى نواصل هذه الأمة دورها الحضارى كمصدر للنور، يرسل ويستقبل، ويسهم فى بناء القوام الإنسانى لحضارة العالم.

سندباد

والكلمات الدالة على "المقالة" لا تستوعب أغراض المقالات كلها فى الكتابة الأوربية أو فى الكتابة العربية، فمقالات "بيكون" و "ماكولى" و "أرنولد" و "سات بيف" ليست كلها من هذا القبيل، بل مقالات "وليام هازليت" نفسه؛ على إسهامه فى أدب المقالة كما يعرفها د. زكى نجيب محمود؛ لا تجرى كلها على النسق الأدبى الشائع، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل فى حيز صغير، ولا سيما وأن البحث لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً فى عدد من الصفحات، فإذا جاز أن يتم البحث فى حيز المقالة فليس ما يمنع انتظامه فى عداد المقالات. وفيما يلى نموذج لعمود "حكاية" الذى يكتبه الاستاذ محمد صالح فى الأهرام :

خكاية

مشروع للكرامة!

تصورنا أن الدنيا تضيق بنا خلال الخمسينات والستينات فرحنا بنبنى المساكن فوق الأراضى الزراعية وذلك حتى تتسع محافظتى القاهرة والجيزة للسكان الذين يتزايدون دائما، إما بالإتجاب أو بالمهاجرين من الأقاليم إلى العاصمة للعمل، وبذلك تحولت أحسن الأراضى الزراعية إلى طوب وأسمنت، وانتقلت العدوى إلى سائر المحافظات الأخرى؟!

ثم اكتشفنا ما فعلناه بأنفسنا، وأن الزيادة التى كانت مرجوة فى الأرض الزراعية ببناء السد العالى لم تتحقق بالشكل المرجو بسبب تدميرنا لجانب من أفضل أراضينا الزراعية، فرحنا نستصلح أراضى صحراوية. حول القاهرة الكبرى والطرق الموصلة إلى مدن القناة والاسكندرية واقتربت المسافات وزالت الحدود بين محافظات القاهرة الكبرى وأصبح البشر كتلة واحدة تقريبا فى العاصمة فوق الأرض وتحتها داخل الأنفاق وعلى الأرض فى الدلتا، وناء الشريط الضيق حول مجرى النيل فى صعيد مصر من الجيزة إلى أسوان هو الآخر بالبشر والحجر؟!

ثم كان الحل الثورى الشجاع والجرىء معا ونحن ندخل القرن الـ ٢١.. أنه لابد من واد جديد يكون موازيا لوادى النيل وأن خريطة مصر يجب أن تتغير حتى تلحق بحضارة العصر من خلال فتح مجال أكبر وأضخم للتنمية الشاملة بجميع مجالاتها فى صحراء مصر الغربية من جنوبها حتى شمالها.

لقد كانت صحراء مصر الغربية هى مزرعة روما تمدها بالقمح.. وكان معروفا أن الطريق إلى واحة سيوة حيث معبد آمون فى عمق الشمال الغربى لمصر كان أهلا بالحضارة عامرا سواء أكان الطريق إليه من جنوب مصر أو من دلتاها سهلا وميسورا. وما أكثر الآثار المصرية التى توجد فى الصحراء الغربية وواحاتها.. وكلها تؤكد أنه كان هناك مياه وخضرة. ثم جاءت عصور نسى فيها المصريون أراضيهـم الغربية وتركزوا فى الدلتا والشريط الضيق وأصبحت واحاتنا الغربية مجرد تاريخ وتراث قديم.

إن مشروع مبارك الذى تدخل به مصر القرن الـ ٢١ يشهد لها بأنها بلد لاينام، وأن مبارك يقول بهذا المشروع إن مصر قادرة وإنها تمتلك مقومات نهضة عصرية ينطلق بها العمران بكل مجالاته فى واد جديد.

كما أنه مشروع يعتبر صحوة للكرامة المصرية لأنها تقول به للعالم إنها تستطيع أن تعتمد على مقوماتها الذاتية وهى تدخل القرن الجديد.. ولعلنا نذكر هنا ما يريده الرئيس مبارك من وقت إلى آخر.. وأقربها من أيام قليلة اننا لم نطلب زيادة المعونة ولا ننتظرها..

نعم إنه مشروع تؤكد به الكرامة المصرية ذاتها.

محمد صالح

وفى عمود إبراهيم نافع: "حقائق" وعمود "سلامة أحمد سلامة" "من قريب"، وعمود "إبراهيم سعدة": آخر عمود نزوع إلى التحليل، و إلى الاعتماد على تنوع الحوادث اليومية، والشواهد العملية.

فى حين يتجه أحمد رجب، ومحمود السعدنى وأحمد بهجت نحو توظيف المقال الكاريكاتيرى الأدهى، لأغراض فن العمود الصحفى، حيث يفترض الكاتب الساخر دائما وجود "الآخر" الذى يسخر منه، أو يشترك معه فى السخرية، أو يتبادل معه النكتة، ولكنه يوظف هذه السخرية لأداء وظائف الصحافة فى اتخاذ السخرية سيفا مصلتا على رقاب الخارجين على المعايير العامة.

و "روح الفكاهة" هى السمة الرئيسية لأعمدة هؤلاء الكتاب، الذين يوظفون العمود الصحفى للسخرية اللاذعة والضحك الموجه من الخارجين على قوانين المجتمع .. والكاتب الساخر وهو يفعل ذلك إنما يصدر عن الشخصية المصرية فى اتخاذها للسخرية وسيلة للنقد والإصلاح بالنسبة إلى المجتمع المصرى ذاته، ذلك أن الضحك - كما يقول برجسون - وسيلة فعالة لتصحيح أو تعديل تلك الآليات الضارة التى تتطوى عليها حياتنا الاجتماعية العادية بإظهارنا على ما فيها من سخف وعيب.

ولذلك نرى أن مقالة العمود الصحفى، أقرب فى كتابتها إلى ما يسميه العقاد بنمط "المناجاة والاسمار"، وأحاديث الطريق بين الكاتب وقرائه، الأمر الذى يكسب المقال العمودى لون الافضاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية". وفيما يلى نموذج

وجهة نظر الذى يقدم فيه الأستاذ : محمد سلماوى اسبوعياً

وجهة نظر حوارات نجيب محفوظ مطبوعة «الأهرام»

قال الأستاذ نجيب محفوظ كم كنت أود أن أحضر افتتاح مطبعة "الأهرام" الجديدة بمدينة ٦ أكتوبر لكن الحالة الصحية أصبحت الآن تحول دون تلك الزيارات الميدانية الواسعة، وذلك ليس فقط بحكم أن هذا المشروع العملاق هو أحد التوسعات الخاصة "بالأهرام" الذى أعمل به، وإنما بحكم أنه أحد الإنجازات المهمة فى عصر المعلومات الذى تتنافس فيه كل وسائل الإعلام بحيث لن يكون هناك مكان إلا لكل ما هو سابق للعصر، لقد مضت العهود التى كنا نطالب فيها بملاحقة العصر، وأصبح البقاء الآن هو لمن يسبق العصر، ففى ذلك وحده إمكانية الاستمرار والتقدم. (٢)

ووسط ذلك فإن الصحافة عليها عبء كبير فى المنافسة الشرسة التى يشهدها الآن عصرنا هذا، فهى لم تعد تتنافس مع بقية الصحف فقط، وإنما عليها أن تتنافس مع وسائل المعلومات الأخرى بما فى ذلك الوسائل الحديثة من قنوات المعلومات والانترنت وخلافه، فمهما تطورت قنوات المعلومات فلن يكون هناك غنى - فى رأى - عن الكلمة المطبوعة التى يستطيع القارئ أن يلمسها بيديه ويدقق فيها النظر أو يطويها ويضعها فى جيبه، إن كل ذلك التقدم فى مجال المرئيات لن يلغى أبدا الوثيقة الورقية، فلطالما قلنا إن السينما ستلغى المسرح أو أن التليفزيون سيلغى السينما لكن ذلك لم يحدث، لذلك فإن التقدم التكنولوجى الآن فى وسائل الاعلام والمعلومات لن يلغى أبدا دور الصحافة، بل إنى أعتقد - على العكس من ذلك - أن تلك المنافسة ستساعد الصحافة على الالتزام بدورها الحقيقى والذى لا تستطيع أية وسيلة إعلام أخرى أن تنافسها فيه، إن على الصحافة فى العصر الحديث أن تحفظ مكانها بأن تضمن أنها تعطى للقارئ كل ما لا تستطيع وسائل الاتصال الأخرى اعطائه له، والطريق إلى ذلك يمر بشيئين: أولاً الحرية التى لاتحدها القيود وثانياً المطبعة المتطورة.

محمد سلماوى

(٢) الأهرام فى ١٧/١٠/١٩٩٦.

وفيما يلي نموذج مقالى للعمود الصحفى الذى يكتبه الأستاذ سمير رجب فى
جريدة الجمهورية، يتسم بالمتابعة الدقيقة للأحداث؛ وعرضها بأسلوب نقدى تميز

٢٥

به: (١)

خطوط

فاصلة

لعل ما اعلنه امس المسئولون الامريكيون بشأن التفجيرات التى استهدفت مباني سفارتهم فى كل من نيروبي، ودار السلام يعتبر مبرراً كافياً لإيجاد الوسائل المثلى للتعاون الدولى من أجل مكافحة الإرهاب..

●●●

مثلاً .. لقد قال «توماس بيكرنج»، وكيل وزارة الخارجية.. إن المخابرات المركزية بريئة مما حدث.. وإن كان لا يمكن إغفال أن ثمة تحذيرات تلقتها السلطات «المسئولة».. لكنها.. للأسف - لم تأخذها مأخذ الجد..

ايضاً .. أعلن «ستانلى بينلنجتون»، أكبر خبراء مكافحة الإرهاب فى الولايات المتحدة أنه من الصعوبة بمكان حماية جميع المنشآت الامريكية على مستوى العالم.. إلا إذا قامت التكنولوجيا والاختراعات الحديثة بدور كبير.. ولابد أن ذلك يحتاج إلى جهد، ووقت.. لا يعلم مداهما أحد..

●●●

على الجانب المقابل .. ذكر الخبراء.. أن مقر السفارات الامريكية تبني الآن بحوائط مقواة، ومزدوجة واسقف ونوافذ من أنواع معينة.. أما المباني القديمة - والتى من بينها سفارتنا نيروبي ودار السلام - فمن السهل أن يخرقها الرصاص، وتفجرها القنابل..

●●●

إن .. المشكلة قائمة .. وبصراحة مهما حاولت امريكا أو غيرها.. استخدام مختلف ألوان التكنولوجيا.. فإن النتائج تصبح غير مضمونة.. الأمر الذى يثير تساؤلاً هاماً:

● .. وما الذى يمنع .. من أن تتبنى واشنطن اليوم قبل

(١) الجمهورية فى ١٩/٢/١٩٩٨.

عد.. الإعداد لعقد مؤتمر دولي لمواجهة الإرهاب.. تدعى إليه كل دول العالم ويصدر عنه اتفاق يلزم الجميع بتبادل الخبرات، والمعلومات، وتسليم المجرمين، وحرمان القنلة، وسفكى الدماء من أى نوع من أنواع الحماية..!



إن مثل هذا الاتفاق .. هو الذى يمكن أن يسهم - بحق - فى تقليل الأظافر القنرة، وفى الحد من نشاط المحرضين على ارتكاب الجريمة المنظمة فى أى مكان.
إن الأمور .. إذا تركت على عواهنها.. فسوف تستفحل الظاهرة، وتستشرى أكثر وأكثر.. وإذا احس الإرهابيون.. بأن أمريكا - بجلالة قدرها - عاجزة عن صدقهم.. فسوف يزداد شططهم.. ليعيشوا فى الأرض.. فساداً.. كما يحلو لهم..!
.. وفى النهاية .. وقبل كل هذا، وذلك.. باليت.. أن تتوخى واشنطن العدالة فى تعاملها مع البشر.. لأن الإحساس بالظلم.. يولد الغضب، والكراهية، ويحول ابتسامة الأمل.. إلى صرخة لوعة، وحزن، ورغبة عارمة فى الانتقام.

سليم

وإذا كان النقاد يذهبون إلى أن المقالة الأدبية "قطعة نثرية محددة فى الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، فإن شرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"^(٣). ونرى فى هذا التعريف ما يصدق على فن "العمود" الصحفى، الذى اكتسب من خصائص المقالة الأدبية: "الاجاز فى كتابتها، وتجنب الإطالة، والبعد عن التوغل فى البحث عن الظواهر، وعرض التفاصيل وإيراد الاستقراءات الدقيقة لجزئيات الموضوع وترتيبها. وفيما يلى نموذج للعمود الذى يكتبه الأستاذ محمد العزبى بجريدة الجمهورية:

أطفال "فاطمة المعدول"

تلقيت أحلى تهنئة بالعام الجديد من أطفال "فاطمة المعدول" فى صورة كروت معايدة تحمل فنون الأطفال من رسوم وعرائس.. وسبق أن سعدت بكتاب يحمل عنوان "أنشودة البراءة" الذى أصدرته الإدارة العامة لتقافة الطفل

(٣) محمد يوسف نجم: فن المقالة، بيروت ١٩٥٧ ص ٩٥.

ويضم لوحات فيها فن وثقافية وفيها شقاوة الأطفال.. عشرون لوحة، اختارتها لجنة فنية برئاسة "فاطمة المعدول" مدير عام إدارة ثقافة الطفل من بين أعمال عشرة آلاف طفل اشتركوا في النشاط التشكيلي بمجمعات وقصور وبيوت الثقافة في جميع أنحاء مصر.. رسموا البحر والنيل والصحراء وجنى البلح، وعبروا عن رؤيتهم اليرينة للبيئة من حولهم، من الاسكندرية إلى أسوان، في المدن والقرى والنجوع.. أطفال ما بين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم يثيرون الإعجاب والدهشة، وقد لفتت لوحة الطفلة "نانسى حلمى حبيب" من قصر ثقافة الفيوم أنظار السيدة "سوزان مبارك" فاختارتها لتكون الملصق الإعلاني لمهرجان القراءة للجميع.. "نانسى" التي لا يزيد عمرها عن ١٣ سنة تقدم لوحة بارعة الألوان لأطفال تزدحم بهم المكتبة يقرأون ويرسمون ويمارسون نعمة القراءة للجميع.. أما "هشام يحيى عبود" - ٩ سنوات - من قصر ثقافة مصر الجديدة فيقدم البحر والنيل في لوحة واحدة حيث البواخر الكبيرة والزوارق الشراعية في تشكيل بسيط يبشر بموهبة كبيرة.. "وشادى أحمد محمد" - ٧ سنوات - من كفر الشيخ اختار الورود والعصافير وأعواد الخرة.. كذلك قدم "محمد السيد عبد المجيد" - ١٠ سنوات - من بنى عبيد دهلية صورة للقرية التي نطم بها بأشجارها وبيوتها والطريق على ضفاف التربة وحاملة "البلاص" والمآذن العالية ترفرف حولها الطيور.. ومن العريش نقل لنا الطفل "أحمد ناجى محمد جلال" - ١٠ سنوات - صورة بسيطة لجمع البلح والرجال معلقون فوق النخيل وسيارة النقل الحديثة تنتظر لنقل المحاصيل.. "والشيماء محمود يوسف" - ٩ سنوات - من بيت ثقافة دار الإشارة احتفلت بالعيد على لوحة ملونة.. "ومروة محمد الدسوقي" - ١٠ سنوات - من بورسعيد رسمت السيرك.. بينما اختار "أحمد صبحى" - ٨ سنوات - من "جاردن سيتى" حديقة الحيوان والفيل أبو زلومة.. يبقى غلاف كتاب رسوم الأطفال "انشودة البراءة" الذى رسمه "إسلام حمدى صبرى" - ١٣ سنة - من قصر ثقافة مصطفى كامل بالاسكندرية وأطفال فنانون كثيرون يستحقون الإشادة والتشجيع أود لو أذكر أسماءهم جميعا وأن تهتم بهم جميع وسائل الإعلام.. والرسم ليس هو الفن الوحيد الذى تهتم به قصور الثقافة وإنما هناك فنون أخرى وجنود مجهولون يبحثون عن المواهب ويرعونها.. وأنه لعمل شاق أن يتابع الإنسان طفلا موهوبا، ويظل ينفخ فيه من علمه وثقافته وصبره حتى تخرج لنا أجيال جديدة تحمل مشاعل التقدم.^(٤)

محمد العزبى

هذه الخصائص الأدبية نتعرف عليها فى عمود "سامى دياب" الذى يكتبه فى
'وجهة نظر' أسبوعياً؛ كما نرى فى النموذج التالى (١)

٢٦

وجهة نظر وأنتم... ماذا ترون؟

مارجو كورتى تلتقى فى ربيعها العشرين بجون شاتر الذى يكرها بخمس سنوات
فيثحابان، ويحاولان تنويع حبهما بالزواج، لكن ظروفهما قاهرة تحول دون ذلك فيفترقان.
ويشاء القدر أن يلتقيا مرة أخرى بعد نصف قرن ليكتشفا أن الحب الذى كان بينهما
لا يزال متلججا، فتتزوج مارجو امرأة السبعين حبیبها جون رجل الخامسة والسبعين!
ويلتقى نيلسون مانديلا رئيس جنوب إفريقيا وهو فى الثانية والسبعين بجراسا
ميتشل أرملة رئيس موزمبيق، فتشتعل بينهما علاقة عاطفية تستمر ثمانى سنوات.
وتنتهى بزواج جراسا من مانديلا فى عيد ميلاده الثمانين!

.....
خبران نشرتهما الصحف على فترات متقاربة.
الخبران يدوران حول "الحب"، ويؤكدان حقيقتين:
الحقيقة الأولى أن الكبر لا يصيب العواطف الإنسانية.
إن قصة حب مانديلا وجراسا تؤكد أن العواطف لا تذبل، وأن القلب لا يشيخ.
لقد أحب مانديلا جراسا وعمره سبعون عاما وعامان، ليصل إلى الثمانين وقد علا
حبه بطو سنه، وزاد بزواجه!
الحقيقة الثانية أن الحب لا يموت!
إن قصة حب مارجو وجون تؤكد أن الحب الصادق لا يموت.
إن خمسين عاما فرقت بينهما لم تستطع أن تقتل حبا تبادلناه.
ويصمدحنى الدكتور زكريا ابراهيم برفضه لنتيجة توصلت اليها مستندا الى واقع
حيا.

يقول: إن الحب يموت، لأنه يحيا على أزمات الحياة اليومية، ولأن للتجربة شاهدة على
أن للحبين ظمأ يصونون العهد، وأن الحب الأبدى الذى يتحدثون عنه قلما يزيد على
عمر الزهور!

وأسارع باحثا عن سناندى ويقف إلى جانبيه ويؤيد ما توصلت إليه.
وأجد ضالتي فى فقيه وفيلسوفين يريدون ما أريدها.
أرسطو يقول: إن حبا أمكن يوما أن ينتهى لم يكن حبا حقيقيا!
جابريل مارسيل يقول: إن الحب لا يتحول أو يتغير... إن المحب ينبغي أن يضم
محبوبه فوق شتى الأحداث والأعراض والتقلبات والتغيرات.
إين حزم يقول: من كان سلوه عن ملل فليس حبه حقيقة.

وأنتم... ماذا ترون؟
أتؤمنون ما يراه أرسطو وجابريل مارسيل وإين حزم؟... أتؤمنون بأن للمشاعر
الوجدانية لا تهرم، وبأن الحب الصادق لا يموت؟... أتباركون حب مانديلا وجراسا،
ومارجو وجون؟... أم ترفضون ذلك كله وتقولون بموت الحب؟ □

سامى دياب

(١) الأهرام فى ١٢/٨/١٩٩٨.

وفيما يلي نموذج آخر للمقال العمودى فى 'وجهة نظر' يكتبه الأستاذ محمد مصطفى البرادعى أسبوعياً؛ من خلال المتابعة النقدية لحركة الأحداث والحياة فى المجتمع وفيه توظيف السخرية فى المقال من الظواهر السلبية توظيفا فنياً: (٢)

٢٧

وجهة نظر

روب المحاماة بالايجار!!

القضاء الواقف للصفة التى تتصف بها مهنة المحاماة، والتى علقت الاجيال تكن لها كل التقدير باعتبارها المكل الأساسى للقضاء، ومهنة المحاماة فى مصر لها تاريخ مشرف وسعة عالية بما ضمت ولا تزال تضم من عمالة لهم دور فى الدفاع فى كل القضايا سواء التى تمس الدولة او المؤسسات او المواطنين.. وما زالت كليات الحقوق تخرج اجيالاً بفضل الكثير منهم العمل فى مهنة المحاماة، وتاريخ المهنة ينخر بالنايبيين والمفكرين والسياسيين من بين هؤلاء الخريجين. ومع تطور الحياة، كان لامتصاص الدولة بمباني الحاكم لتكوين صورة مشرفة لنفس رسالة، والقيمة للباني الحديثة وفق أحدث مثيلاتها فى الدول الكبرى، وهذه المباني مبهرة فى صورتها الخارجية، ولكنها تحتاج إلى الرعاية والصيانة فى الداخل والتنوعية الدائمة للمتربين والمتعاملين معها لتبقى الصورة متكاملة. وهو دور العاملين فيها بكل المستويات. ومع زيادة وعى المواطن بدور الدفاع واللجوء إلى المحامين غصت للحاكم بأعداد كبيرة من شباب المحامين يتولون قضايا أو ينوبون عن محامين كبار فى بعض إجراءات التقاضى.. وتقديراً للقضاة وتنفيذاً لتعليمات نقابة المحامين، أصبح محظوراً على المحامى أن يقف أمام القضاة الا وهو يرتدى الروب الأسود..

ولكن الصورة التى تتكرر فى كل المحاكم التى يتولى شباب المحامين مهامهم فيها، ان معظمهم ليس لديه هذا الروب.. وقد يكون لدى عدد قليل منهم، فيتبادلونه فيما بينهم كلما جاء دورهم فى القضايا المكلفين بها.. ولجا متعهدو يوفيهات الحاكم وبعض السعاة إلى التكتب من تلجير الأرواب لمن ليس لديه هذا الروب وفتات معروفة لديهم.. وبحساب الزمن الذى سيستخدم خلاله هذا الروب! كل ذلك يحدث أمام أعين المتقاضين الذين وضعوا مصائر قضائهم بين ايدي هؤلاء المحامين الشبان.. وتطوير القضاء ليس بالباني فقط، ولكن ينسحب أساساً إلى من يتعاملون ويعملون فى هذه المهنة القسمة.. ومهمة نقابة المحامين التركيز بالصورة التى تراها بان يحرض كل محام شاب على مظهره القانونى.. وأن ينفرد بالروب دون تبادل مع الآخرين.. او بالايجار وأن يكون لهذا الروب الشكل الموحد الذى أمد له ولكن قدامى المحامين والشيوخ منهم نموذجاً يحتذى بهم فهم حريصون على الشكل والمظهر الذى يضى القسيمة للقضاء الواقف، وبالقطع فان تكلفة الروب الأسود بصورته القانونية ان تكون كبيرة، ولكنها باهظة شكلاً وموضوعاً بلغة رجال القانون.

محمد مصطفى البرادعى

(٢) الأهرام فى ١٧ أغسطس ١٩٩٨.

وجهة نظر

حوارات نجيب محفوظ الأدب العربي

سال مندوب الإذاعة الألمانية الأستاذ نجيب محفوظ إن كان يشعر بعد كل هذا العمر بأنه حقق الرسالة التي كان يريدناها فقال: اعتقد أنني حققت ما استطعته، فقد أشعر في بعض الأحيان بأنني كنت أريد تحقيق الأكثر بكتابة أعمال جديدة لم أتمكن منها وبالوصول بفن الرواية إلى أفاق جديدة لم يتيسر لي بلوغها رغم تصوري الفكري لها، لكنني لم أشعر أبداً أنني قصرت في عملي بالقياس لما كان مستطاعاً لي من حيث إيجاد الوقت اللازم للكتابة ومن حيث الالتزام بالعمل الأدبي قبل أي عمل آخر ومن حيث القدرة العملية على الكتابة، أما النتائج فأكبر من أن يحققها كاتب وحده أو مجموعة كتاب مجتمعين، لذلك فانا إن كنت دائماً أرى أنه كان بالإمكان أن أنجز أكثر إلا أنني إلى حد كبير راض عن أنني فعلت ما كان باستطاعتي.

فمسألة مندوب الإذاعة: كيف ترى واقع ومستقبل الأدب العربي وقد كنت أنت الذي شكلته خلال نصف القرن الأخير؟

فقال: للأسف فإن الأدب العربي الآن واقع بين شقي الرخي في الكثير من الدول العربية يعاني الكتاب من الرقابة المفروضة عليهم من قبل بعض الأنظمة السياسية والتي تحد من قدرتهم على التعبير الحر، أما في الدول العربية الأخرى فإن الاتجاه إلى التطرف الديني يشكل قيدا آخر على الإبداع لا يقل خطورة عن الرقابة السياسية وذلك بلا شك يفرض على الأدب العربي قيودا تحد من انطلاقه، ولذلك فقد وجدت في بعض ما اطلعت عليه من الأعمال الأدبية الحديثة اتجاها نحو الانسحاب من الحياة العامة الاجتماعية والسياسية والانغلاق على النفس بالتعبير عن موقف الشخص من الجنس أو الدين أو خلافه، هذا فضلا عن أن الأدب ككل قد اهتزت مكانته كمنافسة التلفزيون له.

فسأله المندوب: وهل ترى أن هذا الوضع الأدبي سيغير قريباً؟ فقال له الأستاذ: صحة السؤال هي: هل سيغير المجتمع العربي قريباً؟

محمد سلماوى

وفيما يلي نموذج للمقال العمودي "حصاد القلم" الذي يكتبه الأستاذ محمد الشهاوى رئيس تحرير جريدة الراى العام، ورئيس مجلس إدارتها أسبوعياً فى الصفحة الأخيرة.

حصار القلم

بقلم / محمد الشماوي

هل القوانين الصادرة حبر على ورق ؟ !

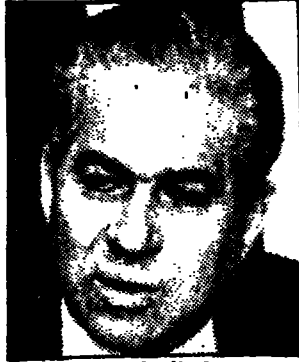


الدين الاسلامي.. دين يدعو الى
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ويدعو الى اجتناب الوقوع في
الاصطاء أو تكرارها أو تعمد الدخول
في الممنوع والمحظور والوصول الى
نقاط الالئم والخطيئة والخطايا.. وفي
ذلك يؤكد الرسول - صلى الله عليه
وسلم - "الاسلام لا ضرر ولا ضرار".
كما يأمرنا الاسلام بأن نحافظ على ما
فيه مصلحة للمجتمع ويدعونا الى
الاتفاق حول رأى والاتفاق حول قرار
فيه مصلحة للجميع..

أمور كثيرة تحمل الخير والنفع العظيم دعانا اليها الاسلام وأمرنا
بها.. ولكن.. البعض ممن استهوتهم المنافع الفردية والمصالح
الشخصية والانانية العالية المرتفعة لديهم التي تدفعهم لمخالفة القوانين
والقرارات. والضرب بكل قانون يصدر من أى وزارة أو من أى جهة
تنفيذية يضربون بهذه القوانين عرض الحائط. بل ويحاولون عليها.
ويحاولون أن يجربوا افشال القانون وتهميشه وتقريمه عن طريق
"الاعيب شيعة" التي يجيدونها تماما ويرقصون على حبالها جيدا
مثل "بهلوانات السيرك" أو مثل "الحاوي" الذي يقف في الممنوع
وفي الطريق المخالف ليعرض العابه على المارة والجمهور..
ولدينا حالة عجيبية وتحفة من معروضات متحف "الانتيكات"
و"الروبابكيا" التي بتخلفها تتحدى القانون العصري ووجودها في
المعرض ومسرح الدنيا الكبير انما لتمثل دورا يضرب به المثل في
الانانية والفردية واللامبالاة فهي خارجة عن روح العصر ومهزومة نفسيا
ومجروحة روحيا وهما الأول والاخير. الوصول الى تحقيق اغراضها
عن طريق دهن القانون "والدوسان" عليه بعجلات عقولها التي
تسول لها عمل كل خبيث...!!

اصدر الدكتور كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء امرا
"عسكريا" يقضى بعدم هدم أى عقار أو فيلا قديمة. وتأخذ طابع
المعمار الاثرى. وكذا معاقبة من يقوم بالبناء دون ترخيص ومن يفعل

ذلك يقدم للمحاكمة مع ازالة التعدي فوراً في حالة البناء بدون ترخيص..



ولقد قام المستشار ماهر الجندي محافظ الجيزة بتطبيق هذا الأمر العسكري بحذافيره وبنوده وقام بتحويل الكثيرين الى المحاكمة لأنهم تعدوا الأمر العسكري وخالفوه وانتقل محافظ الجيزة عقارات وفيلات كثيرة من التعدي والهدم والضياح. وقد أراح محافظ الجيزة واستراح..

أما الوضع في محافظة القاهرة. فالأمور لا تسير على ما يرام وتمشي عكس الصحيح وتسيح ضد التيار.. والدكتور عبد الرحيم شحاتة

• د. كمال الجنزوري •

محافظ القاهرة خرج علينا بتصريحات ملتبة ومتحمة وقوية عبر وسائل الاعلام تؤكد كلها أن الرجل سيتخذ الاجراءات الفورية التي تقضي على يد كل من يخالف وأن قرارات الازالة جاهزة بالاضافة الى وسائل الردع الاخرى.

وذكرتنا بتصريحات محافظ القاهرة بأننا داخلون معركة حرية ضد بؤر الفساد التي تهدم وتخرّب وتبني بدون ترخيص.. وتابعنا "المارشات" العسكرية والاناشيد الحماسية وقلنا نجرب ولو لمرة واحدة.. قلنا مرة واحدة تكفي!! ولذلك قصة.

هناك شكوى قدمت لرئيس حي مدينة نصر ومضمون هذه الشكوى ينحصر في أن أحد الاشخاص قام ببناء غرفتين في مساحة غير مسموح أو مصرح بالبناء فيها بل ومحظور حظراً تاماً. وذلك طبقاً لما ينص عليه النظام المعمول به في مدينة نصر الذي يقضي "البناء علي ثلثي المساحة. والثلث فراغ للتنفيس عن البني ادميين قاطني العقار"...!! ولكن حرفة الالتفاف حول القوانين مهنة قديمة برع فيها البعض ونشطوا بطريقة عجيبة لدرجة جعلنا نقول أن القانون فعلا في اجازة..

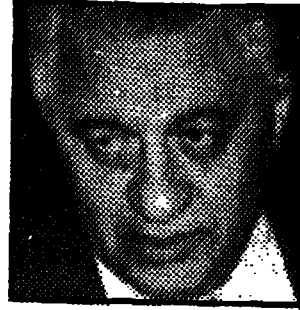
فقد قام بعض مالكي الوحدات بالاستيلاء على المساحة بالكامل وقام احدهما ببناء سلم خارجي لوحده واستقطع لنفسه جزءاً من المساحة المحظور البناء فيها.. بينما قام الآخر بالاستيلاء على بقية المساحة بهدف اقامة "جراج"... فيها والله أعلم هدف استغلاله...!! وتم لهما ما أرادوا ونفذوا ما اتفوا بتجاسر غريب وفريد كاله لا يوجد في البلد قانون ولا يحزنون أو ولا عزاء لحكم محكمة!!

ومنذ ١٩٩٨/٢/١٩ أشر رئيس الحي على الشكوى باتخاذ اللازم.. وبعد شهر قدم له استعجال ثم استعجال آخر.. ثم عدة مكالمات هاتفية والرد وعود.. وعود.. فربما هذه سلطته وقدراته...!!

المهم لم يتم أحد ولم يتدخل بل والاعجب سمعنا من يتذرع بأن الاجراءات تأخذ وقتاً أطول على طريقة عمنا رافت فهم "فوت علينا بكرة يا سيد"...!! ويبدو أن بكرة هذا يفوت وبعده يفوت وقوانين تقتل وتموت وتصبح تصريحات المسؤولين مجرد أشياء مجمدة في اللاجة وتترك الامور على حالها الى أن تحل نفسها بنفسها.

وهذه الحالة التي معنا وتحدث عنها تدل على أن احترام القوانين في بلدنا وتنفيذها أصبح شيئاً غير موجود بل أصبح معنى مفقود والحديث فيه يكون من قبيل تحصيل الحاصل أو اعادة سرد مكرر لقصص متشابهة.

والمحافظ الدكتور عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة مازال يعلن أنه يتصدى وسوف يتصدى وسيتخذ الاجراءات السريعة الحاسمة والرادعة ضد كل من تسول له نفسه بالبناء دون ترخيص أو يهدم عقارا قديما يمثل طابعا أثريا!!



لكن يبدو وأن المحافظ يقف في واد والأجهزة التنفيذية المختصة بهذا الشأن تقف في واد آخر.. وربما يكون كل منهما وكل عملها هو تعطيل العمل وعدم التنفيذ. فهذا أمر مضحك مبكى في وقت واحد.

• د. عبد الرحيم شحاتة •

فمن الذي يقف وراء هذا الطابور الطويل العريض الذي يخالف قواعد البناء ويتحدى الأوامر العسكرية التي تحذر من مخالقات المباني.. هل يوجد في داخل الأجهزة التنفيذية "طابور خامس" هدفه أن يقف بالأمور "مهلك سر" أو "للخلف دور" ما هذا الذي يحدث أيها السادة...!!! الذين تعطلون تنفيذ القرارات بحجة طول الاجراءات والتبرير بضعف الإمكانيات؟ أى منطق يبيح لكم هذا وأى قانون يسمح لكم بذلك؟.. وأى أخلاقيات تدعوكم لسلوك هذه الطرق الوعرة الصعبة؟

فلا منطق ولا قانون ولا عرف ولا أخلاقيات تجعلكم تقفون في هذا الركن المظلم وفي الجانب القصى المشبوه..

فالإسلام دين يدعو إلى الاحترام وإصلاح المعوج وتصحيح الفاسد حيث يقول الله تعالى في احترام القوانين والقرارات: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" ..

ويبدو أن هناك في بعض الأحياء من يقف ضد احترام القوانين ولا يعمل على تنفيذها حتى ولو كانت صادرة من أعلى جهاز في السلطة التنفيذية وهو الأمر العسكرى الصادر عن رئيس مجلس الوزراء!!

هذه الحالة نهديها إلى الدكتور عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة ونطلب منه التدخل شخصيا والتحقيق في هذا الأمر وفي هذه الحالة والتي ربما تكون هناك حالات أخرى مثلها تقف عاجزة عن الحركة وعاجزة عن النطق والكلام بفضل جهود العاملين في الأجهزة التنفيذية في بعض الأحياء الذين يعملون على إعاقة أى شكوى هادفة وفيها مصلحة للجميع وليست مصلحة شخصية ..

ولاشك أن الأمر العسكرى الصادر بمنع البناء دون الحصول على ترخيص وكذا هدم العقارات القديمة. فيه مصلحة للجميع والا ما كان تفتق ذهن مشرع لذلك الأمر العسكرى ولما دعاه ذلك إلى إصدار مثل هذا الأمر.

فنحن نرى أن في الأمر العسكرى فوائد كثيرة ومنافع كبيرة ومصالح عظيمة ذلك لأنه يحول دون وجود العشوائيات التي تقصد ذوق المكان وتؤدي إلى تعطيل خط سير الناس وتعمل على إقلاق راحتهم وتكير صفوهم هذا بالإضافة إلى إيجاد مشاكل بين الجيران والذي من المقرر أن يوجد بينهم التعاون والتكافل والحب والألفة والانسجام (البقية ص ١٤٠)

وفيما يلي نموذج للمقال العمودي "حصاد القلم" الذي يكتبه الاستاذ محمد الشهاوى رئيس تحرير جريدة الراى العام، ورئيس مجلس إدارتها أسبوعيا فى الصفحة الأخيرة.

ومن النماذج السابقة يتضح لنا لماذا يشعر قارئ العمود الصحفى، نحو المقالة وكاتبها أنه تجاه حديث ممتع لمحدث لبق يستهويه بحسن عرضه، فكتابته للمقالة من نوع التعبير الوجدانى عما يعرض له من مشاهد الحياة ومواقف الأحياء. ويذهب د. كفافى إلى أن التعبير الوجدانى فى المقالة الأدبية ليس معناه حصر موضوع المقالة فى الكاتب نفسه، ولكن المراد أن ما يعرضه الكاتب فى المقالة إنما يعرضه من خلال رؤيته الخاصة وطابعه المميز عن سواه من الكتاب. ومن التجارب الفنية فى المقالة الأدبية ما هو ذاتى محض، ومنها ما يتجاوز حدود الذاتية الخاصة بالكاتب إلى آفاق عامة: إنسانية أو إجتماعية أو دينية أو وطنية يفعل بها الكاتب انفعالا صادقا لا تزييف فيه ولا تقليد كما يفعل بها الشاعر فى شعره والقاص فى قصصه، وفيما يلي نموذج لعمود "صندوق الدنيا" الذى يكتبه الأستاذ أحمد بهجت فى جريدة (الأهرام) :

٢٩



مفهوم البطولة^(٥)

رغم اختلاف المجتمعات والقيم والثقافات، فإن البطولة لها مفهوم واحد، رغم تعدد صورها وكثرتها.

مفهوم البطولة فى جوهره هو إنقاذ إنسان فى مأساة، أو إنقاذ حيوان فى مأزق، أو الدفاع عن أرض وطن مهدد، أو الاستشهاد من أجل فكرة نبيلة، أو الموت فى حرب ضد الفساد أو الطغيان.

باختصار يمكن القول إن مفهوم البطولة هو الوقوف مع الخير فى صراعه الأبدى ضد الشرور.. هذه القاعدة العامة تحطمت فى إسرائيل.

(٥) الأهرام فى ٩٧/١/٤.

منذ ثلاث سنوات دخل مستوطن إسرائيلي إلى صحن الحرم الإبراهيمي وقت صلاة الفجر في رمضان، وانتهاز فرصة سجود المصلين وراح يطلق النار عشوائيا من مدفعه الرشاش على المصلين.. وفي لحظات.. سقط ٤٢ من الساجدين للصلاة قتلًا ومن حولهم سبعون آخرون من الجرحى..

كان المستوطن الذي قام بهذه الجريمة البشعة هو "باروخ جولد شتين" وهو ضابط احتياط في الجيش الإسرائيلي.. وقد قتل بعد فعلته ودفن في مكان صار الآن مزارا للمتطرفين الذين يعتبرونه بطلا، ومنذ أيام فتح "تاحوم فريدمان" المستوطن الإسرائيلي والمجنّد في الجيش نيران بنديته على العرب في السوق.. وكان سببا في إصابة سبعة من العرب حالتهم حرجة.. وحين سئل لماذا يطلق النار على الفلسطينيين غير المسلحين في السوق، قال بصراحة: لعرقلة مسيرة السلام.

وحين قيل له من بعض المراسلين: ولكنهم كانوا غير مسلحين.. قال إنهم يكرهون إسرائيل وكان هذا السبب عنده هو المبرر لفعلته، وحين قال له المراسل إنهم يعيشون على أرضهم قال المستوطن الإسرائيلي ليست هذه أرضهم، هذه أرضنا التي اشتراها أجدادنا بـ ٤٠٠ شيكل من الفضة.. كما أضاف المستوطن أنه غير نادم على فعلته.. وفي إسرائيل يوجد من يعتبر هذا القاتل بطلا مثملا اعتبر سفاح المذبحة الإبراهيمية بطلا.. ويبدو أن البطولة عند المتطرفين الإسرائيليين تقتصر على قتل العرب وإيادتهم، ومن المؤكد أن الثقافة العنصرية المريضة في إسرائيل هي المسئول الأول عن مفهوم البطولة التحسيس المعكوس عندهم.

أحمد بهجت

فيما يلي نموذج لعمود "صباح الخير" الذي يكتبه الأستاذ سعيد سنبل في

جريدة "الأخبار".

صباح

(١)

الخير

تقع وزارة الداخلية في قلب مدينة القاهرة.. وتحتل الوزارة والإدارات التابعة لها مساحة هائلة في حي لاطوغلى.. الذي يعتبر من أكثر أحياء القاهرة، ازحاما بالسكان.. واكتظاظا بالموظفين.. وتعرضا لاختناقات المرور.

(١) الأخبار في ٩٧/١/٢.

ومن المقرر أن تخلق وزارة الداخلية، والإدارات التابعة لها المباني التي تحتلها في حي لاطوغلى، وإن تنتقل إلى مقرها الجديد في أرض كلية الشرطة بحي العباسية.. قبل نهاية العام الحالي.

والسؤال: ما مصير الأرض والمباني المقامة عليها.. والمقرر إخلاؤها؟ قال اللواء حسن الألفى وزير الداخلية - وفقا لما نشر مؤخرا في الصحف - أن الأرض ومبانيها ملك للحكومة.. وهى صاحبة الراى الأول والأخير فى مصيرها.

ويتردد أن هناك نية لهدم المباني القديمة، وتقسيم الأرض، وطرحها للبيع خاصة أنها تقع فى حي من أعلى أحياء القاهرة.

وأقول: إن الأمر الطبيعى هو أن تحول هذه الأرض إلى حديقة خضراء.. ونجعل منها رئة تنفس فيها الناس هواء نقياً نظيفاً.. فى زمن اندثرت فيه الحدائق! إن عدد سكان القاهرة يتزايدون ويتكاثرون بشكل غير طبيعى.. بينما المساحات الخضراء، تتراجع وتتقلص بفضل التار الجدد، الذين اقتلعوا الشجر، وقتلوا الأزهار، وداسوا الورود بالأقدام.. وزرعوا الأرض بغابات قبيحة من الأسمنت.. لوثت الجو.. وأساعت إلى البيئة!

لقد حان وقت إنقاذ ما يمكن إنقاذه.. وتحويل أرض الداخلية إلى حديقة خضراء.. وكفانا تفكيراً، بأسلوب التجار والمقاولين!

ومن حسن الحظ. أن رئيس الوزراء الدكتور كمال الجنزورى، هو واحد من المؤمنين بضرورة حماية الأرض الخضراء.. من هجمات التار الجدد! تدل على ذلك قراراته وتوجهاته.. وكلنا يذكر قراره الذى يقضى بعدم إقامة أية مبان على الأراضى الحكومية الفضاء، والأراضى الخضراء، التابعة للحكومة والوزارات.

وكلنا يذكر قراره الأخير الذى يقضى بإزالة مبنى المقاولين العرب من أرض الجزيرة.. والذى أقيم بغير ترخيص.. وهو القرار الذى لحرمة الجميع، وصفقوا له. ومن هذا المنطلق الحريص على الأرض الخضراء.. أرجو أن يكون القرار القادم لرئيس الحكومة.. هو تحويل أرض وزارة الداخلية إلى حديقة عامة.. توفر رئة لسكان المنطقة يتنفسون فيها.. وتخفف عنهم ضغوط الاختناق.

ويوم يصدر مثل هذا القرار.. لن أكون وحدى المصفق له.. بل سوف يشاركنى التصفيق.. ملايين المواطنين."

سعيد سنبل

فيما يلي نموذج لعمود "طواحين الكلام" الذي يكتبه الشاعر الأديب د. محيي الدين اللانقاني في جريدة (الشرق الأوسط):

طواحين الكلام

محاييد في زمن الانحياز

يقدم الكاتب السويسري بوجن اولسومر مجموعة فرضيات تاريخية جديدة بالاعتبار في كتابه المعروف باسم "أسلافنا العرب" الذي صدر بالفرنسية قبل ربع قرن تقريبا لكن ترجمة العربية لم تر النور إلا العام الماضي عن طريق وزارة الثقافة السورية التي أصدرته بترجمة جيدة أنجزها محمد محفل.

ومع أن صورة الغلاف مأخوذة من لقطة لقصر الحمراء في غرناطة، فإن الكتاب في حقيقة الأمر لا يحكى عن الوجود العربى فى إسبانيا بل عن ذلك الوجود الطويل والمستمر تاريخيا فى فرنسا وسويسرا وجنوب إيطاليا.

وأجمل ما فى ذلك الكتاب هو جرأة مؤلفه على هدم المسلمات التاريخية، ونقضها بوثائق جديدة لم يشر إليها المؤرخون القدامى، فهو يفترض مثلا أن دخول العرب إلى فرنسا وسويسرا لا علاقة له بالوجود فى الأندلس إنما جاء عن طريق ميناء سان تروبيه حيث كان ذلك الشاطئ الجميل هو المدخل لوجود عربى استقر فى فرنسا وسويسرا أكثر من ثلاثة قرون، وترك اثاره فى الأسماء البشرية والعادات والحصون الحجرية وأسماء الأسلحة والأطعمة بل وأسماء الجبال حيث ما يزال اسم جبل "موروس" او الموريين مستعملا حتى الآن، وهو اسم كان يطلق على عرب وبربر المغرب الأقصى القادمين من موريتانيا.

ويشكك المؤلف السويسري بوجن اولسومر بالموقعة الشهيرة فى بواتيه، ويرفض قبول الزعم القائل بأن شارل مارنل هزم العرب فى المعركة التى يطلق عليها المؤرخون اسم معركة بلاط الشهداء، فالمؤرخون الأوروبيون، معظمهم من رهبان الكنيسة يزعمون أن القائد الفرنسى قضى على أربعمئة ألف عربى بجيش جرار جمعه من المقاطعات المجاورة، وهذه كذبة كبيرة كما يقول المؤلف، فشارل الذى يطلق عليه لقب الأصلع ما كان يستطيع جمع أكثر من ألف فارس فى ظل غياب المواصلات وطرق الإمداد والتموين.

ولا يكتفى المؤلف بهذا التبرير المنطقي لدحض الأساطير القومية التي روجها كتاب العصر الوسيط إنما ينتقل بالمسألة عدة قرون ليسأل إذا كان الوجود العربى قد انتهى فعلا فى معركة بلاط الشهداء على أبواب بواتيه عام ٧٣٢م، فلماذا نراهم يوجدون بكثافة، ويجتاحون نيس وجنوى عام ٨١٢م، ولماذا يسلمهم الماركيز برانجه بعد أكثر من قرن أى فى عام ٩٤٥م حراسة ممرات الألب حيث ما تزال آثارهم باقية فى ممر مون جو ذلك الشعب المفصل الذى يربط فرنسا بلوزان ونيوشاتل السويسريتين.

ومثلما اعتمد اولسومر على المؤرخين المسيحيين اعتمد على المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين وقدم لأول مرة مقارنة بين أسماء القادة التاريخيين عند الجانبين فالسمح بن مالك الخولانى يعرف من تواريخ الفرنجة باسم زاما، وكذلك الهيثم بن عبيد الكلابى الذى أطلق عليه الرهبان اسم آثيم لغرابية اسم الهيثم عندهم.

ويعترف مؤلف كتاب أسلافنا العرب بأن إقدام اليونسكو على طباعة كتاب صورة الارض لآين حوئل حل لغزا كبيرا فى للجغرافية الغربية لأن ذلك للكتاب حدد بدقة موقع جبل اللغلال الذى يقبع فى مدخل خليج غريمو، وقد كان ذلك الجبل الذى تعرفه المصادر الغربية باسم كلال تحت السيطرة العربية الدائمة حتى القرن الثانى عشر للميلاد.

ومع اعجاب الكاتب بالزهاء وقرطبة وتاريخهما المزدهر يرفض إقامة أية علاقة إدارية، أو سياسية بين الأندلس والمقاطعات التى كان يحكمها العرب فى فرنسا وسويسرا دون أن ينكر طبعا علاقات التعاون التى ظلت قائمة بين الطرفين إلى أن تم القضاء على الوجود العربى فى سويسرا، وفرنسا، وتمت محاصرته خلف الجبال الأندلسية، وعزله بإمارات ليون ونافار، واراغون.

ومن حسنات كتاب أسلافنا العرب أنه يقدم تفسيراً جديداً لبدايات الحروب الصليبية ويربطها بقيام العرب بأسر القديس مايول رئيس دير كلونى الذى دفع ديره لاسترداد ألف ليبرة قضية وهو مبلغ أكبر من المبلغ الذى دفعه شارل الثالث لاسترداد باريس.

وقد كان أسر ذلك القديس الذى يقع بحدود ٩٧٣ ميلادية هو الذى اغضب باب الفاتيكان ودفعه إلى إطلاق صرخة الغزو الشهيرة "إنها إرادة الله" وهى الصرخة التى بدأت منها الحروب الصليبية التى شغلت العالم لمدة تزيد عن القرنين.

ويتوجه هذا المؤلف المحايد بكتابه إلى الذين يستحقون الاطلاع على الحقيقة أما الذين يتعاركون تحت هذا العلم، أو تلك الراية فهم كما يقول لا يعرفون من الحقيقة إلا ظلالها، ونتيجة لمعرفته بهؤلاء وكثرتهم يؤكد أن أوروبا تحتاج إلى ألف عام أخرى لتتظر بحياد وموضوعية إلى قضية الوجود العربي في فرنسا، وسويسرا، وإيطاليا، وربما كان هذا الرقم من الأرقام المتفائلة فالعنصرية الواقعة على أحفاد العرب حالياً في بعض تلك البلدان تشجع على الاعتقاد بحاجة أوروبا إلى أكثر من ألف عام قبل أن تقدم على قبول الروايات المحايدة التي تصحح الفصول المزورة - وما أكثرها - من ذلك التاريخ المرير.

عيون وآذان

٦ وفي جريدة الحياة؛ يكتب الأستاذ جهاد الخازن عموده اليومي بعنوان: عيون وآذان" ومنه هذا النموذج :

"جمدت انتخابات الرئاسة الأميركية قضايا كثيرة في الولايات المتحدة نفسها، وفي بقية العالم، منها قضية بنيامين نتانياهو، ومدى صلاحيته للحكم.

رئيس وزراء إسرائيل يتقن شيئاً واحداً هو الكلام، ومنذ تسلمه رئاسة الوزارة قبل أربعة أشهر وهو يتكلم، ولا يفعل شيئاً غير الكلام، إذ يبدو مقتنعاً بأنه يستطيع أن يكذب على كل الناس كل الوقت. رئيس وزراء إسرائيل السابق شمعون بيريز قال عنه إنه قضى ١١١ يوماً في الكلام". وأضاف أن نتانياهو يعتقد أنه أنكى من غيره، وأنه بمجرد أن يشرح موقفه سيجد قبولاً فوراً من العالم العربي. ولكن بيريز أكمل محذراً نتانياهو "لا تستطيع أن تحصل على السلام مقابل لا شيء. بل تحصل على لا شيء مقابل لا شيء".

ومع تركيز الأنظار كلها على المفاوضات المستمرة على الانسحاب من الخليل، وتأكيد نتانياهو كل يوم تقريباً إحراز تقدم، ونفى المفاوضين الفلسطينيين ذلك، فإن قضايا أخرى تعكس سوء أداء نتانياهو وكذبه المستمر، تكاد تمر من دون تعليق.

عندما زار نتانياهو واشنطن الشهر الماضي فاجأ المستمعين في اجتماع محدود بالقول إن العراق يملك مادة انشطارية كافية لصنع قنبلة نووية. ولكن

مصادر دفاعية أميركية قالت فوراً إن تقارير الاستخبارات الأميركية والإسرائيلية لا تملك أى دليل على هذه القدرة المزعومة للعراق. بل إن مصادر الموساد اعترفت بأن نتانياهو أدلى بتصريحه الغريب من دون استشارتها.

وأبدى الأميركيون "ذهولهم" من كلام نتانياهو، وأعربوا عن "الأسى" و"الغضب".

وإذا تركنا الذهول والأسى والغضب جانباً، فرئيس وزراء إسرائيل كان مرة أخرى يتذاكى على الناس، لأن سياسته الخرقاء أدت إلى انفجار الأوضاع فى الأراضي الفلسطينية فى وجهه، فلم يجد ما يرد به سوى أن يثير قضية غير موجودة، وهو يعتقد أن مستمعيه من السذاجة، أو البلاهة أن يقبلوا كلامه عن العراق، وينسوا الهيجان فى الأراضي الفلسطينية.

وعلى الأقل، فى هذا الوضع يعامل نتانياهو الأميركيين، كما يعامل الفلسطينين، باحتقار وعنصرية، ويعتقد أنه أنكى منهم ويستطيع بالتالى أن يحصل منهم على ما يريد من دون أن يقدم شيئاً.

(فى هذا الوضع لا أستبعد البتة أن يعلن نتانياهو فى يوم قريب أن إيران تملك أسلحة نووية، أو هى على وشك امتلاكها، مع وجود وسائل فى حوزتها لإيصالها إلى أهدافها، فقد ثبت الآن أن سقوط طائرة تى. دبليو. أى فى البحر قبالة نيويورك فى تموز (يوليو) الماضى كان سببه انفجار غاز أو ما شابه، داخل خزان الوقود الأوسط، بين جناحي الطائرة وهيكلها، أى أنه لم يكن انفجاراً ارهابياً تقف وراءه إيران عن طريق حزب الله أو غيره. وهكذا ستكون أسهل طريقة لتحويل الأنظار عن التهمة الساقطة اختراع قضية جديدة ضد إيران، كما اخترعت قضية ضد العراق).

هل يخترع نتانياهو قضية غير العراق، أو إيران، محاولاً شق طريقه بالكذب من مفاوضات الخليل.

لعل أوقع ما قرأت فى هذا المجال كان تعليقاً فى صحيفة إسرائيلية ليكودية الميول الأسبوع الماضى ذكرنا بانقضاء مهلة الأشهر الستة لإلغاء الدعوة فى الميثاق الوطنى الفلسطينى لتدمير إسرائيل. وكان المجلس الوطنى قرر فى ٢٤ نيسان (ابريل) الماضى تحويل الموضوع إلى لجنة فرعية قانونية تدرس كيفية تعديل الميثاق وتقديم تقريراً عنه خلال ستة أشهر، أى فى فترة انتهت يوم الخميس الماضى.

هل هناك أوقح من مطالبة الفلسطينيين بإلغاء مادة أساسية في الميثاق،
اتفق عليها كجزء من عملية السلام، وإسرائيل ترفض المضي في هذه العملية،
بل ترفض تنفيذ المتفق عليه، ناهيك أن تدخل المرحلة الأخيرة؟
لو كانت إسرائيل نفذت أى جزء من تعهداتها في موعدها، لكان يحق لها
أن تطالب الجانب الفلسطيني بتنفيذ تعهداته كلها. ولكن ليكود يعطل عملية سلام
تؤثر في مستقبل ملايين الناس في الشرق الأوسط كله، من أجل ٤٠٠ مستوطن
من بروتوكول، ثم يتوقع من الفلسطينيين أن ينفذوا أهم تعهداتهم مقابل لا شئ.
غير أن بيريز قال عن جميع المفاوضين إن نتائجهم سيحصل على لا
شئ مقابل لا شئ.

جهاد الخان (١)

ونخلص من دراسة هذه النماذج لفن العمود العمود الصحفي إلى أن الكاتب
كلما كان أدنى إلى أن يحدثك عن تاريخ نفسه فيما يكتب؛ وإلى أن يرسل الخواطر
إرسالاً هيناً فيستشف منها ماوراءها من حالته النفسية، فاعلم أنه قد أجاد، على حد
قول أستاذنا د. زكى نجيب محمود رحمه الله. وأما إن وجدته يعالج موضوعاً لا
يتصل بمكنون نفسه، ويعنى بتنظيمه وثبوته كما ينظم البحث العلمى فاعلم أنه عن
الجودة بعيد.

ونخلص مما تقدم إلى أن المقالة فى العمود الصحفي إنما تقوم على
صدق إحساس الكاتب، والأصالة، بمعنى التعبير عن الذات، ووجهة نظر خليفة
بالتأكيد وجمال التعبير، ثم قوة الإثارة أو الإمتاع، وهى العناصر التى تكسب المقال
"العمودى" أدبية، بين فنون المقال الصحفي.

ومن أجل ذلك نذهب مع العلماء إلى أن خصائص العمود من حيث التعبير؛
إنما تشمل: جمال الأسلوب، وروح الفكاهة، والذاتية التى تميزه عن المقال
الاقتتاحى، واتخاذ شكل الهرم المعتدل فى الصياغة والإيجاز فى العبارة.. وربما
كان أهم من ذلك كله، أن كتاب العمود الصحفي يحرصون الحرص كله على ألا
يضيعوا من وقتهم ومن وقت القراء فى تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة
الخبرية، ثم يلصقون فى نهايتها فقرة قصيرة من المدح، أو القدر..

(١) جريدة الحياة ٢٩/١٠/١٩٩٦.

الفصل الخامس

فن اليوميات الصحفية

يقترب فن اليوميات الصحفية من روح العمود الصحفى، سواء فى التعبير عن خوالج النفس وروح المذهب الذى يعتنقه الكاتب، أو فى نظرته الى الحياة، حيث يسجل هذا الفن المقالى خواطره المتناثرة التى تؤثر فى القارئ، وهى خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال .. ذلك أن فن اليوميات يتضمن خطرا يلحق خطرا ويتبعه - لا لأن بينهما علاقة منطقية كالتى تأتى بالنتيجة وراء سببها، بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان فى خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته.

فكاتب اليوميات الصحفية يكتب وكأنه يتحدث فى سمر، حديثا مطلقا من كل قيد، ويدع الخواطر يسوق بعضها بعضا بما بينها من روابط تستدعى تتابعها وتداعيا دون أن يعمل فى ذلك عقله ومنطقه لينظم الترتيب والسياق .. هكذا بدأ "مونتانى أدب المقالة على وجهه الصحيح". فيما يرى "شارلتن".

ويذهب بعض علماء الصحافة الى أن المحرر الصحفى ينبغى أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير، ويخلعها دائما كما يخلع معطفه عند هذا الباب حتى إذا ما انتهى عمله، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التى يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه.. غير أن هذا رأى لا يمكن أن ينطبق على كاتب اليوميات بصفة مطلقة، وذلك - كما يقول الدكتور إمام - لأن "اليوميات" أشبه بالمقال الأدبى من بحث العناية باختيار الألفاظ؛ والاحتفاظ بطلاوة الأسلوب.. بل لعلها أقرب إلى مقالات الإعترافات بصفة خاصة. فهى تقدم صورا نابضة بالحياة، زاخرة بالمعانى. وهى تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتع. ولاشك أن طواعية اللغة لا تنتيسر إلا للعارفين بها، والقادرين عليها. على نحو ما نجد فى "يوميات الأخبار" التى كان يكتبها العقاد رحمه الله، والتى لا يزال يكتبها نخبة من الكتاب من أمثال: الإمام محمد متولى الشعراوى، محمد مصطفى غنيم، وحسن شاه وسناء فتح الله، وإسماعيل النقيب، ود. حسن رجب. وعبد الرحمن الأبنودى، وكما نجد فى "مفكرة الأهرام" التى كان يكتبها حشد من الأدباء والمفكرين من أمثال: عبدالرحمن الشرقاوى - ثروت أباطة - زكى نجيب محمود، ود. يوسف عز الدين عيسى ود. يوسف إدريس، وسعد الدين وهبه.

وفى مقالات "اليوميات" بالأخبار، و"المفكرة" بالأهرام يتضح لنا أن فن اليوميات الصحفية يتلخص فى أنه فن مقالى يتناول الفكرة والأداء سعياً إلى وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر: آرائه وأفكاره وألوانه وآلاته وتشوقه وتطلعاته، من طريق تطوير اللغة لمعطيات الحضارة.

على أنه يمكن القول إن التصنيف العام، الذى يقسم أدب المقالة، إلى: مقالة ذاتية. ومقالة موضوعية، أو مقالة حرة Informal ومقالة رسمية أو تقليدية formal كما تقدم، يعد دليلاً مرشداً لـ "اليوميات" الصحفية"، ذلك أن النوع الأول يحدد المقالة تحديداً يجعل من "الإيجاز" و"الوضوح" و"الذاتية" عناصر رئيسية فيها، حيث تعبر عن آراء الكاتب الذاتية، فى أسلوب يعيدها إلى خصائص "القول"، وما يتسم به من تنوع بين الجد والهزل، والامتناع والموانسة، فى بنية استطرادية غير مترابطة.

ويختلف النوع المقالى الثانى عن مقابله، من حيث الطول. فهو أكثر طولاً، وأشد إحكاماً من حيث التنظيم فى بنية المقال، وفى عرضه للآراء والمواقف، وهو يتجه نحو الموضوعية، ويتسم بالطابع غير الشخصى.

وعلى الرغم من أن البناء "غير الرسمى" Informal Essay للمقالة يعتبر غير مقنن أو غير محدد تحديداً واضحاً، فإنه يكتسب أهمية خاصة فى ترميز الشكل المقالى الذاتى؛ حيث تصبح الذاتية Subjectivity فى المقالة، خاصية تعكس تجربة أو خبرة خاصة وفريدة لكاتب معين. ويستخدم المصطلح أحياناً ليشير إلى أن خبرة الكاتب الخاصة لا تسمح بتحقيق الآخرين منها، ولهذا يترك انطباعاً بأنه يعنى كل ما هو متميز وغير علمى. ومع ذلك، يمكن أن تكون المقالة الذاتية أعمق من المقال الموضوعى وأكثر منه تعقيداً، حين تغزو مصدراً هاماً من مصادر التعبير والتأمل، على نحو ما نجد فى مقالات "اليومات" الصحفية. وربما من أجل ذلك كان من مسميات المقالة الموضوعية مسمى: المقالة الرسمية أو الشكلية Formal إذ يتحدد بناؤها عن طريق القواعد والتوقعات المقررة بوضوح. وتصبح "الموضوعية" فى المقال خاصية تظهر فى محاولة التقليل من الأخطاء التى تترتب على التحيز الاجتماعى أو السيكولوجى لفرد أو جماعة عند تفسير أو فهم ظاهرة معينة.

أما المقالة الذاتية، حين تصبح "غير رسمية Informal أو حرة، فهي لا تتحدد في ضوء قواعد أو توقعات رسمية، بل تنجم عن توقعات كامنة في طرق التفكير أو العقل تعتبر بدورها موضع اتفاق عام.

والأسلوب الذى نعرفه باسم "السهل الممتنع" أى الذى يبدو كما لو كان قد تم دون أن يبذل فيه أى مجهود أو محاولة؛ بهدف التأثير الأدبى المباشر؛ هو الأسلوب الأمثل فى هذا الفن المقالى. ولذلك فإن المقالة الحرة أو الذاتية هى الشكل الأدبى الذى يؤثره أنصار "المقالة الأدبية" فى صورتها الأدبية، وأنصار "اليوميّات" فى شكلها الصحفى، ذلك أنه يتسم بالرشاقة التعبيرية، والشفافية، وروح الفكاهة والسخرية، كما لو كان يعرض مسرحية محكمة التدريب أمام عقول مدربة جيداً على التأمل، فى معالجة الأحداث وتناول الشخصيات، ومحاولة نقل حالة عقلية ونفسية وموقف إقناعى بدون جدل، وتقديم للامتناع بدون إجهاد.

ويمكننا أن نصنف بعض الأنماط المتفرعة عن المقالة الذاتية أو الحرة على الرغم من أنها ليست قاصرة على فئة خاصة. والمقالة الحرة أو الذاتية تقتم جانباً من جوانب شخصية الكاتب، من خلال ردود أفعاله تجاه خبرة أو موضوع، أو حدث، وهو يكتبها بأسلوب يتسم بالصدق فى الحديث. ذلك أن أسلوب مقالة "اليوميّات" أقرب إلى أسلوب الحديث Conversational tone بما يشير إليه من "إمتاع" و"مؤانسة" بطبيعة الحال.

وربما من أجل ذلك قال "مونتاني" فى أحد مقالاته: "أنا لا أقوم بالتدريس ولكنى أتحدث": إذ الحركة والتغيير هما قوام كياننا "فلنقل كل مايرد على رءوسنا، نكرر أنفسنا، نناقض أنفسنا، نتخلى عن النزعات غير المنمقة ونتبع الخيالات الزائفة دون أن نلقى بالا لما يفعله العالم أو يظنه أو يقوله. وذلك لأنه لأشئ يهم إلا الحياة وبالطبع النظام. "إن مهمتنا الرئيسية هى الاتصال بالناس.. مسراتنا الأساسية هى المجتمع والصدقة والقراءة، لا لنحصل على المعرفة أو لنكسب لقمة العيش وإنما لنوسع حلقة الاتصال بالناس متجاوزين زماننا ومشكلاتنا. سنرى مثل هذه العجائب فى الدنيا، كالطيور الغريبة والأراضى التى لم تكتشف بعد".

وعلى الرغم من كل هذه المتناقضات فهنا إذن أشياء بالذات تمثل جوهر المقالات الذاتية، نراها عند "مونتاني" كمحاولات للاتصال بالروح. ففى هذه النقطة

على الأقل نراه واضحا. "إنها ليست الشهرة التي يسعى إليها، ولم يكن همه أن ينقل الناس عنه في السنين التالية، إنه لا يقيم لنفسه تمثالا في السوق، وإنما هو يبغي أن يطلعنا على أسرار نفسه. صلاتنا هي الصحة، هي الحقيقة، هي السعادة. ومشاركته واجب علينا، لكي نفوص في أعماق النفس بشجاعة ونخرج الى النور.. هذه الأفكار الخفية التي هي أشد البلاء، ولاتخفى منها شيئا، ولا نتظاهر بشيء، فإذا كنا جهلاء فننقل ذلك، وإذا كنا نحب أصدقائنا فلنخبرهم بذلك. لأنى أعلم بتجربة أكيدة أنه ليس هناك عزاء لطف - عندما يرحل عنا الأصدقاء - من العزاء الذي يجلبه لنا يقيننا بأننا لم ننس شيئا نقوله لهم من شأنه أن يدخل عليهم السرور وأن صلتنا بهم كانت على أحسن وجه^(١)."

واليوميات الصحفية تأسيسا على هذا المهم أقرب - إلى المحادثة المرسلة الحرة، إذ الكاتب يحدث صديقه القارئ على قدم المساواة دون إملاء أو استعلاء، حتى لتصبح شخصية كاتب المقالة موضوعا طريفا محبوبا جذابا. وقد كان اتجاه "مونتانى" المشرب بالدعابة وروح الألفة وعدم التخلف، والمصادقة. هو الذى أعطى لأدب المقالة طابعه المميز له. وربما من أجل ذلك يسعى المقال الذاتى إلى التعبير فى صورة موحية عن تجربة شعورية، عاشها الكاتب بوجدانه، واستغرقها تأمله حتى بلغت درجة من النضج فأبرزها فى صورة لفظية تتفق بإيقاعها وظلالها مع الجو الشعورى الذى يخالجه. فهذا النوع من المقال لا يبدأ فكرة محددة المعالم، واضحة القسمات فى ذهن الكاتب، وإنما يبدأ خواطر مبهجة ممتزجة بانفعاله ومشاعره فهو يصور الإحساس ولا يقرره، وينقل الانفعال ولا يجمده، وبذلك يقترب من القصيدة الشعرية، لأنه يودى وظيفتها فى عرض التجارب الشعورية الملائمة، ويهدف إلى التأثير فى القارئ وإشراكه فى التجربة.. والفرق بينه وبين القصيدة هو فرق فى درجة حرارة العاطفة: تملو وتتناغم فتكون قصيدة لها وزنها وقافيتها، وتهبط وتتناثر فتكون مقالة كثيرا ما يوجد فيها لون من الإيقاع يقابل الوزن، ونوع من التوافق فى المقاطع يقابل القافية، لأن طبيعة التجارب التى تعالجها لا تستغنى عن قسط قوى من الإيقاع والتتغيم^(٢).

(١) فرجينيا وولف / السابق، ص ٧٨

(٢) د. على عبد المنعم عبد الحميد وآخرون: السابق، ص ١١١

أما بناء المقالة الذاتية، فمن الواضح أنه يتحدد بنماذج تداعى المعانى، أو الأفكار، وهى لذلك مقالة "حرة" Informal، و"غير شكلية"، وتحاول جاهدة تحقيق ما كانت " فرجينيا وولف virginia woalf تسعى إليه بأسلوبها المعروف فى الكتابة، أسلوب "تسلسل الأفكار العفوى" Stream of Consiousness ^(١) أو "الشوارد"، فعندما يرد ذكر "سقراط" مثلا، فإن العقل يفكر فى هذا الفيلسوف وفى بحثه عن الحقيقة وفى ماهية الحقيقة كما يراها، وعلى ذلك تسجل فرجينيا وولف تلك الخواطر وتلك الرحلات الفكرية التى يشطح فيها الفكر ثم ينوب.

ويظهرنا هذا الأسلوب فى تداعى المعانى، أو تسلسل الأفكار، والشوارد، على ما ذهبنا اليه من اختلاط جنس أدبى بجنس أدبى آخر ليؤلف جنسا جديدا. ذلك أن هذا الأسلوب فى المقالة الذاتية؛ أصبح يطلق على صورة من صور الفن القصصى، على نحو ما صنع بعض كتاب القصة النفسية. وهو ما يعرف باسم "تيارالوعى"، إذ يؤدى المزج بين جنسى: المقالة الذاتية، والقصة، إلى لون من القصص فيه "خلود إلى الذات وتجارب مع الأفكار والخلجات المتتابعة الداخلية التى تسترسل.. وليس للأحداث أو المحفزات الخارجية أهمية ذات شأن كأهمية هذا التيار المنساب الذى يبنى على الخواطر وتداعىها وتعلقها ببعضها البعض تعلقا قد لا يكون للمنطق فيه نصيب أو للتسلسل المألوف فى الحياة اليومية أثر كبير" ^(٢).

هذا الأسلوب - الذى يتسم بتداعى المعانى أو تسلسل الأفكار، والشوارد، هو ما يظهر لنا اختلاط جنسين أدبيين، ونعنى: المقالة الذاتية، والقصة النفسية خاصة، حيث أصبح تيار الشعور أو الوعى عند كتابها، فرارا من العالم الخارجى، وانسياقا فى العالم الداخلى، والأديب الصادق هو الذى يفيد من هذا التيار الفيض فيسجله كله أو بعضه. ويعتبر "جيمس. Jomes Joyce (١٨٨٢-١٩٤١) من أشهر الكتاب الذين أسهموا فى هذا الفن، ووصل الذروة بقصته الشهيرة "يوليسيس" Ulysses . وتعتبر القصصية الانجليزية "فرجينيا وولف" (١٨٨٢-١٩٤١) من رواد هذا الأسلوب الأدبى الجديد، وهى تقربنا إليه أكثر - صوب المقالة الذاتية - حين نقول عن مقالات "مونتاني" بمناسبة نشرها فى انجلترا، بترجمة "شارلز كوتون" :

(١) د. عقيلة رمضان، تقديم: القارئ العادى - فرجينيا وولف، القاهرة، هيئة الكتاب، ص ٤

(٢) د. ناصر الحائى: المصطلح فى الأدب الغربى، بيروت المكتبة العصرية، ١٩٦٨، ص ٤٢

"رأى "مونتاني" ذات مرة فى بار" الحق" صورة كان قد رسمها "رينيه" ملك صقلية لنفسه، وتسأل "مونتاني" : "لماذا لا يكون ممكنا أن يرسم الشخص نفسه بطريقة مماثلة - عن طريق الكتابة كما فعل "رينيه" عن طريق الرسم، ويمكن للمرء أن يجيب على الفور بأنه ليس معقولا فحسب، بل ليس هناك ما هو أبسط من ذلك. وقد يتحاشانا بعض الناس بالرغم من أن ملامحنا تكاد تكون مألوفة جدا. فلنبداً وعندئذ - أى عندما نحاول البدء - فإن القلم يسقط من بين أصابعنا، إذ الموضوع عميق، وغامض، وبالغ الصعوبة.

"ومن المسلم به فى جميع الآداب أن الذين نجحوا فى رسم أنفسهم بالكتابة قليلون، وقد يكونون فى الآداب الأوروبية "مونتاني" Montaigne و"بيبرز" Pepys و"روسو" Rousseau وحدهم. إن صورة نيافة الميديتشى Midici عبارة عن زجاج ملون من خلاله يرى المرء فى الخلفية السوداء نجوما تتابع وروحا غريبة مشاغبة. وتعكس المرأة المصقولة وجه "بوزويل" Boswell كاتب سيرة الميديتشى الشهيرة وتحس به وهو ينظر نظرات ثاقبة فى أغوار الناس وأنت تقرأ تلك السيرة.

"أما أن يكتب المرء عن نفسه وهو يتتبع أوهام نفسه وتخيالاتها فإنه يعطى الصورة الكاملة بثقلها ولونها - وأبعاد الروح فى خطها وفى نقاوتها وفى انحطاطها. هذا الفن طوع رجل واحد، إنه طوع "مونتاني".

وهكذا تعود بنا" فرجينيا وولف" مرة أخرى إلى "مونتاني"، لتؤكد طبيعة المقال الذاتى، من حيث التعبير بصدق عن النفس، أو كشف خباياها للعالم، وليس هذا بالأمر اليسير .. يقول "مونتاني"^(١)

"إننا نسمع عن اثنين أو ثلاثة فقط من الأقدمين الذين سلكوا هذا الدرب، ومنذ ذلك الوقت لم يحدّ حذوهم أحد من بعدهم بعد أن سلك نفس الدرب، إنه طريق وعر، بل أكثر وعورة مما يبدو، يقتضى خطوة ضالة، غير مؤكدة مثل الروح، لكى ينفذ إلى الأغوار والمنعطفات المعقدة والمظلمة، وحتى يختار ويضع يده على كثير من الخطوات الرقيقة الرشيقة، إنه عمل جديد غير مألوف، وهذا يبعد بيننا وبين الأعمال العادية التى يحبها الجميع بشدة فى العالم".

وصعوبة التعبير في المقال الذاتي - تكمن - كما تقول "ولف" أيضا، في أننا جميعا" منهمكون في الأعمال الغريبة السارة التي تسمى بالتفكير، ولكن عندما نصل إلى حد الإفصاح عما نفكر فيه حتى ولو كان في مواجهة البعض، نجد أنفسنا غير قادرين على نقل ما نفكر فيه الى هذا الغير. فشبّح الفكرة يجوب ثأيا للعقل ثم سرعان ما يمرق من النافذة قبل أن نتيين ملامحه أو يرسب رويدا رويدا ويعود إلى ظلمات الأعمال التي ومضت لحظات بضوء عابر. إن الوجه والصوت واللهجة تشوه كلماتنا وتؤكد ضعفها مع الشخصية عند الكلام. وبينما القلم أقدر على التعبير نراه في الوقت نفسه آلة صارمة، والقلم قليل الكلام ولكنه محيط يجمع صنوف العادات والطقوس الخاصة بالشخصية. وهو مستبد كذلك فقد تكون الكلمة فاشلة إذا أُلقيت في خطاب، ولكن القلم قادر على أن يحولها إلى مقال رزين رائع.. ولهذا ظل "مونتاني" حيا بعيدا عن عداد الأموات، بقي في حيوية ناطقة. ولا يمكن أن يتطرق إلينا الشك - ولو لفترة وجيزة أن كتابه إنما هو شخصيته. إنه لا يقبل أن يكون معلما ولا يقبل أن يكون واعظا. فقد دأب يقول إنه مجرد شخص كغيره من الأشخاص. واتجهت كل جهوده لأن يصف نفسه بالكتابة على صفحات من كتبه وأن ينقل أفكاره إلى الناس، وأن يقول الحقيقة وهذا "طريق وعر بل أكثر وعورة مما يبدو"^(١)

ومقالة "اليوميات" في أبلغ صورها إنما تسعى إلى نقل صورة النفس إلى الآخرين. وهنا - كما تقول "فرجينيا ولف" أيضا، تأتي "مشكلة المشاكل، وهي أن يكون الإنسان نفسه. وهذه الروح أو الحياة التي بين جنينا لا تتوافق بتاتا مع الحياة التي تحيط بنا. فإذا كان لدى المرء الشجاعة لأن يسأل الروح فيم تفكر، فإنه سيرى فيها دائما عكس ما اعتاد الناس رؤيته، ويراهما تفكر منطلقة بعيدة عن القيود والعادات التي يخضع لها الناس اضطرارا.^(٢) وفيما يلي نماذج لمقالة "اليوميات" :

(١) فرجيليا وولف: للقارئ العادي، ترجمة د. عقيلة رمضان، القاهرة، هيئة الكتاب ١٩٧١ ص ٧٣

(٢) نفسه، ص ٧٤

■ يوميات الاخبار من خواطر الشيخ الشعراوي حول القرآن ■

●● في النهار من الآء الله وآياته الشيء الكثير،
وفي الليل أيضاً آلاء وآيات أخرى ●●

هداية النجوم

ليست الآء الله في الكون مقصورة على ما قلناه من قبل من أنه سبحانه فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، وأنه فائق الإصباح وأنه جعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا.

لقد ذكر الله جل وعلا هذه الآلاء ليتكبرها الذين يكفرون به ويلحدون، ويعبدون الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تغني شيئا عن عابديها، ليست الآلاء مقصورة على ذلك، فمن ينظر في الكون يرى الكثير والكثير.

هذه مقدمة في حديث اليوم لإمام الدعاة إلى الله فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي، أو هي ربط بين ما مضى من أحاديث الآلاء وما يأتي اليوم من حديث آلاء أخرى وهي النجوم التي يهتدى بها البشر في ظلمات البر والبحر، حيث يقول تعالى في الآية (٩٧) من سورة الأنعام:

"وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون".

يقول شيخنا الشعراوي:

إن الله سبحانه يعلم أن البشر في كونه يحتاجون إلى حركة دائبة وسعي مستمر، وليس معنى أن النهار للمعاش وأن الليل للهدوء والسكون من تعب السعي للمعاش أن الليل خال من العمل.

فهناك ضرورات للحياة لا تتم إلا بالعمل ليلا، ولكن ليس معنى ذلك أن الليل ينقلب إلى نهار، فلو حدث ذلك لتغير نظام الكون، ولكن الجماعات من الناس، والتي نطلق عليها القرى أو المدن، أو الدول تحتاج إلى أعمال ليلية في الحراسة مثلا، أو الضرب في الأرض أو السعي في الكون لتحصيل منافع في الزراعة والتجارة مثلا، ففي البر تسير السيارات حديثا، وكانت الجمال تقوم بمهمتها قديما،

ولا تزال، والفلاحون يذهبون إلى حقولهم في المساء لإدراك نوبات الري مثلا حينما تتطلق المياه في الترع ويأخذ كل نورة في ري أرضه والتجارة الواسعة تحملها السفن في البحر، ولا تتوقف ليلا عن المسير، وهكذا كل حركة في الكون تحتاج إلى الليل لتكمل حركة النهار وتعينها.

وفي النهار خلق الله لنا الشمس تضئ الكون ونحسب بها الأيام والأعوام، وفي الليل خلق لنا القمر نستضيء به ونحسب الشهور، ولكن القمر يختلف منازل، فيظهر منه ما يظهر في أول الشهر هلالا يكبر مع الأيام حتى يصبح بدرا في منتصف الشهر، ثم يأخذ في الصغر شيئا فشيئا حتى يختفى ويسمى المحاق، وهو في هذه المنازل لا يظهر طوال الليل، وإنما يظهر في جزء من وقته ويختفى في جزء آخر، وحين اختفائه نحتاج إلى هداية النجوم.

وإن من يتدبر هذه النجوم وأحجامها وحركتها وسكونها ويدرك الحكمة من خلقها لابد أن يؤمن بأن هذا الكون له إله حكيم، ولا إله سواه.

فمن ذا الذي يزعم أنه خلق هذه النجوم لتؤدي مهمتها في هداية البشرية ليلا، وفي ضبط الجهات ليلا؟

إننا نعلم أن الشمس تشرق في الصباح فنسمى جهة شروقها: الشرق، وتغرب آخر النهار، نسمى جهة غروبها: الغرب وعن طريق الشرق والغرب نحدد جهتي الشمال والجنوب على النحو المعروف في علم الجغرافيا.

لكننا في الليل لا نرى الشمس لنحدد بها هذه الجهات الأصلية وحركة الحياة تتطلب المسيرة في الصحراء وتتطلب إبحار السفن في البحار واستمرارها وهي تمخر عباب الماء ومهما يتطور العلم في صنع الأجهزة التي تحدد الجهات ومنها "البوصلة" فإن البشرية لا تستغنى عن وسائل الهداية التي خلقها الله في الكون وأهمها النجوم.

إن النجوم هي الأجرام اللامعة التي نراها في السماء لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ومن رحمة الله بنا وعلمه أن بعض خلقه ستضطربهم حركة الحياة إلى الضرب في الأرض والسير ليلا في اليابسة وفي الماء، وذلك مثل من يحرسون ويشيعون الأمن في الدنيا، ويؤدون مهمتهم ليلا. كل ذلك أراد الله بتقدير عزيز حكيم عليهم. ولذلك ترك النجوم لنا ليهتدي بها هؤلاء الذين يسهرون أو يضربون في الأرض أو يبحرون في الماء بسفنهم، وهم يحتاجون إلى ضوء قليل يهديهم.

ومن أجل ذلك كانت العرب تهتدى بالنجوم ليلا، ولايزال التقدم العلمى يهتدى بالنجوم فى كثير من حركة الليل، فالنجم القطبى مثلا، وهو المعروف للكافة يحدد جهة الشمال التى عن طريقها تعرف بقية الجهات، وبه يهتدى السائرون برا وبحرا، ولايزال الناس حتى الآن يتخذون من نجوم السماء دليلا. ثم يقول شيخنا الشعراوى.

إن من النجوم ما هو ثابت، ومنها ما هو متحرك، ولقد هدى الله الانسان إلى النجوم الثابتة يضبط بها اتجاهاته هنا وهناك، كما يضبط أوقاته بالنجوم المتحركة، ومنها ما يبدو لنا صغيرا، ومنها ما يبدو كبيرا، وقد يكون النجم الصغير أكبر فى الواقع من النجم الكبير، لكنه يبعد عنا بمسافة كبيرة وعلى ذلك لا تقتصر الحكمة من النجوم على الهداية بها فى حركة الانسان برا وبحرا فهذه فقط هى الحكمة التى يدركها العقل الفطرى أولا، ولذلك يأتى الله فى أمر النجوم بقول كريم آخر ليوضح لنا ألا نحصر الحكمة فى الهداية ليلا، برا وبحرا. إنه سبحانه يقول فى الآية (١٦) من سورة النحل "وعلامات وبالنجم هم يهتدون".

فلم يقل سبحانه: يهتدون فى ظلمات البر والبحر، وإنما ترك قوله على إطلاقه ليستوعب كل اكتشاف للعقل البشرى فى الهداية بالنجوم.

إن النجوم عالم كبير لا يتسع إدراك البشر لاستيعابه مرة واحدة، ولا يدرك كل أسرارها فى المكتشفات العلمية مع مرور الأزمان، إن إichاءات الكلمة فى القرآن الكريم يجب أن تلفت الأنظار إلى ذلك أو شيء منه، حيث يقول تعالى فى الآيتين (٧٥، ٧٦) من سورة الواقعة: "فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم".

فالقسم بمواقع النجوم عظيم، وعظمة القسم تدل على عظمة المقسم به.

وفى كل يوم يتقدم العلم ويبين الله لنا بهذا التقدم أشياء كثيرة، فهاهو ذا المذنب الذى يقولون عنه الكثير، وهاهى ذى نجوم جديدة تكتشف تأكيدا لقول الله تعالى فى الآية (٤٧) من سورة الذاريات:

"والسما بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون".

أى أنه سبحانه قد خلق لنا عالما كبيرا وأنت أيها الانسان قد أخذت منه على قدر ادراكك وامتداداتك فى النظر الطبيعى الذى لا تستخدم فيه آلة ابصار،

وأخذت منه بالنظر المعان الذى تستخدم فيه التلسكوب، وجاءت وستأتى بعدها أجهزة تكتشف أكثر وأكثر ومع ذلك فلن نحيط بكون الله علما، إن هذا يرفعنا إلى تدبر القول الكريم: "فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسام لو تعلمون عظيم".
وفى أنواع النجوم يقول الإمام الشعراوى:

إن بعض العلماء يقول: إن كل انسان فى الوجود له نجم ترتبط حياته به،
وحين يأفل النجم يأفل قرينه على الأرض.

وهناك نجوم لامعة ندرك خفقاتها، ونجوم أخرى غير لامعة وبعيدة عنا،
ويقال إنها تخص أناسا لا يدرى بهم أحد لقلة تأثرهم بأعمالهم فى الحياة.

ويتقدم العلم كل يوم، ويربط لنا أشياء بأشياء، وكأن الله يوضح لنا بذلك
أنه خلق لنا الأشياء، ومنها ما قدرت عقولنا أن تصل إلى شئ من الحكمة فيها.
ولكن لا يصح أن نقول: إن هذا هو منتهى الحكمة، لأن وراءها حكما أعلى، فهو
سبحانه الحكيم القادر. أننا قد ندرك جانبا يسيرا من حكم الله، ولكن علينا أن نعلم
أن كمال الله غير متناه، ولا يزال فى ملك الله ما لا نستطيع إدراك حكمته إلى
أن ينهى الله الأرض ومن عليها.

يأتى بعد ذلك تنزيل الآية الكريمة بقوله تعالى:

"قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون"

والآيات جمع آية، والآية هى الشئ العجيب، وتطلق الآيات على الآيات
الكونية مثل الليل والنهار والشمس والقمر، وذلك قول الله تعالى فى الآية (٣٧)
من سورة فصلت.

"ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر"

وتطلق كلمة آية على الطائفة من القرآن التى لها فاصلة.

وإن فهناك آيات قرآنية، وآيات كونية والآيات الكونية تعتبر مفسرة
للآيات القرآنية.

وتفصيل الآيات فى الكون ما نراه من تعدد أشكالها وألوانها وحكمها وغيلاتها.

وتفصيل الآيات فى القرآن هو ما ينبهنا إليه الله فى قرآنه، وليلفت النظر
إلى أن ذلك التفصيل فى آيات الكون، وذلك الخلق العجيب الحكيم الذى لا يكون
إلا لإله قادر يستحق أن يكون إلها واحدا، ويستحق أن يكون إلها معبودا.

أما بعد، فقد بلغ حديث اليوم لشيخنا الشعراوي نهايته، ولم تنته الآيات التي وردت في سورة الأنعام للرد على الكافرين الملحدين، وفي يوم الجمعة القادم إن شاء الله أية أخرى من آلاء الله. (١)

يوميات الأخبار

بكتيبا
اليوم

عبدالرحمن الأبنودي

● لو كان الأمر بيدي لشحنت كل من أراد الاحتفال بيونابرت وبيريه وبيمار والحمة الفرنسية ويطتهم الى باب المسجد واقمت الاحتفال لهذا الجدار الباسل ●

معركة أبنود الكبرى !!

والفرنسيون - في سهل مقطع - بلد الشاعر أمل نفل - يوم ٨ مارس ١٧٩٩
تكانت معركة حامية اليريس لشتك فيها
القاتلون وجها لوجه، وانتهت بهزيمة
الأمالي والعرب وانسحابهم الى أبنود.

معركة أبنود الكبرى

٨ - ٩ - ١٠ مارس ١٧٩٩

واصل الأمالي والعرب انسحابهم وهم
يدافعون دفاعا شديدا عن كل قرية وعن
كل مكان ارتدوا اليه. فلما وصلوا الى
أبنود تحصنوا فيها ونصبوا بها المدافع
الفرنسية التي غنموها في واقعة بارود
النيلية وأخذوا يطلقون النار منها ففككت
بالفرنسيين فتكا شديدا، وكانت هذه أول
مرة واجه فيها الفرنسيين مدفعية حديثة
في صفوف المصريين.

رفضت الخطة الفرنسية لاستحاطة
مدافعهم اليهم وقد نجحوا في ذلك مما
اضطر الأمالي الى الفرار الى بيوت القرية
التي تجدد القتال في طرقاتها ويوتها ولم
يتسكن الفرنسيون من التلطف عليهم الا بعد ان
لغسروا النار في منازل القرية كلها
فأصبحت البادية شعله من الجحيم وتصاعد
الذهب الى غان السماء. واستحاطت القرية
الى لكوم من الخراف. وبالرغم مما حل بها
من الحريق والدمار لمقد استنق الأمالي
والعرب في قصر حصين كان فيما مضى
مقرا لكشاف الماليك وفي مسجد يجاوره
جمعوا فيه للخبرة التي غنموها من
الفرنسيين فاستدعت القتال حول هذا المنزل
والمسجد للجوار له وبهذه الطريقة للاق
النار الى ان جن الليل وتكبد الفرنسيون
خسائر جسيمة فكلوا عن الضرب بعد ان
احرقوا المسجد وأخذوا يحاصرون المنزل
طول الليل ويستمدون لاستئناف القتال في

الاحب هو



السعادة بانها
تعيش معك

القصر القديم لكنها كاشفة عن طابع البناء
القديم ورائحة أبنود القديمة. وما هو النيل
الذي كان ينم تحت أرجلها مباشرة حين
يذهب للفيضان فيغرق الجزر ويضم كل
هذه للساحات الملهة الى النهر حيث كانت
سفن حمله يزينه تعلق منه مدافعها
وبواريدها على القسرة للناخلة. أولا
الضجل وأولا خشية كتهامس بالجنون او
الفرق على الاقل لطيف منهم ان اعطى
اعلى سطح في المكان لأبث المعركة حية
والخيل اين كان الابنوديين يربها.

كيف اتخذوا سواترهم؟ كيف سبخوا
الى السفينة «إيطاليا»؟ كيف استولوا
على البارود والمدافع وكيف أغرق امام
شواطئنا الثامنة منذ قدام المصريين؟

يقول الراصي : مكانا يرايطون في
السهل ومهمهم نحو ثلاثة آلاف من
الأمالي وعرب الحجاز و٢٥٠ : ٤٠٠ من
الماليك والتفلى الجمسمان - هؤلاء

الخميس:

كان مصيبي لمجاه مجبه الكريه
مريضا فقررت زيارته بعد أداء واجب العزاء
في لحد لفصلا القرية. ليس اسم الكريه
هو المعجيب فقط فلنينا احياء بكلمها في
أبنود تحمل اسماء مثل «الفراسي»
و«المجيه».. الق كان لابد لزيارة «الكريه»
ان يبلغ حالة أبنود القرية فاصطلي بني بيته
في قلب مسرح المعركة القديمة معركة أبنود
الكبرى ضد الفرنسيين خلال حملة «ميزيه»
على صعيد مصر.

اعطيتي الزيارة - وربما للمرة الأولى
- فرصتي الذهبية لمعاينة اللوح القديم
للموقعة القديمة بعد ان كبرت، وعرفت
وقرات عن هذه المعركة الكثير.. والكثير.
لا يعرف الكثيرون ان أبنود قرية التي
اعتز بها لدرجة للبالغة أبنت - يوما ما -
من أخرها. لحرق الفرنسيون بيوتها
جميعها. اشرفوا النار في الحوايت ذات
الأبواب الخشبية وفي اسطح الدور القديمة
حتى صارت القرية كرة من لهب سجلها
في لوحة مهيبة «مينون» الفرنسي الذي لم
يرسم قرية أخرى تحترق، فقط رسم حريق
أبنود الذي ساهم هو ورفاقه في إشعاله.
ان جدرانها للكان كما وبت في
مكتوبات «مينون» وكما صورها «ج.
كروستوفر» هيرواده في كتابه الرائع
«يونابرت في مصر» وكما جسدنا عمنا
للؤرخ الكبير «عبدالرحمن الراقعي» تؤكد
على وجود معلمين أو اثنين أساسيين في
هذا المكان - جامع وصبر.

هذا هو الجامع. هذا هو مسجد مسيحي
الغربي يقوم مهيأ الى حمار بيت «الكريه»
ولهذه هي بنايا جدران القصر كما اعتقد
والقنية جدرانها بحسني ثمانى طوابق
عرضا. ربما لا تكون الجدران من نوابك ذلك

(١) جريدة الأخبار في ٣ يناير ١٩٩٧.

أفكار طائفة : صلاح منتصر

بصمة الصوت دليل تعتمد المحاكم (١)

لا بد أن هناك آخرين غير عبد الوهاب الحباك الذى تعامل مع البنوك السويسرية عن طريق بصمة الصوت وإن كان من غير المعروف من هم هؤلاء الذين يشاركون الحباك طريقته.. والحباك من أشهر الأسماء التى لمعت فى مصر فى عام ١٩٩٦ بسبب حكايته المعروفة التى كشفتها مطلقته.. والتى أبلغت أجهزة الرقابة أن مطلقها يحتفظ بحسابات خاصة سرية فى البنوك السويسرية بها عدة ملايين حصل عليها بطرق غير مشروعة. وفى التحقيق الذى أجراه اللواء أحمد عبد الرحمن الرئيس السابق للرقابة الإدارية تمكن بطريقته الهادئة المقنعة من إقناع الحباك بأن يعيد إلى الدولة ١٩ مليون دولار هى كل ماله فى الخارج حسب قوله أملاً منه فى إغلاق الملف. ولكن بطريقة ما وصل الخبر إلى الصحافة فأنارته وتم القبض على الحباك وقدم للمحاكمة وأصبح مشهوراً بأنه صاحب الحساب الخاص الذى يتعامل معه عن طريق بصمة الصوت. ونحن نعرف بصمة الإصبع وتوقيع صاحب الحساب.. ولكن الجديد هو بصمة الصوت.. وربما كان من أهم البحوث التى تحدثت عن هذه البصمة الصوتية تلك التى نشرها لورانس كريستا فى عام ١٩٦٢ قبل ١٥ سنة وفيها طرح إمكانية تصنيف الناس عن طريق تفرد كل منهم صوتياً. وقد قام هذا التفرد على أساس إثباته وجود اختلاف بين الناس فى إشكال تجاويلهم الصوتية (تجويف الحلق - الفم - تجاويل الأنف - تجويف الشفتين) وأعضاء نطقهم وطريقة تحريكهم لأعضاء النطق أثناء الكلام. وقد أمكن للباحث التمييز بين هذه الفروق عن طريق تحليل نماذج مرئية عن طريق جهاز اسمه الراسم الطيفى Spectrograph ويظهر الراسم الطيفى الاختلافات بين الأشخاص عندما يتكلمون.

وهناك الحكاية المعروفة فى عام ١٩٦٥ عندما تفاخر شاب أمريكى كان يتحدث فى برنامج تليفزيونى بأنه أضرم النار فى عدد من محلات لوس أنجلوس. وقد استخدمت القناة التليفزيونية التى أذاعت حديث الشاب حقها فى عدم الكشف عن هويته وإخفاء وجهه تماماً عند إذاعة اعترافه، ولكن المحققين تمكنوا من

معرفة هذا الشاب وتقديمه إلى المحاكمة على أساس الاستدلال عليه من بصمة صوته وبالفعل أخذت المحكمة بالدليل وحكمت بإدانته.

وفى مصر درجت بعض المحاكم منذ سنوات على اعتماد بصمة الصوت كدليل وأصدرت قرارات بالإدانة أو البراءة فى كثير من قضايا الرشوة والتجسس والابتزاز وطلب الفدية والتهديد بالقتل.

ومع استمرار البحوث أصبح من الممكن استخدام تقنيات أكثر نقاء فى رسوم الأطياف وطرق أكثر تقدما فى التعرف على نماذج الأصوات مع استخدام الحاسبات الآلية وزادت نتيجة ذلك ثقة العلماء والمحققين فى بصمة الصوت للرجة جعلتهم ينفون إمكانية إخفاء هذه البصمة عن طريق التغيير المتعمد للصوت أو وضع مواد غريبة فى الفم، أو تغطية الشفتين أو الأنف أو غيرهما من وسائل التمويه أثناء الكلام!

قناة توشكى وترعة زايد

منذ أسابيع جذب اهتمام ملايين المصريين مشروع الوادى الجديد الذى زار الرئيس حسنى مبارك موقع العمل فيه التاسع من يناير وأعطى إشارة البدء فيه.. وهذا المشروع جرى الحديث عنه مؤخرا فى وقت تزامن مع تشغيل قناة توشكى.. ولهذا اختلط الفهم على الكثيرين وصعب عليهم معرفة علاقة هذا المشروع بقناة توشكى.. ولماذا هذا المبلغ الكبير من الاستثمارات التى سيحتاج إليها مشروع الوادى الجديد، وقد قيل إنها ستصل إلى نحو مائة مليار دولار وأنها ستحتاج إلى ٥ مليارات متر مكعب من مياه النيل الأمر الذى جعل الكثيرين يسألون من أين سنوفر هذه الأموال وكيف سندير احتياجاتنا من المياه فى الوقت الذى تربط مصر والسودان اتفاقية تحدد نصيب مصر من مياه النيل بـ ٥٥ مليار متر مكعب سنويا وقد كان وزير الرى المهندس عبد الهادى راضى رحمه الله يشكو من عجز هذه الكمية عن توفير كل احتياجاتنا للرعى.. تساؤلات كثيرة وتخوفات أكثر.. ولكن السبب فيها بالتأكيد هو ظهور المشروع فجأة رغم أن الحكومة أعلنت عن حق أن دراساته بدأت منذ نحو ثلاثين سنة كمشروع مكمل لمشروع السد العالى..

والواقع أن الذى أثار الخلط هو مشروع قناة توشكى وهذه القناة بدأ حفرها منذ العالم ١٩٧١ وكان اسمها فى ذلك الوقت قناة السادات وبعد عدة سنوات كانت جاهزة للتشغيل لكن ظروف منسوب المياه فى بحيرة ناصر لم تسمح

بتشغيلها إلا هذا العام. ذلك أن فكرة هذه القناة أنها قناة لتصريف الماء الذى يرتفع منسوبه فى بحيرة السد عن ١٧٨ مترا، فإذا وصل ارتفاع الماء إلى هذا المنسوب أصبح ما يزيد على ذلك يمثل خطرا على جسم السد، لهذا حفرت هذه القناة لتصريف الزائد عن هذا المنسوب وحماية السد من أية آثار ضارة، ونظرا لأن فيضان العام الماضى تميز بوفرة فى المياه القادمة لم تحدث من قبل بسبب غزارة الأمطار عن أى سنة سابقة لهذا تم تشغيل القناة وقدر لها سوف تقوم بتصريف فائض القناة من مياه البحيرة يصل إلى ٥٠ مليون متر مكعب. ومن الممكن أن تستمر قناة توشكى فى تصريف المياه الزائدة عن ارتفاع ١٧٨ مترا إذا استمر الفيضان القادم على نفس منسوب الفيضان الماضى - كما أنه من الممكن - وهذا هو الأرجح - أن يتولى وصول الفيضانات القادمة بنفس معدل الفيضانات السابقة باستثناء العالم الأخير فلا نحتاج إلى قناة توشكى وتبقى قناة جافة تنتظر الفيضانات المرتفعة.. فهى قناة عند اللزوم ولا يمكن الاعتماد عليها فى مشروعات زراعية.

ولكن بالنسبة لمشروع الوادى الجديد فالأمر مختلف فهو يقوم على حفر ترعة بطول ٧٠ كيلو مترا.. وتحصل هذه الترعة بصورة دائمة على إيراد مستمر من مياه بحيرة السد عن طريق أربعة خطوط أنابيب تبدأ من منسوب منخفض فى البحيرة (١٤٧ مترا) يضمن تدفق مياه البحيرة بلا توقف فى كل الظروف. ويتم رفع هذا الماء إلى الترعة التى أطلق عليها اسم (ترعة زايد) بواسطة محطة رفع ضخمة وهذه المحطة مع الترعة يتكلفان عشرة مليارات جنيه (ثلاثة آلاف مليون دولار) وعن طريق مياه ترعة زايد يمكن البدء تدريجيا فى زراعة مساحة كبيرة من الأرض تصل إلى أكثر من ثلاثة ملايين فدان، وهو ما يرفع تكلفة المشروع بعد تنفيذ مرحلته الأخيرة إلى ٣٠٠ مليار جنيه متضمنة كل عمليات التعمير اللازمة لهذه المساحة الكبيرة التى تصل إلى نحو نصف مساحة مصر.

خدعوك فقالوا عن التدخين

خدعوك فقالوا إن آثار التدخين لا تظهر على الشباب المدخن وإن أمراض القلب بسبب التدخين لا تصيب إلا كبار السن، وخدعوك فقالوا إن السجارة ذات نسبة القار الخفيف أقل ضررا من السجارة العادية، وخدعوك فقالوا إن المدخن إذا أصابته أزمة قلبية فلا فائدة من امتناعه عن التدخين.

هذه النتائج الثلاث توصل إليها آخر بحث قام به أكبر المراكز الطبية في الولايات المتحدة شمل أكثر من ألف مريض بالقلب. وقد ضمنوا تقريرهم النتائج المهمة التالية:

النتيجة الأولى أنه ليس صحيحا أن تأثير التدخين لا يظهر إلا بعد فترة تدخين ١٥ سنة فأكثر.. وأنه، نتيجة لذلك، لا تصيب الأزمات القلبية الشباب الصغير ففي البحث الميداني ثبت وجود مئات الحالات من الشباب أقل من سن الـ ٣٠ فاجأتهم بسبب التدخين الأزمات القلبية في هذه السن الصغيرة والخطيرة أيضا. وهي خطيرة لأن الأزمة القلبية في السن الصغيرة تكون عادة أخطر كثيرا من تلك التي تأتي في السن الكبيرة وقد وجدوا أن بعض الشباب الذي أصابته أزمة قلبية لم يمض على بعضهم سوى خمس سنوات فقط في التدخين. النتيجة الثانية التي انتهى إليها البحث الذي قام به أكبر المراكز الأمريكية عن أكلوية السجارة قليلة أو منخفضة القطران (الاسم العلمي هو النار) فقد باعت شركات التدخين لملايين المدخنين وهم هذه السجارة على أساس أنها تحوى كمية قليلة من القطران. وقد تصور المدخنون بذلك أنهم حموا قلوبهم.. ولكن الأبحاث أكدت أنه لا علاقة بين كمية القار أو القطران وتعرض المدخن للأزمة القلبية.. والواقع أن القطران ونسبته له علاقة أكثر بأمراض السرطان التي تهدد المدخن.. أما أمراض القلب فلا يحمى المدخن منها السجارة الخفيفة أو الثقيلة!

أما النتيجة الثالثة فخاصة بتأثير التوقف عن التدخين. وقد كان تصور البعض أن المدخن إذا إصابته أزمة قلبية، فقد وقعت الفأس في الرأس.. ولم تعد هناك فائدة من توقعه بعد ذلك. وهذا خطأ كبير.. فقد تبين أن المدخن الذي توقف عن التدخين بعد الإصابة الأولى بأزمة قلبية يكون أقل تعرضا للإصابة بأزمة ثانية. وأنه أيضا ليس صحيحا ما يقال عن بعض الآثار الضارة التي يمكن أن يتعرض لها المدخن إذا توقف بسبب تعود الجسم على التدخين.. فقد ثبت أن التدخين هو العادة أو الإدمان الذي إذا تخلص منها المدخن أصبحت صحته أحسن وأفضل".

ذاكرة التاريخ :

بقلم :

زكريا نيل

ويقدم الأستاذ زكريا نيل نموذجاً متميزاً، في توظيف فن اليوميات الصحفية؛ لأداء وظائف التحليل والتفسير في المقال الصحفي، من خلال تحقيق الصلة بين "الوقائع" و "أيام العرب"؛ وفن "اليوميات" الحديث على نحو ما نجد في مقالاته بالأهرام، والتي أختار لها عنواناً الأ هو: ذاكرة التاريخ" .. وفيما يلي نموذج من مقالاته :

اللبناني، فإن واشنطن لن تتراجع عن حمايتها! وإن.

ماذا لو بقي الحال على ما هو عليه إلى أن تعلن حالة الوفاة بصفة قاطعة لاتفاقات السلام؟

هل تستطيع أي أنظمة عربية أن تكبت مشاعر غضب الشارع العربي وانفجارها ضد إسرائيل وضد الدولة الراعية لعملية السلام والمنحازة انحيازاً كاملاً ضد أي أدانة دولية للنظام الإسرائيلي؟

هل يستطيع أي واحدة من دول

العالم أن تلقى باللوم على أي قوى وطنية عربية تتفجر غضباً وبكل وسائل المقاومة المشروعة لاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية، أيا كان حجم المخاطر المضادة أو ردود الأفعال العدوانية الاستعمارية؟

هل يستطيع أي نظام عربي أن يقاوم المشاعر الوطنية للجهامير العربية لتنظيم مقاطعة شاملة للسلع أو البضائع أو الأجهزة أو السيارات الأمريكية، أو الخدمات الملاحية في المطارات أو في الموانئ العربية المختلفة، وذلك وفقاً لمبادئ مشروعة ومُعترف بها لدى كل شعوب العالم؟

«بيل كلينتون» عن الانحياز الكلي إلى جانب إسرائيل إلى أن أصبحت جزءاً من أساسيات «الاستراتيجية الأمنية» للولايات المتحدة الأمريكية والتي لا تسمح بهزيمتها في أي معركة عسكرية بينها وبين العرب!! وإن...

أصبح واضحاً أمام القادة العرب عدة حقائق لابد من إدخالها في نسج أي مخططات عربية مستقبلية بالنسبة لحركة «الصراع العربي الإسرائيلي» مع الأخذ في الحسبان دائماً أن أمريكا لا تسمح بأي هزيمة تحيق بكيان الدولة الاسرائيلية!

أي قمة عربية شمولية

عاجزة عن معاقبة الولايات المتحدة!

ومعنى ذلك.. أن أي مؤتمر قمة عربية على مستوى مشاركة كل قادة الدول العربية، قد لا يستطيع اتخاذ قرار إجماعي بتوقيع أي عقوبات على الولايات المتحدة الأمريكية جزاء لها على انحيازها الكامل لإسرائيل وتسببها في استمرارية احتلالها للأراضي العربية المحتلة وتنصلها من الالتزام بأي قرار دولي يفرضه ميثاق الأمم المتحدة بتوفير الوسائل الحتمية والحاكمة التي تقضى بمعاقبة الدولة العربية..!!

والمسئولية العربية القيادية.. من أين تبدأ على الفور

دورها...؟؟

ان الممارسات الايجابية المشروعة والملزمة بسرعة تفعيل مختلف اليات العمل العربي المشترك عليها مسئولية قومية واقليمية وتاريخية بانه كفى ما قد فات من ضياع، وعليها التحرك على عجل لتجميع القدرات العربية المؤثرة نحو خطوات قادرة على التحدى من خلال النهوض الاقتصادى الموحد ليصبح حقيقة واقعة ومرئية على ارضية الاسواق العربية المشتركة والمناطق العربية الحرة التى هى قادرة على أن تدفع فى شرايين التكتلات العربية دماء الازدهار الاقتصادى المصرفى والتنموى والتعامل بقوة تنافسية مع المنظمة العالمية للتجارة الحرة!!
وإذا كان هناك معوقات قانونية او عقبات ادارية، فإن روح التحدى الجماعى ستفرض وجودها بعقلانيته المتبصرة وبجهودها المؤثرة فى جميع مواقع التحولات الكبرى لعالمنا المعاصر!!

وإذا كانت الدول العربية قد استطاعت أن توحيد موقفها وتفرض قراراتها بمعاقبة الولايات المتحدة بقطع الامدادات النفطية العربية عنها فى بداية اندلاع معركة السادس من اكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ ضد اسرائيل لاستمرار عدوانها على الاراضى العربية - فما ذلك إلا لأن كل العرب كانوا يملكون حرية صنع قرارهم ضد أى دولة معتدية أو مؤيدة لدولة معتدية مثل اسرائيل! أما بعد كارثة الثانى من اغسطس عام ١٩٩٠ بغزو العراق للكويت، فإن القرار العربى ليس متاحا له أن يكون اجماعيا إذا ما كان موجهها ضد الولايات المتحدة التى قامت من قبل حرب عاصفة الصحراء فى معركة تحرير الكويت، حتى إذا ظل انحيازها لاسرائيل دافعا إلى استمرار تمردها ضد تنفيذ احكام اتفاق السلام المنعقد بينها وبين الجانب الفلسطينى، ثم نزوعها إلى استمرار الهيمنة على الاراضى العربية الأخرى المحتلة سواء فى الجولان السورية أو فى الجنوب

أى الخيارات العربية قادرة على المجابهة ..؟؟

وبعد أن عجز مجلس الأمن الدولي عن ادانة حكومة اسرائيل فى مشروعاتها التوسعية لتهويد مدينة القدس العربية، واكتفى بدعوتها إلى التخلي عن خطط توسعاتها فى المدينة المقدسة.. واصفا هذا العمل بأنه تطور خطير ومضر بعملية السلام وحثها على عدم اتخاذ خطوات أخرى فى هذا الشأن.. كان هذا البيان اقرب إلى مناشدة الحكومة الاسرائيلية ولم يستطع الاقتراب من كلمة «الادانة» لأن الفيتو الأمريكى واقف له بالمرصاد.

القيمة كالحركة البلشفية فى بداية القرن الحالى، والحركة الماسونية التى كان يغنيها المرابون اليهود، وكان معظم هؤلاء ينزحون من روسيا القيصرية، ومن ثم فإن للولايات المتحدة عندما وقعت فى قبضه نفوذ رأس المال اليهودى، فإنها تبنت فى العقود الأخيرة مهمة تدفق المهاجرين اليهود على فلسطين من جميع أنحاء للعالم، ومازلنا نتذكر أن أهم النقاط التى كانت تعرقل إعلان الوفاق الدولى، بين الجناح اليميني الذى كانت تمثله أمريكا والجناح اليسارى الذى كان يمثل الاتحاد السوفيتى السابق، هو اصرار الولايات المتحدة على ربط الوفاق بين البلدين بفتح أبواب الهجرة أمام اليهود السوفيت إلى فلسطين !

ومن ثم فإن معظم سكان المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية بغزة والضفة الغربية، هم من اليهود الروس.. وظلت أمريكا والمنظمات اليهودية وراء تدفق هؤلاء اليهود على الأراضى الفلسطينية إلى أن أصبحوا يمثلون المشكلة الخطيرة والمعقدة فى طريق تنفيذ أى اتفاق سلام اسرائيلي فلسطيني، كما أنهم أصبحوا بمثابة الغام موقوتة التفجير فى أى كيان للدولة الفلسطينية المرتقبة، وهى الورقة التى يلعب بها الآن رئيس وزراء اسرائيل الحالى «بنيامين نتنياهو»، تطلعا إلى أن يصبح هو

وعلى الرغم من أن هذا النداء لى استحياسانا من جانب من اعتبروا الموافقة الأمريكية عليه، هى بمثابة تحذير، لرئيس وزراء اسرائيل «بنيامين نتنياهو»، فإن الحقيقة أن أقل ما يطلق على هذا البيان هو العبارة الشهيرة الساخرة «تمخض الجيل فولد قاراء» !!
والسؤال الآن ..

أى الخيارات العربية المستقبلية لها القدرة على مجابهة التحذيرات الاسرائيلية بعد أن بلغت ذروتها ؟ علينا أن نأخذ فى حساباتنا أولا ان الحكومة العنصرية المتطرفة فى تل ابيب، تمثل سياستها العمل على تطبيق الجزء الهام قبل الأخير من المشروع الذى يطلقون عليه اسم «المشروع القومى الصهيونى» الذى يهدف إلى التوسع فى الأراضى العربية لاستيعاب ملايين أخرى من المهاجرين اليهود خاصة المهاجرين الروس وغيرهم ممن شملتهم برامج التهجير.. وليس غائبا عن أى متابع لتفاصيل هذا المشروع، أنه مخصص له نسبة سنوية من المساعدات الأمريكية لاسرائيل وكذلك من التعويضات الألمانية التى تمتد إلى العقد الثانى من القرن القادم الحادى والعشرين.. كما أن برامج التهجير تمثل الشرابين المتدفقة فى جسد البنية البشرية للدولة العبرية إلى أن تصبح على المدى البعيد قوة طاردة لكل من تبقى من سكان البلاد الأصليين ..

رقمها هاما بين رموز الحركة
الصهيونية العالمية!!

أمريكا الأب غير الشرعى
لدولة إسرائيل!!

هذه هي الحقيقة التي تجرى
كالدماء فى عروق الإدارة الأمريكية..
ومن ثم كان علينا أن نتعامل مع هذه
الحقيقة الثابتة «كقبر» لا نستطيع
مقاومته أى إدارة أمريكية من أى من
الحزبين الجمهورى أو الديمقراطى..
وإن علينا أن نرجع إلى سجل
الرؤساء الأمريكين من وقت الاعلان
عن قيام «دولة إسرائيل» فى الأرضى
الفلسطينية عام ١٩٤٨، والتي واكب
ظهورها عهد الرئيس الأمريكى
الراحل «ترومان» ولم يحدث أن تخلى
واحد من الرؤساء العشرة الذين
جامعوا من بعده حتى الرئيس الحالى

تماما.. كما حدث بالنسبة للهجرات
القديمة التي زحفت على الأرضى
الأمريكية منذ اكتشافها قبيل أربعة
قرون والتي أدت إلى استئصال جنود
سكان البلاد الأصليين من «الهنود
الحمراء» وبحيث لم يبق منهم إلا «قلة
قليلة» تحافظ على بقاياها أمريكا وكل
دول العالم كلوحة بشرية تمثل التراث
السكانى القديم !!

الوفاق بين الغرب والشرق ..
كانت يوابته الهجرة اليهودية الروسية !
ومعذرة إذا كنا توسعنا بعض
الشيء فى قضية الهجرة اليهودية
واشهرنا إلى أنه لم يكن ممكنا أن
تنهض دولة «عبرية» من المهاجرين من
مختلف الجنسيات فى فلسطين إلا إذا
كان قد احتضن هذا المشروع القومى
الصهيونى رموز الحركات المذهبية

الفصل السادس

فن المقال التحليلي

هذا فن مقالى متميز فى الصحافة المعاصرة، يستوعب الخطاب السياسى، كما يستوعب الخطاب النقدى. والمقال السياسى المعاصر قلما يتجه صوب النزال أو التصوير الحماسى، كما كانت السمة العامة فى الصحافة العربية أثناء مقاومتها للاستعمار، وما استدعته هذه المقاومة من نزال مع هذا الاستعمار، ومن نزال بين كتاب المقال وبعضهم البعض دفاعا عن مبادئ الأحزاب التى ينتمون إليها.

والمقال النقدى المعاصر، قلما يتجه الى ما يسمى بالنقد الاتطباعى، الذى عرف فى مراحل سابقة. لقد استجاب المقال النقدى فى العصر الحديث للمقتضيات العلمية التى أكسبته بُعدا يتعادل مع البعد الأدبى، فى تناول الأعمال الابداعية، من خلال مقاييس نقدية، تسعى بجهد دعوب إلى التخلص من "ذاتية" الاتطباعية، فى محاولة الانتساب إلى "موضوعية" العلم، والإفادة من مناهجه فى البحث والنظر والتحليل.

فالمقال التحليلى - إذن - هو القاسم المشترك الأعظم، الذى تنتمى إليه فنون الخطاب فى هذا العصر، الذى يتسم أكثر ما يتسم بالتحليل. إذ أصبح الكاتب المقالى أشبه بالعالم، الذى لا يُدلى برأيه، إلا بعد ملاحظة علمية وتجارب معملية، وأشبه بالفيلسوف المعاصر الذى يحلّل العبارات والأحداث تحليلا يوضحها ويضبطها، ولذلك ينبغ فى هذا الفن - المقال التحليلى - من كُتّاب السياسة والاقتصاد والاجتماع والنقد الأدبى - أولئك الذين يصدر عن رؤيا إبداعية تنتظم الفلسفة إلى جانب العلم. وحين يتصدى الكاتب التحليلى إلى تناول قضية من قضايا السياسة والمجتمع والأدب والنقد، فإنما يتجه بمقاله على الفور إلى "التحليل"، الذى ما يلبث أن يكسب هذا المقال "منطقا" إقناعيا يتجاوب فيه المرسل والمستقبل، حتى لنقول مع فيلسوف الوضعية المنطقية "هريبرت فايجل" إن الفلسفة ظلت طوال تاريخها الحصن المنيع لسحر الألفاظ، إذ حاولت عن طريق استخدام وسائل لفظية خالصة أن تفسر أشياء لا يستطيع تفسيرها إلا العلم، أو لا يُستطاع تفسيرها على الإطلاق. وفى أثناء هذه العملية تخلق لنفسها البلبلة والاضطراب. وقد علمنا "التحليل" أن كل هذا لا ضرورة له على الإطلاق.

وإنّلك رأينا كيف تطوّر المقال النقدي ليتجاوز الطابع الانطباعي، إلى الخطاب التحليلي .. ونذكر هنا قول د. زكي نجيب محمود: إن مهمة الناقد إنما تنصبّ على تحليل العمل الفني نفسه، دون الاهتمام بشخصية الفنان، وإذا جاز أن نسمي طريقة "فرويد": "مدرسة التحليل النفسي" فإن مدرسة النقد الموضوعي يمكن أن تسمى "مدرسة التحليل النصّي" وذلك لانصبابها على النصّ دون سواه.

وتأسيسا على هذا الفهم فإن المقال التحليلي " يغدو منهاجا في تحرير المقال النقدي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، إستجابة لطابع العصر. وهو الطابع الذي أدى ببعض المفكرين إلى تسميته "عصر التحليل". ولذلك يتجه المقال الصحفي التحليلي إلى الاهتمام بالمنهج، والحرص على الدقة، وتوخي النصاعة الذهنية. وسواء اهتم المقال بتحليل اللغة والمعاني والرموز، أم اهتم بتحليل وقائع الشعور ومواقف الحياة الانسانية، فإننا نجده في حالتيه يعزف عن التعميمات الواسعة، التي نلاحظها في نصوص "المقالة الأدبية" الذاتية خاصة، كما يتوجس المقال التحليلي من الأنظمة الفكرية الجامدة، ويتحرج من الاتسام بالتعبير الذاتي فيما يتناول من تحليل.

فإذا كانت المقالة "الأدبية" منذ نشأتها قد حلقت في عالم التجريد، فإن المقال "التحليلي" في الصحافة المعاصرة، يعود إلى عالم الواقع، استجابة لوظائف الاتصال الصحفي. وهي الوظائف التي تستوجب الوقوف عند "العَيْتِي" أو الملموس من واقع الحياة محليا، ودوليا؛ من جهة. وتفاعلا مع التطور الفلسفي والفكري من جهة أخرى. وهو التطور الذي يشمل الغالبية التي ذهبت إلى القول بالكثرة أو التعدّد. على العكس مما كان يقول فلاسفة القرن التاسع عشر. "وإذا كان بعض فلاسفة الماركسية مازالوا يقولون بالوحدة ويرفضون التعدّد الذي تشهد به التجربة، فإن هؤلاء الفلاسفة إنما ينتمون في الحقيقة إلى القرن التاسع عشر الذي شهد نمو المادية الجدلية، وعمل على خلق نزعتها التاريخية الواحدة. وأما فيما عدا هؤلاء، فالملاحظ اليوم أن معظم الفلاسفة المعاصرين أصبحوا يلجأون إلى مبادئ متعددة، محطمين بذلك شتى الإطارات التقليدية. ولم يقف التعدد عند هذا الحد، بل هو قد امتد أيضا إلى صميم فهم التيارات المختلفة لمعنى الفلسفة ودورها الحضاري. فلم تعد هناك "فلسفة" بل أصبحت هناك "فلسفات" متعددة لا تجمع بينها أية وحدة عقلية أو أي اتجاه مشترك"^(١).

(١) د. زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، القاهرة، مكتبة مصر، ص ١٧

وإذا كانت الصلة بين " التحليل " و " الواقع " فى الاتصال الصحفى، ليست فى حاجة إلى برهان، فإن الصلة جد وثيقة بين " النزعة التحليلية " و " النزعة الواقعية " فى الفلسفة المعاصرة. إذ أن كليهما قد نشأ - فى الأصل - كرد فعل ضد النزعات الهيجلية بصفة خاصة. ولم يكن جورج إدوارد مور - فى بداية عهده بالتفلسف - سوى داعية من دعاة النزعة الواقعية، بدليل أن شهرته الفلسفية قد اقترنت منذ البداية بالبحث الذى كتبه عام ١٩٠٣ عن " المثالية ". ولكن المفكر الانجليزى الكبير لم يلبث أن اتجه نحو " التحليل " فى معالجته للعديد من مسائل الفلسفة والأخلاق، فكان أن تلاقى - فكريا - مع اثنين من أعلام الفكر الفلسفى المعاصر: ألا وهما " برتراند رسل " و " ولد فيج فتنشين " وقد تألفت من ثلاثتهما مدرسة جديدة فى الفلسفة هى المدرسة التحليلية التى عرفت أحيانا باسم " مدرسة كمبريدج " .. وكان لها تأثير كبير على حركة أخرى من حركات الفكر المعاصر، ألا وهى حركة " الوضعية المنطقية " التى نشأت فى فيينا^(١) أما " برتراند رسل " فتأثيره على نهج التحليل فى الخطاب المقالى خاصة كان تأثيرا كبيرا، وهو الذى يقول عنه " سبنيانا ": إن " رسل " هو فرانسييس بيبكون القرن العشرين " وليس من قبيل المصادفة أن يجىء الاقتران هنا بين رائدين أحدهما فيلسوف التحليل المنطقى، والآخر هو الرائد المقالى " فى الأدب الانجليزى. ذلك أن " رسل " قد توسل بالاتصال الصحفى فى قيادة الفكر المعاصر، كما اتجه " بيبكون " رائد المقالة - إلى ترسيخ هذا الفن، فى الأدب وفى الصحافة معا. وحسبنا أن نذكر هنا ما جاء فى تقرير جائزة نوبل فى الآداب التى حصل عليها " برتراند رسل " عام ١٩٥٠ .. إذ نقرأ فى التقرير أن المفكر الانجليزى قد استحق هذا الشرف " تقديرا لإنتاجه العظيم ذى الجوانب المتعددة، واعترافا بما اضطلع به دائما من دفاع عن الإنسانية وذود عن الحرية الفكرية.

ذلك أن " رسل "، لم يتوقف بفكره عند الرياضة، والمنطق والتحليل الفلسفى، بل امتد ايضا، ليعالج الشؤون التى تطرحها الصحافة من أخلاق، وتربية، ودين وسياسة واجتماع .. يدفعه الى ذلك مفهوم واضح للاتصال بالجمهور، ولذلك لم يصنع صنيع زميله " مور " فى تحديد نشاطه الاتصالى داخل أسوار الجامعة، وإنما اتجه " رسل " إلى الاتصال بالجمهور، فاكسب شهرة عالمية واسعة، كما ذاع اسمه خارج موطنه الأصلى لمواقفه السياسية الجريئة. وربما يرجع ذلك إلى اهتمام " أسلافه " بالسياسة واشتغال جدّه اللورد " جون رسل " بالقضايا السياسية -

(١) د. زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، القاهرة، مكتبة مصر، ص ١٩٢.

وخصوصا أنه كان رئيسا للوزراء فى انجلترا خلال الحرب المكسيكية وثورات عام ١٨٤٨- قد عمل على توجيه جانب غير قليل من اهتماماته نحو المشكلات العامة ومسائل السياسة. ومازلنا نذكر ما حملته إلينا الأنباء منذ عدة سنوات عن اشتراك "رسل" فى بعض المظاهرات السياسية التى حدثت فى انجلترا لمناهضة التجارب الذرية، مما جعل الكثيرين يعجبون بشجاعة هذا المفكر العجوز الذى طالما نصب نفسه عدوا للحروب ونصيرا للسلام^(١)

المقال التحليلي إذن مدين بمنهجه إلى هذا الفيلسوف الكبير: برتراند رسل، الذى ولد عام ١٨٧٢، ورحل عن عالمنا مؤخرا، مشاركا فى قضايا .. واستنادا إليه فإننا نميز فى المقال التحليلي - بين مظهرين مختلفين للغة: مجموع مفرداتها من جهة، وتركيبها أو بنائها من جهة أخرى، "إذ ليس أغدر بالفيلسوف من المفردات اللغوية: فإن الألفاظ المستخدمة عادة فى اللغات الطبيعية غامضة وملتبسة". ومن هنا فإن على المقال التحليلي أن يحدد معانيه، وأن يحرص باستمرار على تفسير المعانى الدقيقة التى تستخدم فيها الألفاظ حين ترد على قلم هذا الكاتب أوداك. وليس من شك فى أن عملية "تحليل المعانى" عملية منطقية قديمة ترتد إلى عهد أرسطو، ولكن "رسل" يعتقد أن الكثير من مظاهر الخلط الفلسفى حول مشكلات معروفة كمشكلة الجوهر أو مشكلة الكليات ترجع أولاً وبالذات إلى بعض خصائص لغوية كامنة فى مفردات اللغة الطبيعية، وإن كان من المؤكد أن السمات التركيبية أو البنائية لأمثال هذه اللغات الطبيعية هى المسئولة عن العديد من الأخطاء التى طالما تردى فيها الفلاسفة، وكتاب المقال.

والمقال التحليلي إذن يقوم على هذا الفهم اللغوي، كما يقوم على ما يسميه "رسل" أيضا بالشكل المنطقي Logical form، تأسيسا على أن التحليل التقليدي للعبارة المنطقية إلى "موضوع" و"محمول" قد عمل على إخفاء البناء المنطقي الحقيقي للعبارة. ولذلك اتجه "رسل" نحو تطبيق المنطق الرمزي على اللغات الطبيعية: فأنت مثلا حين تقول: كل الساسة العرب مخلصون لأوطانهم، وبعض المتهورين ليسوا بساسة مخلصين لأوطانهم، إذن بعض المتهورين ليسوا عربا... أو حين تقول: كل المتقنين معجبون بالرواى الفرنسى "بروست" وبعض الفلاسفة ليسوا من المعجبين ببروست، إذن بعض الفلاسفة ليسوا متقنين! وأنت فى كلتا الحالتين إنما تحكم بأنه إذا كان كل (أ) هى (ب) وبعض (ج) ليست (ب) إذن فإن بعض (ج) ليست (أ).

(١) د. زكريا إبراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، القاهرة، مكتبة مصر، ص ٢١٨.

فى هذه الصيغة المنطقية يتضح أننا بإزاء "متغيرات Variables" يمكن أن نضع بدلاً منها مانشاء من حدود، وسيكون فى وسعنا عندئذ أن نحصل دائماً على نفس النتيجة، بشرط أن نراعى "الشكل المنطقى" للعملية الاستنتاجية.. وليست مهمة "المنطق الرمزى" سوى العمل على تحويل أى مقال معبر عنه باللغة الطبيعية إلى شكل منطقى أو "صورة منطقية"، حتى يكون فى الإمكان فهمه دون حاجة إلى أى تعبير لغوى.

وفى تقديرنا أن المقال التحليلى ينبغى أن يقوم على نظرية "رسل" فى "دالات القضايا Propositional functions . و"دالة القضية" تعبير ينطوى على مركب غير محدد، أو أكثر من مركب واحد إذا ما تعينت قيمته استحالة التعبير إلى "قضية". فدالة القضية إذن تحتوى بالضرورة على متغير، ومثال ذلك أن نقول: (س إنسان) ويذهب "رسل" هنا إلى أن قضايا المنطق التقليدى، كالقضية القائلة بأن (كل أ هى ب) إنما هى دالات قضايا لا قضايا. ولابد من تحديد كل من (أ) و(ب) بوصفهما فئات محددة، قبل أن يكون فى الامكان الحكم بأن أمثال هذه التعبيرات صادقة أو كاذبة. ونحن نعرف أن المنطق يستعين بالألفاظ مثل (كل) و(بعض) و(ليس كل) و(أو) ... إلخ، وهذه الألفاظ جميعها تتطلب استخدام "دالات القضايا". ونحن "لا نحصى فى المنطق كل الجزئيات أو الأمثلة، بل ننقل من النماذج أو الأمثلة إلى القانون العام الكامن وراءها، وتأسيساً على ذلك، فإننا نعرف أى "كل لامتناه" دون أن نعرف كل عضو فيه، لأننا نعرف أن أى "كل" يمثل دالة قضية من نوع معين. فحين نعرف مثلاً أن "كل البشر فانون.. لأننا نعرف أن دالة القضية (س إنسان وس فان) هى دائماً صادقة، وعلى ذلك فإننا حين نكون بإزاء أية دالة قضية، لابد من أن نجد أنفسنا بإزاء أمرين: الأول أن نقرر أنها صادقة فى كل للحالات، والثانى: أن نقرر أنها صادقة على الأقل فى حالة واحدة، أو فى بعض الحالات.

وتأسيساً على هذا الفهم، فإننا نرى أن "المنطق" هو صميم المقال التحليلى تأسيساً على أن التحرير بفنونه المختلفة يتلخص فى معادلة فحواها أن التحرير: "تفكير" + "تعبير". والتحليل فى المقال كفيل بأن يظهرنا على أنه إما أن تكون المشكلة "منطقية" وإما ألا تكون مشكلة "فلسفية كما يقول "رسل" (٢) ، حيث التحليل

عملية ذهنية تضطلع بها حين نحاول توضيح التصورات والعبارات، سواء فسى مضمار العلم أم فسى مضمار الفلسفة أو فسى مضمار الحس المشترك، من أجل العمل على إزالة ما فيها من مظاهر الغموض والالتباس.

ولذلك نرى أن هذا العمل على إزالة مظاهر الغموض والالتباس يمثل الوظيفة الرئيسية التى يصدر عنها المقال التحليلى فى الصحافة المعاصرة، حيث أصبحت، وسائل الاعلام والاتصال بال جماهير تحاصر الانسان فى كل مكان بكلام بارع، سريع، مجلجل، عن بيع "السلع والأفكار" معاً.. فالإنسان المعاصر مطالب باتخاذ قرارات متعددة، بعضها تافه، وبعضها هام، وذلك بوصفه مواطناً ومستهلكاً وعضواً فى كثير من الجماعات الصغيرة، ورأيه فى كل شئون الحياة والسياسة مهم. ذلك أن زيادة السكان، والتوسع فى الحقوق السياسية ومنح المرأة حق الانتخاب قد أدى ذلك كله الى زيادة عدد الناخبين، كما أن التعليم الشعبى قد أعطى الغالبية العظمى من المواطنين فرصة تعرف قضايا الحكومة، ومشكلاتها، وملاحظة الهوة بين ما هو عملى، وما هو مثالى فى المجتمع، وقد زادت الانتخابات الأولية المباشرة وتعددها من مسؤوليات المواطن الفرد" (١).

وهكذا يصبح الناس فى البلاد الديمقراطية مطالبون بأن تكون لهم آراء فى كثير من مسائل الحياة اليومية الهامة، فمثلاً: هل الضرائب فادحة؟ أم منخفضة؟ هل تؤدى المدارس عملها بكفاءة؟ وكيف يمكن أن تصنع ذلك بكفاءة أكبر؟ هل يتحتم علينا أن ننفق أموالاً أقل؟ أيجب أن نعطى أصواتنا للمرشح "س" أو "ص"؟ يقول "هاى روتشليس": طالما أن الحقائق مرغوب فيها لتكوين الآراء، فلا بد لنا من عدة مصادر ملائمة نحصل منها على تلك الحقائق.. ونقوم الصحف والمجلات والكتب والإذاعة والتلفزيون بهذه المهمة، فضلاً عن أن الناس إلى حد ما يحصلون على الحقائق من طريق مباشر، وذلك بالسفر إلى الخارج. كما أن أعداد السياح الأجانب المتزايدة تعتبر مصادر هامة من مصادر المعلومات التى تؤثر فى تشكيل الآراء.

على أن النقاد يلاحظون أن الوسائل المختلفة الآراء مازالت تقتصر إلى الكثير الذى ييسر لها أداء عملها على أكمل وجه.

(١) وليام ويفرز وآخرون: وسائل الاعلام والمجتمع الحديث ترجمة د. إبراهيم لملم للقاهرة، ص ٢٥٧.

وفى ذلك تأكيد لوظيفة المقال التحليلى فى الصحافة المعاصرة، بهدف إتاحة الفرصة أمام القارئ ليفحص مصادر المعلومات بعين ناقدة. ولنتبين أبعاد هذه الوظيفة النقدية للمقال التحليلى. علينا أن ننظر إلى النظام الاقتصادى الذى أصبح عمله متوقفاً إلى درجة كبيرة، على سلوك المستهلك .. وكما يقول "جون كينيث جالبريث" فى كتابه: "الدولة الصناعية الجديدة": "من الصباح الباكر وحتى الليل المتأخر، يحاط الناس علماً بما تؤديه السلع من خدمات، وعن ضرورتها الشديدة لهم، وتدرس كل ملامح المنتجات وأوجهها كافة لمعرفة نقاط الترويج فيها، ثم توصف وصفاً تستخدم فيه الموهبة والوقار، ويعبر عنها باهتمام عميق على أنها مصدر للصحة والسعادة والنجاح الاجتماعى، أو علو المكانة فى المجتمع.. وحتى الصفات الفرعية للسلع غير المهمة تلقى من التضخيم الجاد. أما الخدمات الأهم من ذلك، مثل مزايا "الغسيل الأكثر بياضاً"، فإنها تعالج بطريقة أشد وقاراً مما يتناسب معها".

إن تعقد الحياة فى هذا العصر، والتقدم فى المواصلات وما أذى إليه من تقلص العالم، وكذلك تطور وسائل الاعلام الذى وسع آفاق الشخص العادى - كل ذلك قد أفسح مجال الرأى - أو كما يقول "ريفرز": فهل يتشدد الآباء فى التربية أم يتسامحون وهل تتوقف تجارب الأسلحة الذرية، وهل يسمح لشيوعى بأن يقوم بالتدريس؟ وماهى السياسة التى يجب أن تنتهجها حكومتنا تجاه دولة أخرى؟ وهل تكون التعريفات الجمركية مرتفعة أم منخفضة؟ وماذا ينبغى أن تفعله الحكومة لكى تساعد الفلاح؟

ومادام الإنسان المعاصر مطالباً باتخاذ عدد متزايد من القرارات، فقد كثر عدد الذين يتوقون لمساعدته على اتخاذ القرار الصحيح من وجهة نظرهم.. فالمصلحون يحثونه على تأييد قضاياهم، وكتّاب المقال، والدعاة يطلبون منه مشاركتهم فى الرأى، والمؤسسات الخيرية تريد منه أن يدعمها فى عملها، ورجال الإعلان وخبراء العلاقات العامة يريدون منه مجاملة زبائنهم، والسياسيون يطلبون صوته، وكل واحد منهم يطلب منه قراراً لصالحه.

يتضح هذا المعنى حين ندرس وسائل الاعلام فنرى أنها نفسها تحتوى على ثلاثة أنواع رئيسية من المضمون الاقناعى:

أولها: الدعوة المقصودة، كالمقالات الافتتاحية، والرسوم الكاريكاتورية، والأعمدة والمقالات التفسيرية التي تؤدي بالقارئ إلى الوصول إلى استنتاج.

وثانيها: ذلك المضمون الذي يراد به، أساسا، الترفيه أو الإعلام بحيث يكون الاقتناع منتجا فرعيا محتملا.

وثالثها: الاعلان: وهو الذي نتوقف عنده الآن، لنقول مع "رسل" إن الدارس الجاد لسيكولوجية الإقناع لا يجد له أمراً أفيد من استشارة شركات الإعلان الكبرى" وليس من محك أصدق من محك المال، فإذا كان شخص على استعداد لأن يؤيد عقيدته بدفع المال من أجلها، فقد وجب اعتبار عقيدته مخلصه. وهذا هو نفس المحك الذي يستخدمه المعلن باستمرار. فإن أنواع "الصابون" تمتدح بطرق شتى.. وتؤتى بعض هذه الطرق الثمرة المرجوة، ولا تؤتى بعضها ثمرة، أو على الأقل لا تؤتيها بنفس الدرجة. ومن الواضح أن الاعلان الذي يتسبب في بيع صابون أحد الناس، أفعال في خلق الاقتناع من الذي لا يتسبب .. إلى أن يقول "رسل": ولست أظن أن أى معلن مدرب يزعم بأن مزايا نوعى "الصابون" كان لها أى أثر في إحداث النتيجة، إن أموالا باهظة تنفع لمن يبتكر إعلانات حسنة، وهو بهذا جدير .. لأن المقرة على جعل أعداد كبيرة من الناس تصدق ما توكده هي مقرة قيمة جدا. ويبدو أنه على ضوء فن الإعلان يمكن أن يستنتج أنه عند غالبية الناس الساحقة، تصدق أية قضية إذا كررت على نحو يثبتها في الذاكرة .. فمعظم ما نصدقُه إنما نصدقُه لأننا سمعناه مؤكداً، ولسنا نذكر أين أكد ولماذا؟ ولذا نعجز عن النقد حتى لو كان التوكيد قد قام به منتفع بتصديقنا، وحتى لو كان القول غير مؤيد بأي دليل، لذلك فإن الإعلانات كلما اكتمل فنّها مالت تدريجيا عن أسلوب الجدل، وقصرت همها على الاستثارة، ومادامت تحدث تأثيرا فإنها تتجح في تحقيق الغاية التي تنشدها.

وإذا نظرنا إلى الإعلان علميا، وجدنا أن له ميزة كبرى - هي أن أثره - كما تدل أرباح المعلنين - من الآثار الجماعية؛ لا الآثار الفردية. لذلك فإن ما يكتسب منه من معلومات إنما يتعلق بسلوكية الجماعة. فالإعلان إن ذو قيمة لا تقدر

فى دراسة الجماعة لا الفرد. ومن أسف أن غايات الاعلان عمليّة أكثر منها علميّة.. ويقترح "رسل" إجراء التجربة التالية للأغراض العلميّة: افرض أن نوعين من "الصابون": أ ب قد صنعا وكان (أ) صنفا ممتازا، وكان (ب) صنفا رديئاً، وافرض أن (أ) قد أعلن عنه بذكر تركيبه الكيميائى وبشهادة كبار الكيميائيين، وأن (ب) قد أعلن عنه بمجرد القول بصور أجمل نجوم "هوليود".. فلو كان الإنسان حيوانا عاقلاً، لبيع من (أ) أكثر مما يُباع من (ب) .. لكن هل يظن أحد حقاً أن هذا هو ما سيحدث؟!

أدرك الساسة مزايا الاعلان تمام الإدراك كما نجد لدى الحكومة السوفييتية سابقاً ونظريتها الشيوعية .. وآمن "هتلر" بأن الدعاية وحدها كفيلة بأن تحرك الجبال وتحيل الأسود أبيض .. وهذا تقدير خاطئ لقيمة الدعاية كوسيلة من الوسائل التى تستخدمها الحكومات والأحزاب كسلاح من أسلحة الحرب والنزال.

ولذلك اكتسبت كلمة "الدعاية" Propaganda معنى سيئاً؛ نظراً لأن بعض الذين استخدموها كانوا نوى غايات مغرضة، فى حين أصبح "الصدق" مرتبطاً بمصطلح "الإعلام" .. وهذا الصدق الإعلامى هو الذى تكتسب التجارب وحدها على صحته.

ولكن كيف يستطيع الإنسان المعاصر التمييز بين "التحريف" الدعائى والإعلاني، وبين "الصدق" الإعلامى؟! ولا سيما أنه محاصر بوسائل متعددة قد لا تستخدم كما يجب وقد يساء استخدامها، وقد يبالغ فى استخدامها كما يحدث عندما تكون العواطف التى يراد استمالتها أقوى مما قدر موجهو الدعاية؟!

يقدم لنا الأستاذ "روتشليس" Hy ruchlis مقارنة بين صحيفتين؛ نعرض لها فى هذا السياق، تأكيداً للوظيفة "التعادلية" فى المقال التحليلى، حماية للإنسان المعاصر من التضليل الدعائى والتحريف المقصود فى وسائل الاتصال بال جماهير. يقول: "فلنفحص الوسائل التى تستخدمها بعض هذه المصادر لتكوين الرأى العام. لقد اخترنا للدراسة ما نشرته صحيفتان تصدران فى مدينة معينة فى الأسبوع السابق لانتخاب رئاسة الجمهورية فى الولايات المتحدة عام ١٩٦٠، وسنرمز إلى إحدى الصحيفتين بحرف (ك) لأنها كانت تؤيد كيندى، ونرمز إلى الصحيفة الثانية بالحرف (ن) لأنها كانت تؤيد "نيكسون". إن التحليل الدقيق للصحيفتين قد أظهر الفروق الأتية بينهما فى معاملة المرشحين:

خصصت الصحيفة (ك) مساحة كبيرة من صفحاتها الأولى، والصفحتين الثانية والثالثة بكاملهما عن قرض قدمته شركة طيران لشقيق نيكسون، وبالرغم من أن الصحيفة (ك) لم تجد أية صلة بين هذا الموضوع وبين نيكسون نفسه، إلا أنها جعلت هذا الموضوع خبرها الأساسي لعدة أيام، ووضعت له عناوين كبيرة كهذه:

الكشف عن اتفاق لحماية المسئولين عن قرض "هيوز" - نيكسون

(لاحظ أن هذا النبأ لا يشير إلى المرشح بل إلى شقيقه)

شريك نيكسون الرئيسى هو مستشار "هيوز"

مجلس النواب يبحث فى قرض "نيكسون" (لم يتحقق هذا تماما).

إن لدينا الحقائق عن المحسوبية بالنسبة "لهيوز"

وفى نفس الوقت لم تنتشر الصحيفة (ن) كلمة واحدة عن القرض، ولكنها بدلا من ذلك نشرت صورة باسمة للرئيس "إيزنهاور" ونيكسون على الصفحة الأولى لمدة أربعة أيام خلال الأسبوع، وكانت العناوين الرئيسية كالآتى:

أيك (إيزنهاور) هنا

مؤتمر حافل لأيك ونيكسون

أيك ينضم إلى نيكسون فى زحف كبير اليوم

الحفاوة بأيك ونيكسون

ومن الناحية الأخرى تجد أن الصحيفة (ك) فى الأيام التى لم تنتشر فيها فى صفحاتها الأولى عنوانا رئيسيا يهاجم "نيكسون" بشأن القرض - قد نشرت عناوين مؤيدة "لكينيدى". وفى كل من الصحيفتين كانت المقالات فى الأغلب فى صالح المرشح الذى تؤيده وضد منافسه وإن تكن بعض التى نشرت فيهما محايدة نسبيا، وحتى الأخبار الصغيرة بُولغ فى أهميتها، فمثلا نشرت الصحيفة (ك) مقالا عنوانه:

كان نثار الورق يقدم دون مقابل - ولكن من الذى دفع الثمن؟

ويظهر أن نثار الورق كان قد وزع دون مقابل على سكان المنازل الواقعة على جانبى الطريق الذى كان "نيكسون" وإيزنهاور سيمران به، وقد خصص لهذه المسألة التافهة جزء كبير من فراغ الصحيفة.

وأما الجريدة (ن) فقد أجرت استفتاء خاصا من بيت إلى بيت فى كل أنحاء الولاية، وقد ضايقها ما ظهر لها من أن كفة "كندى" هى الراجحة. ولهذا فإن نبأ هذا الاستفتاء قد جرى تحويله للتخفيف من وطأته، فكان العنوان يوماً ما:

استفتاء اليوم فى إقليم "جوب" يدل على أن ثلاث مقاطعات تؤيد "نيكسون"

ألم يكن هذا طبيعياً ومنتظراً فى إقليم "جوب" الجمهورى؟

وفى مناسبة أخرى كانت الصحيفة (ك) بصدد استفتاء آخر جاء مؤيدا تأييدا كبيرا "لكيندى" فحورت الخبر إلى سباق متكافئ بين المرشحين بعنوان:

النتيجة ٢:٣ فى نيوا إنجلاند

واتضح بعد القراءة الفاحصة للمقال أن الولايات الثلاث المؤيدة "لكيندى" تملك ٢٨ صوتا انتخابيا، أما الولايات الثلاث المؤيدة "لنيكسون" فلا تملك إلا ١٢ صوتا انتخابيا.

وكان العنوان الرئيسى فى يوم آخر: مقاطعة لاوثن تؤيد كيندى، ولكن نيكسون يكتسح الولاية، وقد اعتمد الجزء الأخير من هذا العنوان على أن نسبة الأصوات المؤيدة لكيندى قد انخفضت فى ذلك اليوم من ٦٥.٢٪ إلى ٦٥.١٪ وهو انخفاض يكاد لا يؤبه له. وفى اليوم التالى ارتفعت نسبة "كيندى" إلى أكثر من ٦٥.٢٪ الأصلية، ولكن هذه الصحيفة لم تجد أن هذا الارتفاع جدير بالتفاتها.

وقد استغلت الصور فى كل من الصحيفتين بعدة وسائل، فنشرت الصحيفة (ك) صورا أكثر "لكيندى"، وهى دائما باسمه، وصورا قليلة "لنيكسون"؛ ولم يكن تعبير وجهه فيها مما يسر. وفعلت الصحيفة (ن) عكس هذا بالضبط.

أما عن "المقالات الرئيسية الافتتاحية" فيقول "روثشليس":

وفى الصفحة المخصصة للمقال الرئيسى أُنيت كل جريدة مرشحها وهاجمت منافسه، فمثلا هاجمت الصحيفة (ك) "نيكسون" لأنه لم يوافق على مناظرة خاصة بينه وبين منافسه فى التلفزيون، (رغم أنه سبق أن أجرت أربع مناظرات)، وسخرت الجريدة من نيكسون لتأييد "إيزنهاور" له وعرضت الموضوع بشكل يوحي أن "نيكسون" كالولد الصغير يتلقى العون من أبيه.

وفى نفس الوقت تساءلت الصحيفة (ن) عن مدى صلاحية "كيندى" لرياسة الجمهورية بالنظر الى مرضه، وطالبته بأن ينشر تقريراً طبياً بشأن إشاعة مؤداها أنه كان قد أصيب بمرض "أديسون" (مرض من أمراض فقر الدم). ولكى تظهر الجريدة بمظهر عدم التحيز طالبت بتقرير مشابه عن حالة ساق نيكسون، وكانت قد حدثت لها إصابة خفيفة قبل ذلك ببضعة أسابيع. ونشرت الجريدة أقوالاً طويلة لشخص مجهول تماماً من أنصار "كيندى" السابقين بين فيها لماذا عدل عن تأييد "كيندى" واتجه الى "نيكسون" وهاجمت الجريدة أنصار "كيندى" بمثل هذه العبارات:

إن "كيندى" مجموعة ممتازة من الأصدقاء المقربين، ولنا نغنى بصفة خاصة فرائك سيناترا و(جماعة الفران) فإن مثل هؤلاء الأصدقاء سيؤيّد السمعة أكثر مما هم خطرون

ترى ماذا كانت الجريدة تقول لو أن "سيناترا" كان مؤيداً "لنيكسون"؟! وهناك مقال افتتاحي ذو أهمية خاصة يفهم منه أن مؤيدى "كيندى" يعملون على إيجاد حالة من الكساد حتى ينفض الناس عن "نيكسون" وحكومته. وهو مقال نخرج منه بدروس هامة متصلة بالتفكير.

"سارت الرسوم الهزلية فى كل من الصحيفتين على نفس النهج: فذات يوم نشرت الصحيفة (ك) صورة لرجل سمي (الولايات المتحدة) راقداً على الأرض بعد أن صدمته وداست عليه سيارة يقودها "إيزنهاور" و"نيكسون"، ويحاول "كيندى" الطبيب أن يعين ضحية الحادث على الوقوف فى حين ينظر كل من إيزنهاور و"نيكسون" غاضبين.

ومن الناحية الأخرى نشرت الصحيفة (ن) رسماً هزلياً يمثل حماراً كتب عليه (التضخم السريع) يحمل على ظهره ثلاثة أشخاص يدلّ منظرهم على الغباء، وقد كتبت عليهم أسماء "كيندى" وبعض مؤيديه.

واضح من هذا كما يقول الأستاذ "روتشليس" أن كلا من الصحيفتين كانت تحوّر أنبأها وآراءها بشكل واضح تأييداً للمرشح الذى تتأصّره، وهجوماً على المرشح الذى تعارضه.

أكان قراء الصحيفتين يدركون هذا التحيز أو الانحراف؟ لا شك أن بعض القراء كانوا مدركين. وعندما تدافع صحيفة ما بقوة عن موضوع يعارضه عدد

كبير من القراء فهي تخاطر بأن تخسر بعضاً منهم. وحين نتساءل عن أسباب القراءة الصحفية؛ نجد أن الناس يشترون الصحف لعدة أسباب؛ تشمل:

الاطلاع على أخبار الرياضة والهزليات والصور والمقالات وبرامج التلفزيون وإعلانات المحال التجارية فضلاً عن الأنباء. وأحياناً تكون الأنباء من أقل محتويات الصحيفة اجتذاباً للقراء. ولهذا فإن عدد القراء الذى ينتظر أن تفقده الجريدة لمعارضته لموقفها من مسألة معينة ليس بالكبير.

وليس لدى معظم الناس الوقت أو الميل للقراءة الناقدة، أو المقارنة بين الصحف المختلفة؛ كما فعل "روثسليس". ولهذا فإن الناس يميلون إلى أن يقبلوا ما يقرءون، ولهذا فإنه يحتمل أن تؤثر الصحيفة فعلاً فى الناس فتجعلهم يعطون أصواتهم ويتصرفون ويفكرون كما يشاء لهم المحرر أو الناشر.

لماذا يقبل القراء هذا النوع من التحرير؟! إن الإجابة تتلخص فى قول "روثسليس" : لاشك أنك توافقنى على أنه إذا اعترض القراء بشدة على مثل هذا التحرير فإن الصحيفة تقلع عنه أو على الأقل لا تقعه بشكل ظاهر، ولكن الواقع أن الكثير من الناس يعتقدونه، حتى أنه يصبح شيئاً مألوفاً لديهم كالهواء الذى يستنشقونه، وأما غيرهم فإنهم لا يدركون قط أن هناك أى تحوير.

ويحدث مثل هذا التحوير أو التحيز فى كل خطبة أو مقال تقريباً بشأن موضوع يختلف عليه الناس، ولا يمكن تجنب هذا التحيز، لأن الناس بطبيعة الحال سيؤيدون ما يعتقدون أنه خطأ. ولا تزال الشقة بعيدة بيننا وبين عالم يستطيع كل إنسان فيه أن يفحص جميع الجوانب لمسألة معينة ويصل إلى نتائج موضوعية، ويصل كل شخص إلى الحكم على النتائج على أساس اهتماماته وقيمه ومعتقداته.. فالرجل الذى يدخل ولا يملك سيارة سيفضبه فى الغالب فرض ضرائب على "السجائر" وسيؤيد زيادتها على "البنزين". والسيدة التى تقطن منزل لا تقرر هدمه لشق طريق اشتدت الحاجة إليه، ستعارض هذا الإجراء بشدة، وستجد أسباباً مقنعة لأن يخرق الطريق حياً آخر بدلاً من الحى الذى تقطنه. فى حين ترى سيدة أخرى تعيش على بعد ميل واحد من السيدة الأولى أنه شئ عظيم جداً أن يُشَقَّ فى وسط المدينة طريقٌ مستقيم.. ووالد لثلاثة أطفال فى سن الالتحاق بالمدارس سيؤيد بشدة إنفاق المزيد من المال على المدارس، فى حين يحتمل أن يعارض الأعزب فى فرض ضرائب جديدة لهذا الغرض.

والمفروض في الدول الديمقراطية أن تحاول الجماعات المختلفة من السكان أن تصل لحلول سلمية لما بينها من منازعات عن طريق المناقشة، وآخر الأمر عن طريق التصويت لانتخاب ممثلين ينفذون إرادتهم .. ولهذا فإنه من الضروري لكل مواطن أن يكون يقظا منتبها إلى الأساليب التي تقدم بها المعلومات بحيث تشكل وجهة نظره وتؤثر فيها.

فما هي هذه الأساليب التي تتخذ للتأثير في الرأي العام؟

إن أهم هذه الأساليب، ذلك الأسلوب الذي يعتمد على الحقائق الناقصة، تطلق "روتشليس" عليه تسمية مأخوذة من لعبة الورق وهي: (توضيب الورق للغش به) Card-Stacking، فالمقامر يحتال ليكسب بأن يرتب مقدما أوراق اللعب التي في صالحه بحيث تكون أوراقه في دور ما جيدة جدا وفي دور آخر رديئة جدا، وعندئذ نقول: إن أوراق اللعب كانت (مرضية).

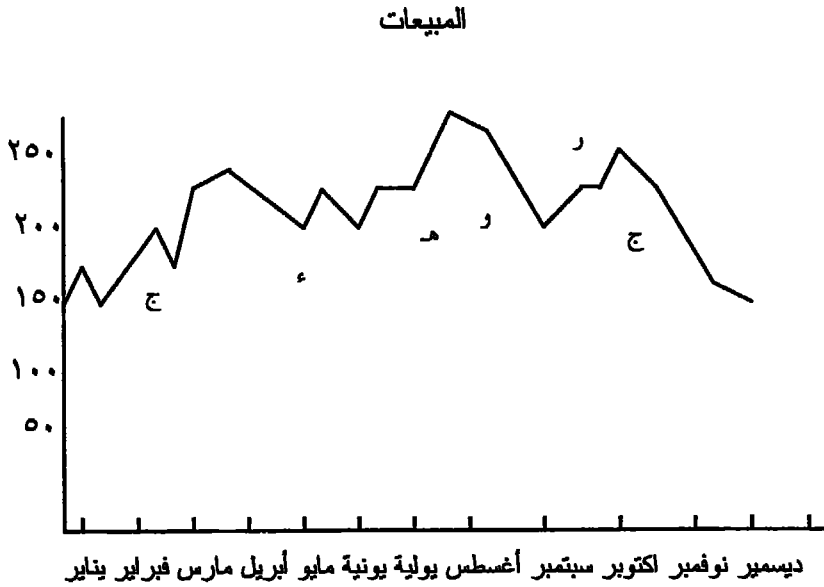
"ويمكنك أن تتصور المسألة بالشكل الآتي:

لنفرض أنك تريد أن تثبت لشخص ما لم ير أوراق اللعب في حياته أن الشدة (مجموعة أوراق اللعب) تتكون من الأسات والباشات (الشباب) والبنات والأولاد دون غيرها، يمكنك بسهولة أن (تثبت) له ذلك بأن ترتب عدة شذات من أوراق اللعب تحوى هذه الأوراق دون غيرها وترتيبها له، وبالطبع إذا كان هذا الشخص الذي تحاول خداعه يعرف الحقائق الناقصة، ويعرف أن أوراق اللعب (مؤشبة) فإنه لن يقتنع بكلامك بتاتا، بل لعله يغضب أشد الغضب لمحاولتك خداعه.

والواقع أن طريقة "توضيب الورق" هي أسلوب يرغم به الشخص ضحاياه على التسرع في الاستنتاج، لأن هناك حقائق أساسية أخفيت عنهم، وكثيرا ما يكون الإخفاء غير مقصود، ولكنه يكون مقصودا في حالات أخرى.

ولقد رأينا كيف استخدم هذا الأسلوب بواسطة الصحيفتين (ك) و(ن) أثناء معركة انتخاب رئيس الولايات المتحدة، فكل منهما نشرت قدرا كبيرا من الأنباء التي في صالح مرشحها، وقدرا كبيرا من الأنباء التي ليست في صالح منافسه، كما أن مثل هذه الأنباء نشرت في أماكن بارزة في كل صحيفة.

وعندما تستغل هذه الطريقة إلى أبعد حدودها، تستطيع الصحف المختلفة أن تصل بقرائها إلى نتائج متعارضة تماماً على أساس معلومات حقيقية ولكنها ناقصة. فمثلاً في الشكل التالي رسم بياني عن النشاط التجاري في سنة ما، ولكي "يثبت" أن



الأحوال المالية في تقدم، قدم الحقائق أثناء الفترات ج، هـ، ز فقط، ولكي "يثبت" أن الأحوال في هبوط قدم الحقائق في أثناء الفترات د، و، ح دون غيرها.

فالمصحفة (أ) تريد أن تسئ إلى سمعة الإدارة الحكومية، ولهذا ففي كل مرة يقل فيها النشاط التجاري في (د، هـ، ز) تطبع هذه المعلومات وتنتشر في مكان بارز تحت عنوان كبير في هجوم على الحكومة، ومن الناحية الأخرى نجد أن المصحفة (ب) المؤيدة للحكومة لا تنتشر أخباراً عن النشاط التجاري إلا في الفترات (ج، هـ، و). وهكذا "يثبت" إحدى المصحفتين أن النشاط التجاري يتحسن، و"يثبت" الأخرى أنه يزداد سوءاً!! والواقع فعلاً أن النشاط التجاري قد يكون في تحسن، أو قد يكون سائراً إلى الأسوأ، وقد يكون ثابتاً على ما هو عليه، ولكي نحصل على صورة حقيقية لابد من فحص الموقف كله خلال فترة من الزمن.

وتستطيع كل من الصحيفتين أن تدّعي أنها لم تنشر إلا الحقائق. ومع ذلك فإن القراء يصلون إلى نتائج متعارضة تماما، فبغير معرفة الحقائق الناقصة يظلّ القراء عاجزين عن إصدار أحكام سليمة، ولهذا فقد نسمع جارين متواتين يتناقشان بحدة وعنف في الحقائق، ويظن كلّ منهما أن الآخر إنسان أحمق.

وتلعب العناوين دورا على جانب كبير من الأهمية فى هذه العملية، فالمفروض أن العنوان يلخص قصة الخبر، ويبين للقارئ هل الخبر يتصل بموضوع يهمه أم لا..؟ فما الذى يجب على كاتب العناوين أن يختاره ويبرزه من المقال؟ إن آراءه الخاصة وآراء المحرّر والناشر تكخل مباشرة فى الصورة، فهم سيختارون ما يعتقدون أنه صحيح، وأنه على جانب كبير من الأهمية.

فمثلا إليك خبرا مختلفا .. ما هى العناوين التى يمكن أن توضع له؟

"توقش فى قاعة مجلس المدينة أمس الاقتراح المقدم من العمدة" بوتر بشأن بناء المدرسة الجديدة.

وقد هاجم "فرانك كارتر" رئيس جمعية سكان شارع "سنيكا" هذا الاقتراح هجوما عنيفا لأن فيه إهدارا لحقوق نحو مائة ساكن ستهدم مساكنهم لإفساح مكان للمدرسة، وأعلن أن هناك أرضا فضاء واسعة فى الطرف الشرقى من المدينة، وأن تكاليف بناء المدرسة على هذه الأرض الفضاء أقل بكثير ولن يفقد أحد بيته، وقال إنه لمن العار أن يتقدم العمدة بهذا الاقتراح.

وتبعته "مسز أمى شنايدر" رئيس جمعية معلمات المدارس الابتدائية فقالت: إن المستر كارتر يعلم جيدا أن أطفالنا لا يمكنهم أن يمشوا ميلين كلّ يوم للوصول إلى الطرف الشرقى من المدينة، وتساءلت عما إذا كان مستعدا أن يدفع أجور السيارات التى ستلزم لنقل ستمائة طفل كل يوم وختمت أقوالها بأن قالت: إن هذا اقتراح سخيف"

وإليك الآن بعض العناوين التى يمكن أن توضع لهذا الخبر البسيط.

- الهجوم على اقتراح العمدة باعتبارة اقتراحا مخجلا.

- "كارتر" يوصف بالسخف.

- مائة ساكن ينقلون من مساكنهم.

- اقتراح بناء مدرسة جديدة لستمائة طفل.
- "كارتر" يقترح أن يمشى صغار الأطفال مليون.
- "شنايدر" يهاجم "كارتر".
- هجوم على العمدة.
- مناقشة اقتراح بناء مدرسة.

إن العنوان الأخير (مناقشة اقتراح بناء مدرسة) عنوان موضوعي تماما يستحق مزيدا من الاهتمام: فكم من الناس - فيما عدا أولئك الذين يهتمون اهتماما خاصا بالمدارس - سيدعوهم هذا العنوان إلى قراءة الخبر؟ إن العنوان خال تماما من عنصر التشويق مما سيدفع الكثير من القراء إلى إغفال الخبر ليقرأوا شيئا أكثر تشويقا. وهكذا نجد أن إحدى الوسائل التي تلجأ إليها الصحف لتدفن الخبر هي أن تعطيه عنوانا مملا جافا بحيث لا يقرؤه إلا القليلون من الناس.

ويذكر "روتشليس" وسائل أخرى "لتوضيب الأوراق" - على حد تعبيره -: فمثلا يستطيع محرر الجريدة أن يعهد إلى أحسن كاتبه بأن يعالج قصة خبر يريد أن يبرزه، وأن يكلف محررا ناشئا قليل الخبرة بأن يعالج وجهة النظر المعارضة. وهكذا، حتى لنقول مع "روتشليس" إن معظم الناس، بما فيهم الكتاب والمحررون ومعلقو الإذاعة وغيرهم ممن يشكلون الرأي العام، كثيرا ما يجهلون أنهم يمارسون هذه العملية - عملية التوضيب. إن لهم آراءهم الخاصة التي يعتقدون في صوابها، وهم كغيرهم من الناس يميلون للاعتقاد أنهم يعرفون الحقائق، وأن معارضيتهم لا يعرفون. والنتيجة أنهم حتى لو حاولوا أن يكونوا منصفين فإنهم يميلون ميلا شديدا إلى الكتابة والتعليق على الحقائق كما يرونها، وأن يتغاضوا عن الأنباء المحبذة لأرائهم، إذ يعتقدون أنها متحيزة ولا يمكن الاعتماد عليها.

ولا يدرك الناس عادة "عملية التوضيب" هذه حتى عندما يتأثرون بها أشد التأثير، فكل شخص مجموعة محددة من الخبرات في البيئة الخاصة التي يشب فيها، وهو يحمل هذه المجموعة من الخبرات معه أينما ذهب، ويعيش كل شخص وكل شئ على أساس هذه الخبرات الماضية. ولهذا فإن كل إنسان يقوم بهذه العملية - "عملية التوضيب" - في عقله.

وهكذا يلعب القارئ (أو المستمع) دورا في عملية "التوضيب"، فهو يختار ما يعتقد أن قراءته هامة، أي الأشياء التي يهتم بها، ويهمل الباقي، ونتيجة لما يحدث

فى عقول الكتاب والقراء والمحاضرين والمستمعين من انتقاء واستبعاد؛ تنمو أفكار معينة وتكون لنفسها جذورا ثابتة، وتميل هذه الأفكار فيما بعد إلى تثبيت نفسها بأن تقرر ما يختار للقراءة من الأخبار وغيرها من المواد المكتوبة، وهكذا تقوى باستمرار تلك الأفكار المألوفة لنا والتي نميل إليها ونرفض الأفكار التى نكرهها أو الأفكار التى ليست مألوفة لنا. وهكذا قد يشب شعب بأسره معتقاً أفكاراً مشوهة، تشويهاً كبيراً عن غيره من الشعوب وعن الأحداث البعيدة.

ويحدث نفس الشيء عندما يتحدث الناس عن أقاربهم ومدارسهم وأصدقائهم والمدينة التى يعيشون فيها والحزب السياسى الذى ينتمون إليه أو أى مظهر آخر من مظاهر حياتهم.

ومن الأساليب الشائعة "لتوضيب الورق" التى يقدمها روتشليس: اقتباس عبارة وانتزاعها من السياق، الذى وردت فيه، تأمل هذه المقطعات من تعليق على أحد الأفلام :

"تقول مجلة (ترند) إن هذا الفيلم "رائع" وإن فيه من المواهب ما يساوى ملايين الدولارات... أحداثه واقعية بشكل ممتاز... تصويره بلغ القمة... مناظره رائعة"

ويؤخذ من هذا أن مجلة (ترند) قد علقت على هذا الفيلم تعليقاً يفيض بالإعجاب والحماسة، ولكن لعل ما ذكرته المجلة هو الآتى:

"إن هذا الفيلم رائع، إذ أنه يوضح لنا كيف تستطيع "هوليوود" أن تجمع من المواهب ما يساوى ملايين الدولارات، وأن تخلق أحداثاً واقعية بشكل ممتاز وأن تستخدم مصورين بلغوا القمة ليصوروا مناظر رائعة ثم تضيع كل هذا فى قصة تافهة هزيلة، حتى لقد اضطررنا إلى مغادرة السينما فى وسط العرض".

إن العبارات التى انتزعت من سياقها تترك أثراً مضاداً على طول الخط للأثر الذى قصد إليه كاتب التعليق، ومع هذا فإن الشخص الذى انتقى هذه العبارات يستطيع أن يدعى أنه لم يفعل شيئاً سوى أنه اقتبس ما ورد فى التعليق، فهو لم يأت بأية كلمة أو عبارة من عنده.

إن هذه الطريقة هي أساسا أحد أساليب "التوضيب". لأن منتقى المقتطفات لا يختار من الألفاظ والعبارات إلا ما يلائم غرضه، ويستبعد تلك الألفاظ والعبارات التي لا تساعد على تحقيقه.

وفى المثال السابق نلاحظ أن المفردات والعبارات قد انتزعت من سياقها لتكوين الأثر الزائف المطلوب. ويحدث أحيانا أن تقتبس جمل كاملة أو فقرات، بل فصول كاملة لتترك آثارا تختلف تماما عما قصد منها.. تأمل على سبيل المثال العبارة الآتية التي ذكرت في مناسبة انتخاب عمدة لإحدى المدن:

"بعد أن استعرض" وليام س. بفورد" مدير كلية "كاتالبا" مؤهلات المرشحين لمنصب العمدة قال: أعتقد أن "هود كنز" رجل أمين، وأنه مملوء غيرة على ما فيه صالح المدينة."

"ونحن نوافق على هذا، ولهذا فإننا ندعوك إلى أن تعطى صوتك الى "هودكنز" عندما تدخل قاعة الانتخابات غدا".

ويخيل إلى الانسان أن ماذكره "بفورد" يؤيد تماما انتخاب "هود كنز"، ورغم هذا فربما كان "بفورد" قد قال:

"أعتقد أن "هودكنز" رجل أمين وأنه مملوء غيرة على ما فيه صالح المدينة، وإن مدينتنا لفي حاجة إلى هذه الصفات فيمن يتولى عديتها. ولكنها تحتاج أيضا إلى رجل بعيد النظر واسع الخيال يملك الشجاعة الكافية للدفاع عن الأفكار الجديدة. وبغير ذلك فسيستمر هروب المصانع من مدينتنا وستزداد أحياءنا الفقيرة اتساعا ويتطرق الفساد إلى مدارسنا. وإنى أعتقد أن "كريتون"، يملك هذه الصفات ولهذا فإننى، أوصى إخوانى.. المواطنين بأن ينتخبوه عمدة".

ويخلص "روتشليس" من هذا المثال إلى القول بأن أولئك الذين يتصفون بالموضوعية وعدم التحيز؛ هم أكثر الناس تعرضا لأن يكونوا ضحايا مثل هذا الاقتباس المنتزع من سياقه..، ذلك أنهم يميلون إلى أن يفحصوا وجهى المسألة، وأن يعلقوا تعليقا محبذا لبعض نواحي وجهة النظر التي قد يعارضونها فى جملتها، وعندئذ يكون من أبسط الأمور على منافسيهم أن ينتزعوا تلك العبارات المحبذة من

السياق الذى وردت فيه. أما إذا لم يذكر شئ مَحَبَّذ بصدد الآراء المعترض عليها فإن الاقتباس يكون عندئذ عسيرا أو مستحيلا بغير تغيير الأنفاظ. وبعبارة أخرى فإن الشخص الذى يتوقع أن يقوم الآخرون بالاقتباس منه اقتباسا منتزعا من السياق قد يضطر اضطرارا إلى "توضيب" عباراته. وهذا يفسر ما نلاحظه من تحيز واضح فى معظم الخطب التى تلقى أثناء المعارك السياسية.

ومما يساعد فى تجنب آثار هذه الوسيلة أن نتخذ موقف الناقد المدقق إزاء الاقتباسات بصفة عامة، فيجب ألا ينظر إليها باعتبارها ممثلة تماما لما قاله الشخص المنقولة عنه، كما يجب أن يتذكر القارئ دائما أن العبارة المقتبسة ربما كانت قد انتزعت انتزاعا عن السياق، وأن الأصل الذى انتزعت منه قد يكون مختلفا عن العبارة المقتبسة اختلافا كبيرا، بل قد يكون مخالفا لها تماما.

وربما كان من المتعذر على الناس أن يتجنبوا هذه العملية (عملية التوضيب) تجنباً كاملاً، ولكن يمكن التقليل من أثرها فى تفكيرنا إلى حد كبير إذا فهمها الناس وأدركوا كيف يحدث أثرها، كيف يستطيع الإنسان العادى أن يقلل من أثر هذه العملية؟ يجب عليه أولاً أن يدرك أنها صفة تلازم - إلى حدما - معظم الناس، ومعظم الصحف والمعلقين ومصادر الأنباء، ولكن بعض مصادر الأنباء تسرف فى استخدام هذه الوسيلة، على حين يبذل بعضها الآخر جهداً ليكون نزيهاً محايداً. ثم يقول "اروتشليس": وعندما نقرأ صحيفة لاحظ ما إذا كانت الصحيفة تعرض الآراء المتعارضة حتى يستطيع القارئ أن يصدر أحكاماً أقرب إلى الصواب، إن بعض الصحف تنشر مقالات وخطباً لأناس يعتقدون آراء متباينة فى الموضوع الواحد، وبعضها الآخر لا ينشر من المقالات إلا ما يؤيد آراء رئيس التحرير، لاحظ أيضاً هل تكتب المقالات بشكل موضوعى يقدم الحقائق أم أنها تصاغ بأسلوب صحفى خاص يقصد منه التأثير فى تفكير القراء؟ ومن الواضح أنه من الصعوبة بمكان أن تحدد مقدار الموضوعية فى صحيفة ما.. ولكن بعض الجهد يجب أن يبذل فى هذا السبيل.

ومن المهم أن نقرأ وأن نستمع إلى عدة مصادر مختلفة للأنباء، وبهذه الطريقة يمكننا أن نحصل على الحقائق الأساسية الناقصة المتصلة بالنواحي المختلفة لموضوع ما.

ويجب أن يحتفظ الإنسان بعقله مفتوحاً حتى يمكنه أن يتأمل الحقائق من كلا الجانبين. فليس مما يعيننا فى الوصول إلى أحكام أن ننظر إلى وجهتى نظر

متعارضتين بعد أن نكون قد كونا رأينا من قبل، فإن من يفعل ذلك سيوافق على ما يعتقد فيه ويرفض ما سبق له أن قرر خطأه أو فسادَه. إن عالمنا الحديث معقد أشد التعقيد، وإن أفكار الناس عن العالم والأحداث التي تقع فيه ناقصة جداً، وتطراً التغيرات بسرعة كبيرة. ولهذا فقد يحدث أن الأفكار التي كانت مكروهة من الناس منذ بضع عشرات من السنين تصبح مقبولة بل ضرورية اليوم. كما أن الآراء التي كان يظن فيما مضى أنها صالحة للتطبيق في كل العصور قد ثبتت عدم صلاحيتها للتطبيق اليوم".

المقال التحليلي والذرية المنطقية:

يذهب علماء الإعلام إلى أن المضمون الإخباري لوسائل الإعلام قد يكون له تأثير أكبر في الرأي العام من الإقناع الصريح، بمعنى أن الأخبار قد تكون ذات قوة أكبر في تشكيل الاتجاهات العامة من المقالات الصحفية والأعمدة السياسية. والأخبار تسجل الأحداث. وقد تغير الأحداث التي تقدمها الصحيفة عقولاً أكثر مما تغيره الدعاية. ويقدم "هو دلي كانتريل" في كتابه "قياس الرأي العام" قاعدة تقول: "إن الرأي يتحدد عموماً بالأحداث أكثر مما يتحدد بالكلمات، ما لم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث. وبالإضافة إلى ذلك، تنزع الأحداث إلى ترسيخ تغيرات الرأي العام الناتجة عن الكلمات. وقد يكون التغير في الرأي قصير العمر، ما لم تسانده بعض الأحداث. ولكن "برنارد بيرلسون" يذهب إلى أن هذه القواعد العامة تستدعي تعليقين: أولهما أنه يكون من الصعب التمييز بين الأحداث والكلمات.. فهل الخطاب الهام الذي يقدمه رئيس الجمهورية حدث أم مجرد كلمات؟ وثانيهما أن كثيراً من الأحداث لا تحدث تأثيرها نتيجة حدوثها فحسب، وإنما بمعاونة من الكلمات أيضاً، أي أن أهمية الحدث في إقناع الجمهور قد تُشجَّح كثيراً من خلال التفسيرات التي يقدمها معلقو التلفزيون، وكتّاب الافتتاحيات والأعمدة السياسية. وإذا استعرنا تعبير "الذرية المنطقية" من "برتراند رسل" فإننا سوف نصل إلى تحديد العلاقة بين "الحدث" و"الكلمات" في المقال التحليلي، الذي يقوم على تقسيم الشيء إلى أجزاء، بهدف الوصول إلى معرفة عنه أفضل. ومن هنا فإن المقال التحليلي يستهدف الوصول إلى أقل عدد ممكن من الفروض، من أجل تفسير الحقيقة في

خطوطها العريضة، الوصول إلى أقل عدد ممكن من الأفكار الأولية البسيطة من أجل الاستعانة بها في فهم شتى الأفكار المركبة المعقدة.. فالمقال التحليلي - تأسيسا على نظرية الأوصاف عند رسل - ينظر إلى "الأحداث" على أنها "قوائم ذرية" Atomic facts . والواقعة الذرية إنما تتكون من جزئء منعوت بصفة ما من الصفات (كأن نقول مثلا: هذا أبيض)، أو من جزئين (أو أكثر) تجمع بينهما علاقة ما من العلاقات (كأن نقول مثلا: أ أكبر من ب، أو أ تقع بين ب، جـ ولكن ما الذي نغنيه بكلمة "جزئء" في المقال التحليلي؟^{١٩}.

إن الوقائع الذرية - عند رسل - مركبة، من حيث أنها مكونة من "جزيئات" وصفات أو علاقات .. ولكن لهذه الوقائع - على الأقل - بساطة نسبية، من حيث أنها تمثل الحد الذي تتوقف عنده "عملية التحليل، هذا إلى أن بساطة تلك الوقائع تتجلى في "الصورة" أو "الشكل" الذي تتمثل على نحوه في اللغة المثالية المستخدمة في المنطق الرياضي. ولعل ذلك أننا لو جعلنا الأحرف: أ، ب، جـ.. تقوم مقام الجزيئات، ولو جعلنا الأحرف: س، ص، ع.. تقوم مقام الصفات والعلاقات، لكان في استطاعتنا أن نعبر عن العبارات الثلاث الآتية:

١- هذا أبيض.

٢- أ أكبر من ب.

٣- ب بين جـ ، ود

على النحو التالي:

١- س (أ) ٢ - ص (أ ب) ٣ - ع (ب جـ د) . الخ....

ومثل هذه الصيغ تمثل القضايا الذرية المستخدمة في منطقنا، بمعنى أنها قضايا لا تشتمل على قضايا أخرى تدخل في تركيبها. وعلى العكس من ذلك، نجد أن هناك قضايا أخرى يمكن تسميتها باسم القضايا الجزيئية، وهذه تتركب من القضايا الذرية عن طريق ألفاظ الربط المنطقي: "ليس"، و"حرف العطف" و"، "أو"، "إذا".

وليس من شك في أن منهج "رسل" في البنايات المنطقية Logical constructions، ونظريته في الأوصاف Descriptions إنما هما "في الواقع مجرد محاولتين لتطبيق التحليل المنطقي على بعض المشكلات الفلسفية الهامة"^(١).

(١) د. زكريا إبراهيم / السابق، ص ٢٤٠

ويمتد تأثير هاتين المحاولتين إلى المقال التحليلي، حين يرتبط بحدث جديد تجذب حيويته أذهان الناس وانتباههم، أى "بالحدث الحي" إن جاز هذا التعبير، بالقياس إلى الناس أو بالقياس إلى الكاتب نفسه، حين لا يجد بدا من لفت انتباه الناس إليه .. ولهذا فإن "التحليل الصحفي" يتعين عليه أن يلبي رغبة ما، لدى القارئ سواء أدرك هذه الرغبة بنفسه أو كانت هناك مصلحة - قد لا يتبينها القارئ - لتبصيره بها.

وبالقياس إلى الدكتور طه حسين مثلاً فقد وجدنا أن التحليل الصحفي والتحليل الثقافي الذي تحدثنا عنه في "العمود الثقافي"^(١) يصدران عن رؤية وظيفية واحدة، تجعل من المقال همزة الوصل بين العمل الغامض أو الصعب، وبين القارئ.. متوسلاً في ذلك بكفايات عديدة جعلت منه مبسطاً بارعاً، إلى جانب اطلاعه المتجدد على عديد من الموضوعات التي تؤكد التحليل الصحفي كالتاريخ والعلوم السياسية وعلم الاجتماع وعلم النفس.. كما أنه متجدد الاطلاع على الصحف المعبرة بالفرنسية في مصر وأوروبا، إلى جانب الصحف العربية.. وهذا النوع من الاطلاع يصدر عن عقلية ناقدة تتيح له استخدام أخبارها وتحليل اتجاهاتها من خلال تقويم صحفي يقوم على إدراك العلاقات واستخراج التعميمات منها. والدلائل على قدرته هذه في مقالاته الصحفية، أكثر من أن تحصى. ولكن إذا كانت القدرة على التنبؤ هي مقياس التحليل الجيد، فمن الجدير بالملاحظة أن المقال التحليلي قد تنبأ بأحداث سياسية عدة، وأحداث اجتماعية عديدة، قُدر لها أن تتحقق. وإذا كان المقال التحليلي يصدر عن الوظيفة التفسيرية فإن هذه الوظيفة من أهم وظائف الفن الصحفي لأنها تكوّن حول التفسير، وإلقاء الضوء على الأنباء، وبيان آثار الأحداث في حياة الناس. الأمر يقتضى توظيف الفن الصحفي، وهضم المسائل العويصة، وسبر أغوارها بحيث يستطيع كاتب المقال التحليلي أن يتحدث عن أعظم الحقائق في أبسط الألفاظ.

من هنا يمكن القول إن "التحليل الصحفي" عنصر مُكْمَلٌ "لنبا" بمعنى أنه "يثريه" ويكسب مدلوله دلالات أوسع، ويقربه للقارئ ولاهتماماته. بل قد يثير لديه اهتمامات جديدة توسع أفقه بما يجنب انتباهه، وما يمتد إليه فضوله. على أن التحليل الصحفي يضيف كذلك عنصر "الرأي" إلى "عنصر الخبر" ويكسب فهمه للحدث عمقا، كما يتيح فرصة تصور معاني للحدث من أكثر من زاوية، وانطلاقاً من أكثر من رؤية.

(١) د. عبد العزيز شرف: فن المقال الصحفي في أدب طه حسين، هيئة الكتاب، القاهرة.

و"التحليل الصحفى" يضيف إلى هذين العنصرين عنصرا ثالثا مستفادا من رؤية كاتبه النقدية. ونعنى بهذا العنصر عنصر "التقويم" الذى لا يقتصر فقط على مجرد نقل النبأ وعرضه، أو إيداء الرأى فيه، ولكنه "يقوم" الرأى و"يقوم" النبأ من خلال رؤيته الصحفية والفكرية لموضوع المقال.

أولا: "توقيت" المقال التحليلي:

ويبين مما تقدم أن عامل التوقيت أو الجدة الزمنية، يقضى على التحليل الصحفى أن يقوم على نبأ جديد، يفضل أن يكون هذا النبأ منشورا فى نفس العدد الذى يقدم فيه التحليل^(١).

على أن هذه القاعدة تتضمن بعض الاستثناءات، منها، أن التحليل فى بعض الأحيان يتعين عليه أن يسبق حدوث الحالة الخبرية، وأن يتركز أو ينطوى على عناصر توقع، متعرضا بالدراسة لاحتمالات المنتظرة.

ومن ذلك ما كتبه طه حسين بعنوان: "غيوم"^(٢) يقول فى هذا المقال:

"يظهر أن فى جو السياسة المصرية الخارجية غيوما، لعلها خفيفة رقيقة ليس وراءها شيء، ولعلها ثقيلة صفيقة وراءها أشياء، ولعل الأيام المقبلة تكشف عما تحجب هذه الغيوم من خير أو شر، ولكن الشيء الذى لا شك فيه، هو أن من الواجب العناية بهذه الغيوم وتتبعها فى دقة وفطنة، ومن الواجب أيضا أن يجذ المصريون فى أن يقفوا منها موقف الصراحة التى لا تحتمل شكاً ولا تأويلاً، وما الذى يمنعهم من ذلك وآمالهم ومثلهم العليا فى حياتهم الداخلية وفى علاقاتهم الخارجية واضحة كل الوضوح، جليلة كل الجلاء، ووسائلهم إلى تحقيق هذه الآمال والوصول إلى هذه المثل العليا لا غموض فيها ولا إيهام الخ...

(١) جلال الدين الحامصى: الصحفية المثالية، القاهرة ، ص ٢٥٩.

(٢) كوكب الشرق فى ٢٨ مارس ١٩٣٣

ومن ذلك يبين أن التحليل يقوم على عناصر تَوَقُّع. وهو لذلك يحاكم الأمر من جميع وجوهه، واقفاً تجاه الموقف السياسى الذى يتناوله فى صُلْب المقال موقف الباحث المتشكك. الأمر الذى يكشف عن عناصر تَوَقُّع، تزرع الشك فى عقل القارئ، كما يبين من خاتمة هذا المقال: "كلّ هذه مسائل يخوض فيها الناس من المصريين والأجانب فتثير فى نفوسهم شكوكا وريباً وتخلق جواً رديئاً قوامه سوء الظنّ وفساد الرأى وضعف التعاون الذى يجب أن يكون بين الذين يعيشون على ضفاف النيل من المصريين والأجانب، كلّ يرتاب بصاحبه كل يخاف من صاحبه".

على أن المقال التحليلى حين يسبق وقوع النبأ، يتوسل بهذا الأسلوب الاستقرائى الذى يضمن سلامة التحليل، ويسلك طريق العقل والمنطق والمحاكمة، وهى سبل العالم المحقق التى يَتميز بها فى دراساته العملية، وهى السبل التى يتوسل بها لكى يشعر القارئ بأهمية التحليل من جهة ولكى يواجه المقتضيات الحزبية والسياسية من جهة أخرى لما تفرضه من تحيز مسبق، وبحيث يبدو المقال التحليلى فى نهاية الأمر متخذاً شكل الدراسة للاحتتمالات المنتظرة والمتوقعة.

ولعل من أسباب التجاء الكاتب المقالى إلى هذا الأسلوب فى التحليل، اتّجاه بعض الحكومات الى الصمت، وعدم إصدار برامج سياسية واضحة، الأمر الذى يجعل من هذا الأسلوب أسلوباً محتمّ الاستعمال فى التحليل، لما يتيح من تَوَقُّع ومناقشة. وتكشف التساؤلات التى يطرحها المقال التحليلى عن ضرورة اللجوء إلى هذا الأسلوب الاستقرائى التشككى فى التحليل، ذلك أن النبأ الذى يقوم بتحليله يقتضى من الكاتب أن يستقرئ وأن يضيف إلى النبأ البيانات الخلفية التى لا يعرفها القارئ، والتى لا تكتمل الصورة الخبرية إلا بتسجيلها. ولذلك يتوقف الكاتب عند كلّ معنى تغلفه علامة تساؤل، ليقدّم للقارئ الإجابة التى تتسبب ضمن المقال التحليلى، فيحس القارئ بعد انتهائه من قراءة المقال أنه فهم كل شئ. نجد تطبيق ذلك فى المقال التحليلى الذى يكتبه الاستاذ إبراهيم نافع فى (الأهرام) يقول فى أحد مقالات "بهدوء" تحت عنوان: "عرفات ورايين..والسير فوق الأشواك" :

"بداية أقول إننى ممن يرون أن اجتماع إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلى والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات الأخير فى القاهرة لم يفشل لكنه أيضا لم ينجح وإنما ترك مساحة للأمل فى النجاح إذا أحسن الطرفان الاستعداد للقاء الجديد، وجاء كل منهما إليه بإصرار أكبر على حسم موضوعات الخلاف مدركا أن أى تأجيل جديد لخطوات التنفيذ.. للاتفاق الإسرائيلى الفلسطينى "غزة"، أريحا أولا" سوف يصيب المنطقة العربية كلها بالإحباط ويزيد من مشاكلها.

"هذه مقدمة لا بد منها قبل الحديث عن آفاق الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى وما يحمله الغد له من احتمالات وتوقعات.

وفى تقديرى فإن مداخل تنفيذ بنود هذا الاتفاق وإقامة السلطة الوطنية الفلسطينية فى غزة وأريحا يجب أن تتبع أساسا من روح الاتفاق يدعمها حسن نية الطرفين ورغبتهما المشتركة فى التعايش السلمى بين شعبيهما، وبغير روح الاتفاق وشرط حسن النية لأن يتحقق الكثير ولن يؤتى هذا الاتفاق ثماره المرجوة.

"والطرف الذى يملك أكثر من الآخر أن يقدم الدليل على إيمانه بروح الاتفاق وحسن نيته هو الطرف الإسرائيلى لأنه يمثل دولة لها قواتها العسكرية عالية الكفاءة، ولها أيضا حساباتها الدقيقة التى تتحسس مواقع خطاها قبل الإقدام.

"فاذا كانت إسرائيل قد حددت من قبل مواعيد تسليم السلطة فى غزة وأريحا الى الفلسطينيين فلقد حددتها على أساس حساباتها كدولة ينبغى أن تحترم التزاماتها، ولا غرابة فى أن يطالبها الفلسطينيون باحترام هذه المواعيد لأسباب منطقية مقبولة أولها أن إسرائيل هى التى حددتها، ومادامت قد فعلت فهى تسلم بالضرورة بإمكانية تنفيذ بنود الاتفاق فى مواعيده المقررة^(١).

هذا المقال التحليلى، كما يبين من عنوانه، يسبق حديث الحالة الخيرية. والتحليل فيه ينطوى على عناصر توقع.. كما أظهر العنوان اتجاهه الى استقراء الاحتمالات المنتظرة.

(١) ابراهيم نافع: بهدوء، جريدة الاهرام ٢٣ ديسمبر ١٩٩٣ ص ١، ص ٣

ثانياً:- التعليق على الخبر بعد وقوعه:

ذلك أن هناك أنباء قد تحيط بها جوانب غموض تستدعي الترتيب قبل تقديم التحليل أو تستدعي استكمال بعض المعلومات لضمان صحة التحليل، وفي هذه الحالة يتأخر التحليل عن الدالة الخبرية. وفي حالات أخرى يجيء التحليل ملازماً لها، كما نجد عند الأستاذ إبراهيم نافع، إذ يعقب مباشرة على الخبر بعد وقوعه؛ استجابة للقاعدة الصحفية الأساسية، قاعدة "الجدة الزمنية"، ومناقشاً الحدث فور وقوعه وهو مازال حدثاً حياً، ذلك أن التحليل حين يتأخر دون مبرر يتحول من "تحليل صحفي" إلى دراسة أكاديمية، ويمكن أن يقال "بشكل عام إن تحليلاً صحفياً قيمته ٥٠٪ وينشر في لحظة وقوع الحدث، أفضل صحفياً من تحليل قيمته ١٠٠٪ وينشر بعد وقوع الحدث بيوم أو أكثر^(١)".

هذه القاعدة نسبية بطبيعة الحال، ولكنها تشكل اتجاهاً عاماً في المقال التحليلي الذي يعتمد على قدرات الكاتب التحليلية وهي قدرات تضمن له التحليل الوقتي على النحو الأفضل؛ وفي معظم المقالات التحليلية عند طه حسين على الصعيد الأدبي والثقافي؛ وعند إبراهيم نافع على الصعيد السياسي والاقتصادي والفكري، نجد موضوع المقال يقوم من الأحداث، يمثل التلازم المنطقي الذي يثرى التحليل، ويدعم أسبابه ونتائجه.

يقول طه حسين في مقال بعنوان "تحريض"^(٢)

"وقد نشرت (الجهاد) أمس، وأول أمس أخباراً عن مذكرة سياسية قيل إنها قدمت من دار المنسوب السامي إلى رئيس الوزراء وقيل إنها أحدثت شيئاً من الاضطراب غير قليل في بعض البيئات السياسية، فضاقت الوزارة بما نشرت "الجهاد" وكذبت في إيلاغ رسمي أذاعته أمس، وكان بلاغها الرسمي حازماً مسرفاً في الحزم، وقد تعود الناس في هذه الأيام أن يحترموا بلاغات الحكومة

(١) جلال الدين الحمامصي: مرجع سبق ٢٥٩.

(٢) كوكب الشرق في مايو ١٩٣٣. عبد العزيز شرف: من للمقال الصحفي في لب طه حسين، السابق.

الرسمية، على نحو ما احترمت "الأهرام" بلاغها الرسمي الذي أصدرته منذ أيام تكذب فيه ما أنيع من حديث رئيس الوزراء إلى زملائه في مجلسهم عن المنسوب السامى، واللجنة الانجليزية المصرية، فقد احترمت الأهرام، هذا البلاغ ولكنها أكدت ماقالت، وأكنته فى حزم وليس أقل من حزم الحكومة فى بلاغها، وتحدثت الوزارة، واتهمت الوزراء بانهم أفضوا إليها بهذا الحديث الذى تكذبه الحكومة وتكره، وانتظرت الأهرام نتيجة هذا التحدى، وانتظرته الصحف الأخرى أيضا وألح الناس على الوزارة أن تبين جلية الأمر فى هذه القصة^(١).

ثالثا: التحليل الصحفى وحركة الأحداث:

ونخلص مما تقدم الى أن المقال التحليلى إنما يقوم على تفسير النبأ أو الحدث فى ضوء حركة الأحداث عموما.. والنبأ الجديد، المجهول الدلالة، تتكشف عناصره المجهولة بربطه ببعض الدلالات عن طريق تحديد موقعه داخل إطار مجموعة من الأنباء والأحداث المعلومة. ولكن إذا كان النبأ تشكيلا لحدث من الأحداث فإن المقال التحليلى لا يقوم على الخيال. والفرق بينهما أن الخبر/ النبأ يستمد عناصره من الواقع مباشرة. أما المقال التحليلى فينظم تجاربه وعناصره المستمدة من الخبر، أى من الواقع بعد أن ينقله النبأ فى شكله الخبرى.

وعلى ذلك فإن المقال التحليلى ليس غاية فى ذاته، وليس فناً منفصلاً مستقلاً، وإنما يرتبط بحركة الأحداث ارتباطاً لا انفصام له، أى أنه كتحليل صحفى، يفسر الأخبار ويغذيها ويقومها، بهدف مساعدة القارئ على تفهم حركة الأحداث من حوله بتقويم المعايير المطلوبة من خلال التحليل والتفسير، ولذلك فإن المقال التحليلى ينظر للأخبار على أنها سلوك اجتماعى، الأمر الذى يحدد الدور الوظيفى للمقال فى إطار حركة الأحداث محلياً وعالمياً.

على أن المقال التحليلى ينزع إلى أن تكون لديه صورة مجازية فائقة، أو عدد من الصور، يرى من خلالها حركة الأحداث. وهذه الصورة بالتالى تشكل تحليله الصحفى وتتبئ عنه، وتجعله أحياناً محدوداً. فالمقال التحليلى - على هذا الفهم - يمكن أن يتخذ صورة جراح سحرى يجرى العملية الجراحية دون أن يقطع الأنسجة الحية. وقد يكون فى صورة من يظهر للواقع نسمة جديدة، تتيح لحركة

(١) كوكب الشرق فى مايو ١٩٣٣. عبد العزيز شرف: من المقال الصحفى فى أدب طه حسين، السابق.

الأحداث واقعا مستقبليا أفضل يستند على التحليل الموضوعى الركين، بقلم كاتب عارف عاقل.

أما المضمون الرئيسى الآخر فى التحليل الصحفى فهو تطوره فى اتجاه ديمقراطى يركز على توضيح الحدث الجديد، كالتحليل الإخبارى أو "التعليق"، وهى نوعيات تتجاوز عنصر "التقويم"، وإن كانت لا تستطيع تجاوز عنصر "التذوق الخبرى" ولكنها على أية حال تسعى إلى ألا تتضمن رأيا يطرحه كاتب التحليل، ذلك أن تحليل "حالة خبرية عامة فى ضوء أحداث محددة، يحمل فى العادة أكثر من وجهة نظر يمكن أن يتجه إليها الاجتهاد"^(١).

ومهما يكن من شئ فإن المقال التحليلى - خلافا "للبأ" لابد أن يحتوى على "رأى" و"حكم" أى لابد من توفر عناصر "التقويم" و "التقدير" و"التذوق" التى تجعل التحليل لا يقتصر على موضوعية النبأ وحدها. ولكن لكاتب التحليل فيه دورا دائما فى تذوق الأخبار وتحديد وانتقاء عناصر مقاله التحليلى فى نهاية الأمر، ولا يغض هذا العنصر "الذاتى" الناجم عن وجود رأى للمحلل من الحدث "بل يجوز القول إن قيمة التحليل تزداد كلما كانت لهذا العنصر الذاتى، أصالة يصدر عنها الكاتب.

وإذا كان "التقويم" من أهم وظائف المقال النقدى فإنه يمثل جوهر المقال التحليلى اعتمادا على ثقافة كاتبه العريضة والمتعمقة فى المجالات المتخصصة، مما يسعف التحليل على فهم حركة الأحداث وسيرها. كما تعتمد هذه الطريقة على تحليل ملابسات الحديث أو الخبر، بحيث يذهب المقال إلى الفهم ووزن ما يحلله، إلى أن التحليل الصحفى يقوم على نقد عقلى لحركة الأحداث القابلة لأن تصاغ صحفيا. كما يقوم على نقد عقلى للدوافع التى تكمن وراء الخبر أو الحدث ليتمكن الكاتب فى نهاية مقاله التحليلى من "تقويم" الحدث" وتقديم حكمه النهائى. وهو حكم فريد يمكن الكشف عن طبيعته العامة. على أننا نجد أن غاية هذه الخطوات الأربع الأولى هى تحديد المجال الذى سيتحقق فيه "التقويم" أو الحكم القاطع الفريد، وتضييقه قدر المستطاع. ويتحدد مجال "التقويم" بالدوائر الثلاث التى يتداخل بعضها فى بعض، فى "المقال الرئيسى" بصفة عامة. ونعنى بهذه الدوائر الثلاث: سياسة الجريدة، وصياغة المقال، واهتمام القراء.

(١) جلال الدين الحامصى: السابق ص ٢٢٠

ومن الوجهة المنطقية فإن المقال التحليلي يبدأ بالنبأ الجديد الذى يتصدى الكاتب لدراسته. ويتسع التحليل من هذه النقطة ليواجه هذا النبأ بأنباء أخرى داخل سياق حركة الأحداث عموماً فى أكثر من اتجاه. ويمكن تحديد هذه الاتجاهات فى المقال التحليلي من خلال أهداف ثلاثة:

١- مقابلة النبأ الجديد بمعلومات وأنباء تنتمى إلى نفس القضية:

أى مقابلة وقوع النبأ الجديد بأنباء تخص نفس القضية فى الماضى وتنتمى إليها، ونجد نموذج هذا البناء المقالى فى سلسلة مقالات إبراهيم نافع عن: "مستقبل المنطقة بعد السلام" حيث يطرح القضية الرئيسية فى عنوانه الدال: "هل حقاً تهيمن إسرائيل اقتصادياً على المنطقة العربية؟".

يقول فى استهلال المقال:

"بغض النظر عما تواجهه مباحثات السلام بين إسرائيل والفلسطينيين وسوريا والأردن ولبنان من صعوبات فإن السلام قادم إلى المنطقة اليوم أو غداً، وعلينا أن نبدأ من الآن الاستعداد لمواجهة مرحلة السلام وتداعياتها، فكلّ حرب مهما طالّت لابد وأن تكون لها نهاية" لقد دعانى للكتابة فى هذه القضية مانراه ونقرأه ونسمعه من مبالغات وتصورات خاطئة عن مستقبل المنطقة العربية بعد السلام.

ومن أبرز هذه المبالغات ما يقوله البعض من أن إسرائيل سوف تبتلع المنطقة العربية بأسرها وتسيطر عليها اقتصادياً، فهل هذا صحيح؟.

"وبدأية أقول إن هذا التخوف المغالى فيه ليس وارداً ولا يمكن أن يكون منطقياً وفقاً لأسباب واعتبارات عديدة.

ودعونا نناقش هذا الاحتمال بغير حساسية ولا تحفظ.

"إن الحكم على قدرة أية دولة على ممارسة السيطرة الاقتصادية على الدول المجاورة لها يتطلب توافر عوامل عديدة، هى أولاً القدرة الفائقة على الانتاج بما يزيد أضعافاً مضاعفة على احتياجات شعبها ويفيض فيغرق أسواق الدول المجاورة، وينافس فيها منافسة غير قابلة للمقاومة إنتاج هذه الدول نفسها أولاً ثم إنتاج دول العالم الأخرى، فهل يتوافر هذا الشرط المبدئى فى الاقتصاد الإسرائيلى؟".

٢- مقابلة الأنباء المتعلقة بقضية معينة بأنباء ومعلومات تخفى قضايا أخرى ملازمة أو غير ملازمة لها زمنياً:

أى مقابلة النمط الخبرى الذى ينطوى عليه النبأ الجديد، بأنماط خبرية مشابهة له، أو متعارضة معه، أو تثير مقابقتها مفارقات معينة تساعد فى استخلاص دلالات معينة.

ويقوم هذا الاتجاه التحليلى عند الكاتب على ثقافته العريضة ومصادرها التى تتيح للتحليل أن يقابل الجديد فى المجرى العام للأحداث بحالات خبرية عامة تثير مقابقتها المقارنات التى تيسر استخلاص الدلالات. ومن نماذج ذلك؛ المقال الذى أشرنا إليه عن مستقبل المنطقة بعد السلام^(١) . والذى يمكن أن نتصور بناءه التحليلى على النحو التالى:

(١) إبراهيم نافع: "بهدوء" مستقبل المنطقة بعد السلام الأهرام - الجمعة ١٧ ديسمبر ١٩٩٣.

دالة جديدة :



ومن هذا النموذج يبين لنا أن الكاتب قد انطلق في مقاله التحليلي من الجديد الذى يشغل رأى العام العربى والمصرى بصفة خاصة وهو "مستقبل المنطقة بعد السلام". ويستهل مقاله بمقدمة تمهيدية تمهد لاستخلاص دلالات جديدة له؛ بمقابلته؛ واستخلاص النتائج المترتبة على مواجهته؛ بأنه حالة من الحالات العامة السابقة عليه أو الملازمة له زمنياً. وهذه الحالات كما تبين من النموذج المتقدم هى: العلاقات التجارية والاقتصادية والأموال والاستثمارات العربية، وإمكانات مصادر المياه وعائدات البترول - إمكانات الأمة العربية اقتصادياً وبشرى، والخلل الاستراتيجى .. ثم يستخلص من هذه المقابلة خلاصة دالة يلخصها فى قوله :

"ولو أن أية مجموعة من الدول العربية آمنت حقاً بضرورة تكوين تكتل إقتصادى عربى جديد فيما بينهما لشكلت على الفور مشتركة قوية قادرة على مواجهة أهم المتغيرات الجديدة فى العالم المعاصر الآن وهو اتجاه دولة إلى التكتل والتعاون الاقتصاديين.

"إن هناك خلافاً فى حجم التجارة العربية فعل سبيل المثال فإن الدولة العربية تستورد ٢١ مليون طن قمح سنوياً من فائض القمح العالمى الذى يتراوح بين ١٠٠ و ١١٠ ملايين طن ومعنى ذلك أن ٤٪ من سكان العالم يحصلون على خمس الفائض العالمى وفى هذا تهديد إقتصادى خطير، بل وتهديد أمنى أيضاً لهذه الدول العربية.

"وهذا خلل استراتيجى خطير، إذ أنه حتى الأموال لاتغنى شيئاً عن الشعوب إذا ما حجبت الدولة المنتجة للقمح فائضها عنها أو استخدمته للضغط عليها".

"وهذا الخلل فيما ننتج وفيما نستورد ليس قائماً فى أوروبا ولا فى أمريكا".

"ونحن فى أشد الاحتياج إلى هذا التكتل الإقتصادى العربى لأننا مازلنا نستورد للأسف أساسيات الحياة من العالم الخارجى، وفى أشد الاحتياج إلى العمل بكل الطرق لإحياء فكرة السوق العربية المشتركة مهما كانت الخلافات السياسية أو المراتب بين بعض الدول العربية وبعضها الآخر.

"فهذا هو تحدّي المستقبل الذى ينبغى أن نواجهه بالإرادة المخلصة وبالتخطيط السليم وبالعامل السياسى الرشيد من قادة الأمة العربية وبالنظرة المستقبلية التى لا تتوقف عند البكاء على الأطلال أو الانحصار فى مشاكل الحاضر وخلافاته المؤقتة.

"القضية قضية مصير أمة ومصير شعوب المنطقة العربية وهى الأحق بالدراسة والعمل .. بدلا من المخاوف والمبالغات غير العلمية والاكتفاء بالعويل والتحذير من خطر الهيمنة الاقتصادية الاسرائيلية على شعوب المنطقة بعد السلام".

"وإذا كان خير الناس أنفعهم للناس فخير الأوطان أنفعها للأوطان الأخرى" - كما يقول طه حسين - فإن فى النموذج المتقدم عند الأستاذ إبراهيم نافع ما يوضح مدى ما يقدمه التحليل الموضوعى من نظر مستقبلى يفيد الأحاد والجماعات والشعوب. كما يوضح أثر الأسلوب الاستقرائى فى البنية المقالية من حيث ترتيب جميع الأنباء المقابلة واستخلاص الدلالات فى نسق خاص، لتكون كل دلالة منها مسبوقة بكل الدلالات التى تستند إليها، وسابقة لجميع الدلالات التى تستند إليها، ويسلمنا هذا الفهم إلى الاتجاه الثالث :

٣- انتقاء زوايا محدّدة من "الجديد" الناشئ عن مقابلة النبأ الجديد بالحالة الخيرية العامة السابقة عليه :

ويفيد هذا النمط فى المقال التحليلى من قواعد "هداية الذهن" عند ديكارت وفى مقدمتها ما يسميه "قاعدة التحليل". ففى كل مسألة معقدة يجب البحث عن الأفكار البسيطة التى تكون "مطلق الموضوع" والتى تؤدى إلى تحليل هذا المطلق، ولكى نصل إلى هذه النتيجة يجب علينا تحليل المسألة المعقدة إلى مسائل أبسط. وتأسيسا على ذلك يقوم المقال التحليلى على انتقاء زوايا محدّدة من "الجديد" الناشئ عن مقابلة النبأ الجديد بالحالة الخيرية العامة السابقة عليه؛ وتحليل هذه الحالة الأخيرة إلى مسائل أبسط منها أيضاً، وبهذا يتسنى للمقال استخلاص الدلالات التى تبدو بسيطة ولا يمكن أن تحل إلى أبسط منها، وهى التى تكون أساس كل تلك الدلالات. ويمكن أن نجد فى نموذج التحليل الاستقرائى المتقدم، نمطاً مميزاً لهذا المقال التحليلى عند د. طه حسين، والأستاذ محمد حسنين هيكل.

ولا يختلف النمط السابق عن النمط الجديد إلا في "انتقاء زوايا محددة من (الجديد)، في حين أن النمط السابق يقابل النبأ الجديد بالحالة الخبرية الملازمة له زمنياً، أو السابقة عليه. ومن النمط الاستقرائي في التحليل الصحفي نجد مقالاً لطفه حسين بعنوان "التبعة الكبرى"، يحل فيه "زوايا جديدة" ينتقها من "نبأ انفصال سوريا عن مصر" عن طريق مقابلة الزوايا المنتقاة من النبأ؛ بالحالة الخبرية العامة السابقة عليه والمتصلة الوجود.

ثم يتوسل الكاتب المقالى بقاعدة أخرى من قواعد المنهج التحليلي ونعني قاعدة التأليف التي تلى تحديد الأفكار، والبيدييات والمقدمات الضرورية للاستدلال، وهي الأشياء التي يعتمد عليها المقال التحليلي. فيذهب الأستاذ محمد حسنين هيكل في مقالة: "بصراحة" في على نحو ما يفعل علماء الهندسة، حين يضع أولاً الأفكار أو الدلالات البسيطة التي يستخلصها من التحليل، ثم يذهب من البسيط إلى المعقد، من خلال نسق منطقي يبين في كل خطوة كيف تعتمد الدلالة الأكثر تعقيداً على الدلالة التي هي أبسط منها والتي تعلوها مباشرة. وفي النماذج المقالية، نجد أن الدلالة التي يستخلصها الكاتب من مقابلة الزوايا الخبرية المنتقاة بالحالات الخبرية العامة المتصلة الوجود، دلالة مستقبلية.

وصفوة القول إن المقال التحليلي يشتق موضوعاته من الحياة الواقعة، ويخضع لمنطق التحليل، ثم يعبر عنها بلغة مشتقة من هذه الحياة يفهمها أكبر عدد ممكن من القراء على اختلاف أذواقهم وأفهامهم وبيئاتهم وثقافتهم، وهذه اللغة هي اللغة القومية في مستواها العلمي وليست صورتها العامية، لأنها تمتاز بالبساطة والوضوح والإناس واللفظ والرشاقة، وتتأى ما أمكن عن صفات التعالي على القراء والتعذر أو ... الغرابة في الأسلوب أو المبالغة في الإلغاز والغموض.. وهي أمور لا تقبلها طبيعة الصحف بحال ما، على نحو ما تمثله البلاغة الجديدة في الاتصال الجماهير.

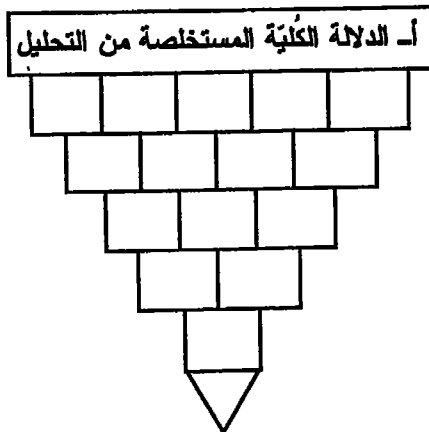
ومن أجل ذلك يتميز فن المقال التحليلي بالوضوح والدقة الاستقرائية والتشويق في الصياغة والتحرير، الأمر الذي يحتم على كاتبه أن يقاوم إغراء الزوايا المحيطة بالنبأ أو الحدث، ليجيء مقاله مركز الفكرة، محدد الموضوع،

واضح الهدف، بسيط التعبير، فينتقى من هذه الزوايا ما يخدم أهداف المقال، وما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضيته. ونحن نعرف أن "الكاتب الذى يحدد أهداف مقاله، ويتذكرها طوال تحريره، لن يستسلم لإغراء الهوامش، أو النقاط التى قد تذهب بالموضوع بعيداً عن قضيته الأساسية، والتى تكون فى الغالب على حساب المراحل الأخرى فى تحليل الموضوع وتحرير المقال، وهى مراحل قد تتساوى فى الأهمية. فوضوح الهدف وتحديده يعصمان المقال من الاقتضاب المخل أو الغموض الذى يضّر الإتصال بجمهور القارئ. ذلك أن المقال الأمثل هو الذى يعطى الحقائق فى أسلوب بسيط ومباشر. يؤثر الوضوح ويفضله فى الاتصال بالجمهور، ثم ويقدمها فى نسق استقرائى يحتفظ باهتمام القراء، ويفجر رغبتهم فى المعرفة، ويضعهم فى حالة "ترقب" مستمر لما يجرى "من بعد"، كما يفعل الكاتب القصصى" ويمكن أن نتصور هذا النسق التحليلى فى نمطين من الأنماط التى يتألف منها المقال الصحفى:

١- النمط الأول :

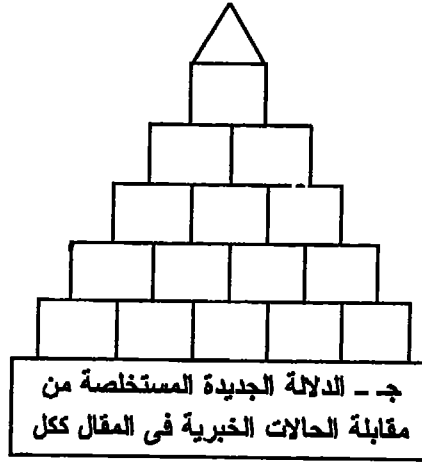
أ - شواهد مستقاة من الأنباء والأحداث والوقائع تتعلق بالنبأ الجديد.
بالنبأ الجديد.

ب - استخلاص دلالات جديدة للنبأ الجديد عن طريق مواجهته بحالات خبرية مقابلة.



النمط الثانى :

- أ - نبأ جديد محدد، أو حدث معين أو شاهد موضح.
- ب - استقراء للنبا الجديد أو الافتراض الناشئ عنه من خلال حالات خبرية سابقة أو ملازمة أو متصلة الوجود ومقابلتها بالنبا الجديد المحدد فى قمة الهرم (أ).



نماذج

المقال الموقع الإستهلاكي:

إبراهيم نافع: بهدوء:

بهـدوء

بقلم: إبراهيم نافع

التعاون الاقتصادي العربي محاولة جديدة لطرح سؤال قديم

لا مفر أمامنا من أن نحاول دائما إعادة طرح بعض التساؤلات العربية القديمة التي يبدو للبعض أنها قد قتلت بحثا، ولم يعد في الإمكان إضافة المزيد إلى أوراها أو أنه لا جدوى ولا أمل من محاولة إعادة فتح ملفاتها وإثارة قضاياها الراكدة أو الجامدة على أوضاعها منذ سنين .

فالحق أننا نحتاج دائما إلى إعادة طرح هذه التساؤلات القديمة كلما لاح في الأفق أمل جديد في التوصل لإجابات صحيحة لها، أو كلما زالت بعض الصعوبات والعقبات التي اسهمت في تجميدها وبالقائها معلقة بلا إجابات شافية، أو كلما حرت على أرض الواقع العربي والعالمى متغيرات جديدة تسمح بأحياء الأمل فيما نفخ البعض منه يده باليسا ، أو كلما جنت متغيرات عربية وبولية تجعل من إعادة طرح هذه التساؤلات ضرورة عربية ملحة ولا تحتمل المزيد من التأجيل .

واحد تساؤلاتنا العربية المزمعة هذه هو : متى يتحقق التعاون الاقتصادي العربي - العربي على النحو الذي يرتفع معه هذا التعاون - حجما وعمقا وشمولا - إلى مستوى الحاجة العربية الملحة إليه، وإلى مستوى الإمال المعقودة عليه ، ثم بعد كل ذلك إلى مستوى الضرورة التي تفرضها علينا الآن متغيرات هذا العالم الجديد، الذي نطل على مشارف قرنه الحادي والعشرين ، بظوره ، الخطيرة وتحدياته الصعبة، فلقد كان التعاون الاقتصادي العربي في الماضي تشييدا قوميا يتجاوب مع الإمال العربية للوطن الكبير ، وتحاول مؤسسات الجامعة العربية كالمجلس الاقتصادي العربي ومجلس الوحدة الاقتصادية، والصندوق العربي للإنماء ، وصندوق النقد العربي ، وغيرها، أن تعبر عنه وتترجمه إلى أطر عملية للتعاون في أرض الواقع .

لكن واقع الوطن العربي يؤكد لنا أن هذه المؤسسات والمواثيق قد ظلت في معظم الأحوال ترجمة تنظيمية للأمال العربية أكثر منها ترجمة عملية لواقع التعاون العربي الفعلي .

ولأن العالم كله يتجه الآن إلى التكتلات الاقتصادية والتجمعات الإقليمية ، فلقد اشتعلت الحاجة لأن نعيد فتح هذا الملف القديم، ونحاول أن نتلمس بعض المتغيرات الجديدة في الواقع العربي، التي قد تسمح الآن لهذا الحلم العربي القديم بأن يتحقق بالشكل المأمول منه، وسط طوفان هذه التكتلات والتجمعات الاقتصادية من حولنا، والسؤال الذي يفرض نفسه بالضرورة في هذا المجال هو هل جد جديد في الواقع السياسي العربي الآن يفرض إعادة فتح هذا الملف القديم ويرفع نسب الأمل في جدوى إعادة طرحه ؟ وجوابي عن هذا السؤال هو : نعم .

فالؤكد أن ظروف العالم العربي الآن على المستويين السياسي والاقتصادي، تعتبر ملائمة تماماً لهذه السير بشكل متدرج في هذا الاتجاه وعلى نحو يمكن أن يؤدي إلى تغيير شكل الخريطة العربية خلال السنوات القادمة، وتأمين موقع مناسب للوطن العربي في عالم القرن الحادي والعشرين. فعلى المستوى السياسي يمكن في هذا الشأن أن نرصد هذه المؤشرات والعوامل

■ إن آثار حرب الخليج، التي أصبحت صعداً هائلاً في الجسد العربي، قد قلصت إلى أقصى حد خلال الفترة الماضية بحيث أصبح من الممكن الحديث مرة أخرى عن إعادة بناء العلاقات العربية - العربية على أسس جديدة، فلم يعد الانقسام الكبير الذي خلفته حرب الخليج قائماً، إلا على مستويات محدودة، يمكن تفهمها أو لحمل تأثيراتها، وعادت الأجواء العربية إلى ما كانت عليه من قبل بتفاعلاتها المختلفة، التي تتسارع بين التعاون والتوتر في الإطار المألوف ولاغرامة في ذلك لأن حجم التحيينات المفروضة على الدول العربية من خارجها قد تضخم بصورة لا يمكن مقارنتها بعوامل الخلاف الداخلية بين الدول العربية. وقد أدى ذلك، إلى بروز اتجاه قوي لاتخاذ مواقف واعية مشتركة تجاه قضايا مختلفة كما حدث خلال، قمة القاهرة العربية، التي عقدت في منتصف هذا العام

■ إن المشروعات الكبرى المتعددة التي سيطرت على التفاعلات في المنطقة، في ظل غياب المشروع العربي، قد واجهت عوامل أدت إلى انحائها نحو الانحدار، أو إحباطها بإطار محدد فقد ظهرت خلال الفترة الماضية مشروعات كان من شأنها أن تعيد ترتيب الأوضاع العربية، بحيث تندمج في إطار إقليمية أوسع استناداً على أسس اقتصادية، مثلما كان متصوراً بالنسبة لمشروع الشرق الأوسط. كما تصاعدت أهمية مشروعات يتصور أن من شأنها أن توجد روابط عربية - دولية قوية من الروابط العربية - العربية، على أسس اقتصادية أيضاً كمشروع للتوسطية لكن التطورات الأخيرة أدت إلى أن

تقلص أهمية مسألة الشرق الأوسط، ولتجه نحو الانحسار نسبياً، كما أقيمت كل الأفكار المتصلة بإيجاد هيكل إقليمية لترتيبات الأمن المصير نفسها بعد أن توضحت حدود تأثير أية مشروعات كبرى غير عربية في هذه المنطقة

■ إن التفكير السياسي العربي قد أصبح مهيباً خلال الفترة الماضية لدعم إمكان قيام تعاون إقليمي عربي - عربي، متوازى والقي، مستند على أسس تجعله غير قابل للانكسار إلى حد كبير فهناك الاتجاهات متزايدة بأهمية البعد الاقتصادي في الحفاظ على تماسك واستقرار الدول، واستعداد أكبر للفصل بين الخلافات السياسية والتعاون الاقتصادي، وتصورات بشأن إمكان التعاون المشترك في التعامل مع الأطراف الخارجية، وبرز واضح لتسييم المصلحة الوطنية وسط تقبل عام لهذه المسألة في ظل محدودات معينة، مع استعداد لإيجاد صيغ توافقية تحقق المصالح المتبادلة للدول العربية بالإضافة إلى رؤى مقاربة مسيياً لطبيعة التحولات الاقتصادية التي تواجهها الدول العربية على جميع المستويات، مع واقعية شديدة في طرح التصورات الخاصة بآطر واليات تطوير العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية، وبشكل ما قلعة شعور عام بحاجة الدول العربية بعضها إلى بعض مما أدى إلى طرح أفكار ومبادرات لم تكن قائمة من قبل، وهكذا فقد أصبحت القاعدة السياسية - الفكرية للتعاون الاقتصادي أكثر ملاءمة حالياً

فالدول العربية تتحرك في الفترة الأخيرة للبحث عن أطر اقتصادية مختلفة، إقليمية أو دولية، للحاق أو الانخراط في المسيرة الاقتصادية الدولية، أو البحث عن ميزات اقتصادية مختلفة تساعدها على ذلك. فهناك دول تعمل على تدعيم علاقات التعاون مع أوروبا، أو إقامة علاقات مشاركة مع القوى الاقتصادية الدولية، أو الانضمام إلى تجمعات دولية كبرى مثل الكومنولث البريطاني، أو تعميق بعض أنماط

العلاقات في إطار الشرق الأوسط، وتتلور شيئاً فشيئاً - في هذا السياق - توجهات تركز على أن التعاون الاقتصادي العربي - العربي، أياً كانت مستواه، يمكن أن يمثل ميزة مشتركة لجميع الأطراف، كإطار متوازن لتطوير اقتصاداتها، أو لدعم حركتها في اتجاه التعاون مع الأطراف الأخرى أما على المستوى الاقتصادي فإن التعاون العربي - العربي يتسم بأهمية قصوى في الوقت الراهن، ربما أكثر من أي وقت مضى، فقد أصبحت القوة الاقتصادية لأي دولة هي العنصر الرئيسي في قولها الاستراتيجي الشاملة، والعامل الحاسم في تحديد مكانتها الدولية والإقليمية. كذلك فإن عناصر البيئة الاقتصادية الدولية تجعل التكتل الاقتصادي الإقليمي ضرورة بعد أن أصبحت التكتلات الاقتصادية الكبرى في أوروبا وأمريكا الشمالية وشرق آسيا تلعب دوراً هائلاً في حركة الاقتصاد العالمي، وتتبادل التعاملات التفضيلية بصورة تساعد اقتصادياتها على التقدم دون أن تكون مضطرة لتقديم تلك المعاملة التفضيلية لبقية دول العالم بالرغم من أن الفجوات لجات لتحرير التجارة الدولية الذي أنشأ منظمة التجارة العالمية لضمان التزام أعضائها به، ينص على تمتع دول المنظمة

بوضع الدولة الأولى بالرعاية بالنسبة للدول الأخرى الأعضاء في المنظمة، بما يعنى حصولها أوتوماتيكياً على كل الميزات التفضيلية التي تمنحها أي دولة إلى دولة أخرى، إلا أن الميزات التي تتبادلها الدول الأعضاء في كتل اقتصادية لا تمنح بالضرورة للدول خارج الكتلة، حتى ولو كان الجميع أعضاء في منظمة التجارة العالمية، حيث تعتمد هذه الميزات شأنها داخلياً بين دول الكتلة

وإذا كانت هذه المعطيات تؤكد أهمية التعاون الاقتصادي الإقليمي بالذات عندما يتطور في اتجاه تشكيل كتل اقتصادية، فإن الإطار الإفضل والأكثر ملاءمة لأعضائه في المنطقة هو إطار التعاون الاقتصادي العربي - العربي الذي يستند إلى أسس جديدة ترجحه على أي مشروع آخر للتعاون الإقليمي في المنطقة

ويمكن تركيز هذه الأسس في وجود ميزات نسبية طبيعية ضخمة بصورة تؤدي لانخفاض تكاليف النقل والتأمين على حركة السلع والأشخاص فيما بينها،

وتؤدي لرفع القدرة التنافسية لصناعات كل دولة عربية في أسواق الدول العربية الأخرى مقارنة بالقدرة التنافسية للمصادر المنافسة من دول من خارج المنطقة في الأسواق العربية. ومن المؤكد أن مثل هذه الميزة يمكن أن تحقق فوائد مادية كبيرة عندما يتم استكمال ربط التنمية الأساسية العربية من طرق برية وخطوط ملاحية تربط الموانئ العربية.

كذلك فإن الدول العربية في مجموعها تشكل مجموعة ماهرة ويمسكيات مختلفة وهو ما يجعل من مصالحها جميعاً الانفتاح على إطار للتعاون الاقتصادي الإقليمي تنوزع

العلاقات الاقتصادية العربية - العربية في الوقت الراهن هو أيضا من قبيل الأفكار المخطئة التي تروج دائما بدون سند حقيقي، وتستند فقط على مححوية التجارة السلعية بين الدول العربية، وهي محدودة بالفعل، لكن حركة العمالة والاستثمارات والسياحة بين الدول العربية انشط كثيرا من التجارة السلعية، مما يعنى ان تنشيط التعاون الاقتصادي العربي - العربي ووضع اطر تنظيمية له وإقامته على أسس ملزمة للدول الداخلة فيه، سوف يحمي التعاون الاقتصادي الكبير القائم فعلا، ويفتح الباب لتطوير العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية على اسس تفضيلية تمهد للانفتاح، ثم الانماج بين الأسواق العربية التي تستوعب واردات تبلغ قيمتها حوالي ١٥٠ مليار دولار سنويا في الوقت الراهن، وهي واردات مرشحة للتزايد السريع مع تسارع انماج الاقتصادات العربية التي تنفذ برامج للإصلاح الاقتصادي الليبرالي.

وكل هذه الظروف والعوامل تؤكد لنا مرة أخرى أن فرصة تحقيق التعاون الاقتصادي العربي الآن اكبر منها في أي عقد من العقود الماضية، وأن من واجبنا تجاه وطننا العربي الكبير وشعبونا ألا ندع هذه الفرصة تضيى إلى الضياع كغيرها من الفرص الضائعة، بل ان نتشبهت بها ونحسن استثمارها، ونلتفادى أخطاء التجارب السابقة، لنصل بواقع التعاون الاقتصادي العربي إلى ما نطمح له به من اتفاق وأمال، وإلى ما يرتفع به وبالمناطق كلها إلى مستوى الصمود لتحديات القرن الجديد والتفاعل معه.

تسليم

ومن ناحية أخرى فإن هذا درجة عالية من التوافق بين الدول العربية في مجال الاستثمار، حيث توجد دول عربية مصدرة للاستثمارات المباشرة وغير المباشرة مثل دول الخليج وليبيا، وتوجد أيضا دول عربية عبيدة مستقبلية للاستثمارات الخارجية، وعمدت على تطوير مناخ الاستثمار فيها، مع مراعاة أن مفهوم المصنر الدائم والمستورد الدائم للاستثمارات لم يعد والعبا، لأن مسار المشاركة الاقتصادية يختلف عن ذلك كثيرا، ويتضمن تبادل الاستثمارات بنسب مختلفة وباشكال عبيدة.

ومن المؤكد أن انفتاح الدول العربية على الشركات الدولية الكبرى يمكن أن يتحول إلى علاقة خاصة، تجعل الاقتصادات العربية مقصدا لهذه الاستثمارات إذا قامت الدول العربية علاقات تفضيلية فيما بينها بشأن تحرير التجارة أو إقامة سوق عربية مشتركة، لأن انفتاح الأسواق العربية الكبيرة بعضها على بعض يغيرى الشركات الدولية الكبرى بالاستثمار فيها للتمتع بعميزات انفتاحها، وهو وضع يمكن للدول العربية أن تستثمره في الحصول على أفضل الشروط من هذه الشركات فيما يتعلق بنقل التكنولوجيا إلى الدول العربية . وعلى صعيد آخر فإن التعاون الاقتصادي العربي .. العربي يعتبر عاملا ضروريا لإيجاد شبكة قوية من المصالح بين الشعوب العربية تؤدي إلى تهدئة الخواطر في مناطق التوتر، وإلى تجاوز المراتب بين بعض الدول وإلى تغليب المصالح على عوامل الصراع المحسوبة التي تسهم بعض الأطراف الخارجية في اشغالها وإبقاء جنونها مستمرة

وإذا كانت هذه بعض الأسس الرئيسية التي تجعل تنشيط التعاون الاقتصادي العربي - العربي، ضروريا فإنه من الضروري أيضا الإشارة إلى أن الحديث الدائر عن هامشية

عوائده بشكل عادل بين الدول المشاركة فيه، دون أن يتحول إلى مجال نفوذ أو هيمنة اقتصادية لدولة معينة على دول أخرى . وبالرغم مما يتردد دائما عن أن هناك تشابها في هياكل الإنتاج والمصادر العربية في الوقت الراهن بشكل يقلل من إمكانات التعاون في مجال التجارة السلعية، فإن الواقع الراهن يقول لنا إن هناك الكثير من التقنيات التي حدثت في هياكل الإنتاج والمصادر العربية في السنوات الأخيرة، بصورة تجعل من الممكن زيادة التجارة العربية - العربية - العربية بشكل كبير، حتى في ظل هياكل الإنتاج والمصادر الحالية لكل دولة

تسليم

عربية، إذا تم تحرير التجارة بين هذه الدول . وفي كل الأحوال فإن التجارة البينية العربية الراهنة التي تبلغ حوالي ٨٪ من إجمالي التجارة الخارجية العربية، وتتضمن نسبة مهمة من السلع المصنعة خارج الدول العربية، هي تجارة محدودة للغاية وتقل عن الإمكانات الكبيرة لتطوير التعاون التجاري العربي - العربي الذي يتمتع بميزة انخفاض نفقات النقل والتأمين . كذلك فإن تنشيط التعاون الاقتصادي العربي - العربي لإقامة منطقة تجارة حرة بدون استثناءات سلعية، وصولا إلى سوق عربية واحدة، سوف يتيح للدول العربية تحقيق استفادة أعلى وشروط أفضل منها في أي تعامل مع التكتلات الاقتصادية الأخرى، مثل التكتل الأوروبي الذي يتجه للدخول في مشاركة اقتصادية مع غالبية الدول العربية .

هل «التقدم» فكرة ميتة!

معضلات عصرية :

محمد سيد أحمد

سؤال جدير بنا تأمله، ونحن نجتاز بداية عام جديد.. و «تقدم» صوب آرن جديد.. وألفية جديدة.. هل فكرة «التقدم» مازالت تعتبر من المسلمات؟
 كتبت قد نشرت في هذا المكان، يوم ١٨ يناير للناشر، مقالاً تحت عنوان: «هل التقدم.. هل تتخلف».. حاولت فيه استشراف المستقبل من هذا المنظور.. ثم فوجئت بصحيفة طوموند، الفرنسية، وقد خصصت.. ابتداءً من ٢٠ أغسطس (أي بعد مائتي شهر، وطوال شهر) .. سلسلة تحت عنوان «هل التقدم أصبح فكرة ميتة؟».. وبحر هذه الدراسات، لتتناول: هل جاز لنا التمسك بفكرة «التقدم» أصلاً؟ أم أن الفكرة نتاج أيديولوجيات «تقدمية» معينة.. سواء تصمد بها الماركسية، أو ليبرالية عصر النهضة والتطور؛ وأنها فكرة باتت بحاجة إلى إعادة نظر؟

الأخرى في تلبية لطلعات الإنسان للعلم.
 ثم هناك من يوسعهم القول إننا بدأنا نترك، ليس فقط أن الإنسان ليس مركز الكون وإنما أيضاً أن «تفهميه» التكون يكون على ما تصوره من قبل، وعلى نحو لم يكن يوسع أحد خطه. وأن الكثير من أبحاثنا البشري يعود إلى ضطبع، الواقع، وتبسيطه بسيطاً معاً. ومع ذلك علينا أيضاً أن نترك أن تمسكت بفكرة «التقدم» شرط لا غنى عنه في يكون للحياد سعي.. ذلك أنه إذا سلمنا بأننا عاجزون عن إنجاز أي نوع من «التقدم» نكون قد سلمنا بأن الصداق لا حاجة إليها.. وتفتيشاً.. ولو بشكك لا شعوري.. سؤالا يحمل معنى الاستسلام للصعاب المتعاقبة التي تواجهنا. والقصد.. فهذا أم أبداً.. على نوع من الالتفات القوي.
 والجدير بالملاحظة أن العديد من الفلاسفة للأمريين، وأبرزهم كينودج اتهم الصاعدين في هذا المجال الفيلسوف الفرنسي أوك فيري، إنما أصبحوا يركزون اهتمامهم على فكرة صغنى الحياقة، وأن الحياة لا يكون لها معنى فلا إذا ما انطلقنا من فرضية أن «التقدم» فكرة ميتة.
 وقد لا يكون ممكناً أبداً أن نتكلم على الصعاب التي تعترض تقدمنا فعلياً، كما، وأن التعرجات، وحتى الانكسارات في التاريخ، جزء من القانون الحركة.. ولكن ليس معنى ذلك أن حركة التاريخ عديمة الاتجاه تماماً.. وإن كان للتاريخ «اتجاه» فلا مفر من أن يكون هناك «تقدم» ذلك أننا لا نستطيع أن نتقدم إلى الخلف

يمكن الحديث.. ذلك أن التقدم الذي لا يستلزمه بالضرورة تغيير جوهري في السلوكيات والأخلاقيات. إن التقدم التكنولوجي والعلمي ليس من شأن أن يوجد، وبطريقة آلية، لروفا أكثر موثقة لسلوك بشري أفضل.. لقد قيل، على سبيل المثال.. إن الصورة الأظهر عصرية «التقدم» مشكلة فيما هو جاز لإجازه الآن في مجالات الاتصال والأعلام والمعلوماتية والبيانات في مجال الكمبيوتر.. الأمر الذي ينتج لكل إنسان ألا يكون سعيه موجه، وتاريخه، ويبلغه المباشرة فقط وإنما أن تتسع مداركه لتحمي التكويك كله قطعة واحدة دون ما حاجة إلى نقل أو سلف بلطف البشرية.. لقد أصبحت الدعوة الإعلامية في تقريب الناس دون اتصال مباشر، وبنوع علاقات إنسانية عضوية بينها.. وهذا يعني لا تحول من تلاحم البشر، وتفاعلهم الحسي المباشر، الضمير الأساسي في «التقدم» غير أن الثورة الإعلامية قد أصبحت أيضاً في تعميق الفجوة بين «التقدم» في القوى الإنتاجية و«التقدم» في العلاقات الاجتماعية.. ومن هذه الوجهة قد تكون الأسس للثورة على إنجاز «تقدم» في الأخلاقيات والناس وهما أكثر منها أملاً وأرد

لغالب.
 ثم الشعر الطع المعاصر الإنسان بأنه ليس مركز الكون، وأن هناك عوامل أخرى خارج كوكبنا، وخارج مجرتنا.. وأن الإنسان مجرد حافة ما، بين اللذائهي الكبر، والنهاهي الصغر، وأنه ليس عند منتصف الطريق بينهما، فقد تكون لكائنات أخرى فوق كوكبنا، مثل المكتريا مثلاً، قدرة لتجاوزنا على السمود في وجه ما يصعد كوكبنا من تغيرات وتقلبات.. وإذا أصبح ذلك فكونين مقولة: إن «التقدم» ممكن، مقولة تقبل قطعاً، ذلك أن الإنسان لا يملك الأدوات اللازمة في تحكم في العالم المحيط كيف الحديث من قدرته على التحكم في مصيره.. بما يمكنه من تحقيق تقدمه. ربما يقول كثيرون إن بعض هذه الاستنتاجات نتاج عوارض طارئة، والوجه البشرية.. تجديداً.. في هذه الأدعية للقرن العشرين.. على سبيل أنفاسة اعتقد أنها خليفة بعمل رسالة تقدم، وتحقق تحسين مطر في نوعية حياة البشر.. ومن جراه حالة «الوقوش» التي أصبحت تدمع عالمها على أوجه الفضل التي أصابت لا للآثار الإبداعية وحسب، وإنما أيضاً مسيرة أفراسمالية وألفها هي

الديمقراطية والخصم كغاية بلان تخصص، والتخصصات العصرية من كثير من شواذها.. وأنها خليفة بتحقيق تقدم، ووفرة في الإنتاج، بغض النظر عن أحلام الشيوعية.. ويستشهد في هذا الصدد بأقول المعروفة بـ «ثورة» أسيا التي خلقت عدداً ذو باهره مما ينشئ بأن ما أنجزته وأرد تكراره في مواقع أخرى.
 بمبادرة أخرى سألنا الأسس معقولة على أن إحلال «الوفرة» للماضي، محل «الوفرة» بخلق تطوير قوى الإنتاج، وإنجازات العلم والتكنولوجيا، كغاية بغضير الإنسان، وإنجاز أهداف «التقدم» ليس فقط من الوجهة الاقتصادية وإنما أيضاً من الوجهة الأخلاقية وأخلاقية.. بيد أن هناك سؤالاً لا مفر من طرحه: هل بإمكان فعلاً بلوغ حد من «الوفرة» يقتضي حالة مختلفة نوعياً عن حالة «الوفرة»؟ لا تشع البشر بأن التماسك ما يتكونه مع غيرهم يخلق بهم قسراً؟

إن «الوفرة» هي أسس الاقتصاد السياسي.. هي أساس القانون العريض والطلب.. ذلك أن للمتع والخصمات قيمة بقدر ما هي مطلوبة، أي بقدر ما هي نادرة.. غير أنه كلما توافرت نوعيات جديدة من المنتجات والخصمات، نشأت لدى البشر احتياجات جديدة.. فهل من الممكن أن تتحقق الوفرة، بمعنى أن يلجأوا جميع السلع المتوافرة، فقرة الإنسان على استيعابها؟
 لقد شاهدنا في عالمنا العربي وفرة مفاجئة تملكت في اللواحق البدروية على الإزفام الحاد في أسواق البيرو، في أعقاب حرب أكتوبر.. وحلول «الغنى» محل الفقر في مجتمعات عربية عديدة.. فهل جاز لنا أن نقول إن هذه الشرور المفاجئة قد أسهمت في تغيير أخلاقيات هذه المجتمعات؟ لقد بلغ الأمر حد أن البعض أصبح يرى في ثروايش البدروا ما كان من شأنه تهويق «التقدم» لا تكميلاً، ويبت الشرور التي نطقت فجأة صورية أكثر منها حقيقية، على الأقل من حيث لثرتها على الأسهام في تنمية المجتمع وتطويرة، لك أنه لم تكن نتاج عمل وعطاء.
 ووجه عام يوسعنا أن نقول إن فكرة «الوفرة» الحديثة، يتطر تحدياتها حتى لو تحللت في موقع أو آخر، ولوات مسين.. إذ مسرعان ما ستوعبها القانون ادم هو قانون إعادة التوازن بين العرض والطلب، ويبرز لاحتياجات جديدة تستوعب الوفرة وتحول دون إحداث «الأثر العصري» الذي قد يصور البعض أنه

الامر المؤكد، على أي الأحوال، أن فكرة «التقدم» قد ارتبطت بفكرة «التقدم للماضي» أي بتحسين مستوى معيشة البشر من الوجهة المادية.. وهذا تفتت الفكرة مرتبطة بالتقدم في العلم والتكنولوجيا، وبقدرة الإنسان على السيطرة على البيئة المحيطة، واستغلالها لصالحه. ولكن هل تقدم الإنسان أخلاقياً وروحياً، هل يوسع الإنسان المعاصر أن يدعي أنه أكثر إنسانية، وأقل وحشية وإجراماً، من أسلافه غير العصور؟ منذ أجداد أجداده في عصر «بركسيس».. مثلاً.. الذي الرز باثبات في القرن الخامس قبل الميلاد، حياء السلاسل مثل سقراط، واللاطون، وأرسطو؟
 لم يسبق أن عاينت البشرية قرناً شهد من المادح بالجملة، ومن سودة في معاملة الإنسان للإنسان.

ما شهدته القرن العشرين، والأصح أن نلحظ استمراره وتعمقه.. وذلك كان لابد لنا من تعريف لمصطلح «التقدم».. من اللقصود به فقط الجانب المادي، أم جوانب أخرى أيضاً؟
 هل يوسع الجانب المادي أن يلائم في الجسم اندب الروحي؟ هل من التصور بلوغ الجنس البشري حداً معيناً، من الرفاهية يمكن عنده استنهاض نوعية جديدة من الإنسان.. إنسان خال من الكثير من الرأفة البشرية.. هل هناك معتبة حرجية بين الإنسان الذي يعاني من فقر وعوز وإحباط وسخط وإنسان في حالة إضغاج لاحتياجاته الإنسانية، مما يمكنه من تجاوز النقطة الحرجية وتجاوز الإحساس بأنه عرضة لعدوان الغير عليه، فلسفة عن البشرية الكثير من عيوبها التقليدية، وتسترد فكرة «التقدم» اعتبارها؟

لقد تناولت الماركسية فكرة أن البروعية كفيلة بأن تحقق حياة سعيدة لكل البشر من خلال الاتحاق الاجتماعي والعمل.. إن العمل في نظر الماركسية، كغاية لإيجاد إنسان من نوع جديد، خاصة إذا ما أصبحت أنشطة التي ترمز للعمل.. هي الطبيعة العاملة.. هي الطبيعة الحاصلة، بينما يكون قد قضى على الطبقات لاستغلال التي تعيش «تحتلقة على عمل غيرها».

ولكن التجارب أثبتت أن الأنظمة البروعية.. على الأقل كما طبقت في القرن العشرين، لم تنجح في تحقيق هذا الحلم بل الرزت سلوكيات بشرية بلغت حد المأساة على سبيل هذه الأنظمة وقد أسفرت عن وجه للإنسان لا يمت إلى الحلم بمثل.. والأمر ليس أفضل حالاً مع الأنظمة الليبرالية التي تنطلق من أن ليات

الاهرام ٢ يناير ١٩٩٦

أوراق ثقافية

السيد يسين

الخطاب القومي الواقعي

هل استنسخ الخطاب الأمومي العربي الكلاسيكي... في مواجهة التحولات العلمية والتحديثات الاجتماعية...
يقطن عن قديم الحداثة المأخوذة للواقع... أن يصطلم حينها جديدا للعلماء...
أشكالاً على ترميزها بأشكالها الأولى... التي تكاد أن تذهب بعيداً...
الإجمالية على هذا السؤال وعندنا الفكرة هي... أن نلخصها في شكلها بطبيعة البيان العام الذي
اصبحه ندوة مركز دراسات العربية التي عقدها في عمان في عام ١٩٩٤...
والواقع أن هذا البيان يمكن استخلاصه من خلال الخطاب العربي الواسع من خلال ندوة علمية
وعلمية على وجه التحديد... وهي التي استضافت عن يوم توطيد هذا الخطاب الجديد في صياغة مختلفات تتجاوز لنا
الخطاب الأمومي القديم... وهي رسم لسائر الجوانب التي لا تتطابق... في عصر عربي تترسخ فيه كل يوم الحداست
للألفية التي تؤكد صحتها كقول القراء... يفسح أنظر عما يطاق عليه... بملغوش شديد... العربية
الحديثة.

التقارير العامة الجديدة

يبدأ الدين بالتأثير مجموعة من
الغرائز الفطرية التي تصل في رابنا
نظرية عامة حصول التكيف مع
الظواهر العالقية والإقليمية في الحياة
وتدول صياغة جديدة للظواهر
الخطاب القومي العربي من ناحية
ثانية ولو أننا تلخيصاً للسمات
الأساسية لهذه النظرية في جملة
لعدة أننا إنها الوهمية والتد
الذلي والإيمان بالقوة العربية

[illegible][illegible]

وتدلي في النظرية العامة أولوية مبدأ القومية على اعتبار أن جميع الشعوب لها الحق في تقرير مصيرها وتحقيق المصلحة الخاصة على استقويين الرسمي والقانوني، ومواجهة صراع العربى الصهيونى والعنصرية العنصرية الإسلامية، وضرورة توسيع إطار العمل إلى القوى العاملة على مصلحة العربية من قومية وبنيية، ويمسح لمة ومسارية وأخيرا الديمقراطية وحقوق الإنسان، والخصبة الكفاح.

مناقشات عديدة
بالإضافة إلى الفكرة العامة
تخمين الذين في السيرة الأولى
فقدت أولها جميعا صورة أولها
الفرق العربي، وفي السيرة أن هذه
وتسار تخمين جعلها صالحة
الفرق نوع الفرق بين في لترات
وأوجه في وكان الآخر بين
حدثت عن كيفية مواجهة المرات
الفرق المتعددة بين الفترات الأولى
الفرق الأولى الفرق الأولى مجرد
عاء يتضمن الفترات الأولى
الإسلامية والمسيحية واليهودية
الانسان على قلب جود الحديث به
الخلف عن تطوير الفكر العربي وعونه
تقديم تطوير بدلي عن الفترات
السياسي الفرنسي والإسلامي
يذكر ذلك أن هناك خلافا سياسيا
وعلميا واحدا وتطابقا في
سماه ويمكن رفعه على اختلاف
بدلي ذلك أن الخطاب السياسي
الفرنسي في الفتح يكتف عن
الفرق، ولكنه عن في الفرق بين
تفاوتا كبيرا داخل كل منطقة بين
عامة وكبار

وحيث تتحدث المقررات عن ضرورة
انتظار تحسين الأوضاع العلمية
فإنها بدورها تحسن الوضع العربي
بمساعدة على توثيق الأخطار
والتأثيرات الضارة للعمليات
والأخطار في ظل الجور
هذه التباينات مستحقة من وجهة نظر
ومن وجهة نظر هؤلاء
يتناولون بأن الإسلام هو الحل
الذين يتناولون بحرية كاملة السور
أولئك الذين من قالوا يقولون
في الحل

الافتقار للموارد التي لا توفى
وبالمقارنة مع الشرق بين الفصائل
ساعات. للانسحاب، خاصة في
مخاضات الثورة العربية الجديد.
وحيث تحدثت للفرجات عن انضمام
الحركة القومية العربية معند في
ماتريشا وبيانيا هو ضرورة تدرك
التمثيل القومي المعاصر، رغم أنها
تأخذ ثمة أهمية لتجديد الخطاب
يبحث عن ضرورة تحقيق للصالح
بين الفصائل القومية والعربية
والانفراج لتوحيد القوى صعب
والصحة هو لحشد المثقفين
الحزب القومية العربية بقيادة
دراسات عن تقسيم ظاهرة
والخلاف بين الأحزاب القومية
وتدخلها.

[illegible]

وهكذا يمكن القول إن المصطلح
الليكانديكي بين العوامل الخارجية
والعوامل الداخلية ينبغي رفضه في
سبيل رؤية واقعية أوضح للشباب
الداخلي والخارجي في رسم السياسات
وتنفيذها

● ونصل أخيراً إلى لقاعة البيعة بالقاهرة الثلاثة العربية، انطلاقاً من المسجد الأول الذي يرى أننا لو كان يواجه حقائق صعبة لعصر مستجد في هذه الحقائق ليست لنا لا يمكننا توقيه وإنما هي عرض يمكننا تلاعبه خصوصاً أن هذه الحقائق مهما كانت صعبة لها، تنطوي على مخاطر من

ثامية لكنها تتضمن فرصا من التعليم
والفرصة، وهذا أكد عليه الرابع
الاتجاه بحيثيت اللغتين من ضرور
مجلس أمناء الجامعة في مجال
إحداث التغيير التعليمي، يأتي في
أول القائمة اللغة الجديدة مع اللغة
الأولى منها، يخص مجموع الخطتين
والديتين وقد تم تحديدهن على أساس
ضرورة التوجه بجزء العمل إلى
الجامعات والهيئات العامة والتعليمية
والثقافية والمنشآت العربية في
المصنوعات وسيدات المجتمع
كاملة، وهذا يعني السراويل في هذا
فعلا فجامع عربي لأتري في العراق
وبعدا عن قيام عربيات الألفاظ
فذلك يأتي في أهم عربي تأتي في التحصيل
ون تساهل ومن ذلك جاء جميع
عربي في شخص من الدول العربية
وسواء كالتربية ضرورة - ضرورة -
مناهج تعليمية في هذا المجتمع
بالرغم من إضعافها إلى الأجيال
ويوجد له أصلا، في ظل الوضع
من الألفاظ منسوبة العربية
وهذا يعني وزعمها لتجاني للطلاب
وحسب للطلاب الخطأ، ولكن للطلاب
هذا أمر من أصل الفهم كالتوجه
لا يوفق للطلاب على التفسير، ذلك
التفكير العربية لا قدره، وتجسد
مفيدة أمام، لعل، إلى، وتحسين
للطلاب من تعلم اللغتين خطابه،
يدعو الأولى بتوجهه واتقاه

ونحن نتمسك بما هي هذه الأحزاب القومية العربية والتي يتحدث عنها بيان دعوة الطربصية العامة وهل

هذه حزب قومي عربي غير حزب
البعث، وكل حزب البعث بكل فروعه
مزال فعلا حزبا قوميا عربيا أم تحول
كما هو ثابت يقينا إلى حزب قسري
مشرق في نظريته؟

الذين في هذا الفصل والحمد لله
المؤمن من حزب القومية عربية والحمد لله
الاجلحلال لوالدي ما يذكر بأن الكاتب
عقوى العروى الجديد ما تزال
على مكانته القديمة ومنها السلف
بالقوة لا وجود لها، وحيدة من
التي هي في حزب القومية العربية والحمد لله
علاوة من السلف والمعلم لها في حزب القومية
إلى أن تأتي على الساحة العربية
والأكثر من محلات الدين القلائد
إلى أهمة التجديد والاستمراري في
الحرية القومية وأهمية جديدة يرى
من خلال طرح مشروع جديده يرى
في تصدع الكواكب ويكون في الوقت
نفسه ملاما من حيث سياسته التي
تستطيع أن السلف بالحق في حزب القومية

مصالح من وجهة نظر من وهل هناك
تفريق أصلا بين جميع الحركات العمالية
في ساحة العمل القومي العربي؟
أما بالنسبة للإسلامية والشيوعية العمالية
أما بالنسبة للحركات العمالية
على مستوى الأراضي المحتلة
الحقيقة، فإن الدعوة إلى إبعاد جميع
سياسة لائحة تحريم الحركات القومية
الوطنية، ومن هنا ما نرى تحديدا
من اصطلاح منح سميت، تأتي أهمية
في تحريك الحركات القومية العربية
ولا نأخذنا البيان في هذا التحديد
أن من وراء هذا من مقلحات يقصر
أن يكون استنتاجا واجبة واجبة
لتأسيس نظام عربي جديد بل
القول إلى من كثير من أجزاء عمدة
إسعاد إنتاج الحركات القومية
القومية، ليس تحديدا
روية شعبية، وأطرح جديد الحركات
والحركات الشعبية والعمالية والأهم
والأعلى

الإمام ٢ يناير ١٩٧

الاهرام ٢ يناير ١٩٩٧

قضايا وآراء:

إحسان بكر:

الإدانة.. لا تكفى!!^(١)

بالضبط.. وبلا أى زيادة أو نقصان حدث ما توقعناه يوم الأحد الماضى فالاجتماع الطارئ لمجلس جامعة الدول العربية، انعقد وانفض فى نفس اليوم دون أن يحدث شئ. وقرار إدانة إسرائيل بشأن التوسع فى سياسة الاستيطان صدر بالإجماع. وكفى الله المؤمنين القتال!!

ومجلس الجامعة حذر من خطورة الموقف الراهن وأكد أن إسرائيل تتحمل مسئولية تفجير الأوضاع من جديد فى المنطقة.. ثم طالب بضرورة إجبار إسرائيل على وقف مصادرة الأراضى العربية ولم يحدد كيف كما طالب بوقف إقامة المستوطنات اليهودية لإنقاذ عملية السلام.

المهم، أن المجلس اجتمع وانفض دون أن يتخذ قراراً عملياً واحداً لوقف عملية سرقة الأراضى العربية فى وضوح النهار وتحت سمع وأنظار العالم. ومن قبلهم طبعاً الدول العربية. لكنه كنوع من التحذير ارتأى أن تظل اجتماعاته مفتوحة لمراقبة الأوضاع.

ومن البداية، نقرر أن الجامعة العربية بريئة من تهمة التقصير أو التواكل. فمن الظلم أن نحمل جهاز الجامعة العربية السلبية القائمة. فهذا هو الواقع العربى الأليم الذى نعيشه. فالبعض منا مازال يأمل فى السلام ولا يزيد أن يعطى أى فرصة لإسرائيل للقول بأن العرب قد تراجعوا عن نهج التفاوض والسلام. وهذا البعض تأكيداً لحسن نواياه لا يريد أن يقدم على خطوة واحدة ولو كانت هذه الخطوة هى إيقاف عملية التطبيع.

ولا ندرى هل أراد بعضهم إثبات حسن نياته تجاه الدولة العظمى راعية السلام؟ أم أنهم يتبعون القول المأثور: "أهل مكة أدرى بشعابها" فما دام أهل مكة - ونعنى بهم الفلسطينيين أصحاب القضية - مستمرين فى التفاوض بالرغم من

(١) جريدة الأهرام فى ٨/١٢/١٩٩٦.

صراخهم الذى ملأ المعمورة، وما داموا هم لم يتخذوا خطوة عملية واحدة لوقف مهزلة التفاوض المذل مع الجانب الإسرائيلى، فلماذا يطلبوننا نحن باتخاذ مواقف لا يقدرون هم عليها؟!

خلال الاجتماع الطارئ لمجلس الجامعة العربية تحدث مندوب فلسطين السفير محمد صبيح فكشف بالأرقام مجموعة من الحقائق توضع خطورة ما يجرى داخل الضفة الغربية وقطاع غزة.

تم بناء عشرة آلاف وحدة سكنية لاستكمال بناء المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية بالإضافة الى إقامة ٤ آلاف وحدة سكنية أخيرا ضمن القدس الكبرى.

قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلى بمصادرة ٢٠ ألفا و ٧٧١ دونما لشق شوارع وإقامة طرق الثقافية فى الأراضى العربية المحتلة.

تزايدت أعداد المستوطنين اليهود فى الأراضى المحتلة من ١٠٥ آلاف مستوطن عام ٩٢ إلى ٤٥٠ ألف مستوطن يهودى عام ١٩٩٦.

المندوب السورى السفير عيسى درويش حذر من خطورة استثناء إسرائيل من تنفيذ القرارات الدولية، وأكد أن القرارات الدولية أصبحت لا تنفذ فقط إلا على الجانب العربى: فى العراق وليبيا، أما إسرائيل فلها وضع خاص وأشار إلى أن هذا الأمر من شأنه أن يودى إلى انهيار عملية السلام وعودة دوامة العنف فى المنطقة. ثم قدم السفير السورى احصائية تثبت أن إسرائيل هى أكبر المستفيدين من عملية السلام التى تمت.

ارتفع حجم الاستثمارات فى إسرائيل من ٥٠٠ مليون دولار قبل أوصلو إلى ٢٥٠٠ مليون دولار بعد إبرام اتفاقات السلام.

ارتفع دخل الفرد فى إسرائيل من ١٣ ألف دولار إلى ١٨ ألف دولار سنويا.

وأعرب عن أمله فى أن تستخدم الولايات المتحدة نفوذها لإقناع إسرائيل بالعودة إلى المفاوضات، والالتزام بتنفيذ القرارات الدولية. ثم أتبع بيانه بطلب صغير وهو الوقف الفورى لعمليات التطبيع مع إسرائيل بسبب تجميد تل أبيب للمفاوضات واستئناف النشاط الاستيطاني بالأراضى العربية المحتلة.

المثير للدهشة، هو أن بعضاً من المندوبين العرب قد تحفظ على طلب سوريا بشأن الوقف الفوري للتطبيع العربى مع إسرائيل. وهكذا لم يتمكن الاجتماع الطارئ من اتخاذ موقف جماعى بشأن قضية الاستيطان تحت زعم الخشية من تأثيره السلبي على عملية السلام. فاكثفى المجلس بالشجب والإدانة والتحذير...!!

المهم أنه فى الوقت الذى كانت الجامعة العربية تعقد اجتماعها المشهود لبحث خطورة قضية المستوطنات على مسار عملية السلام. كان بنيامين نيتانياهو رئيس وزراء إسرائيل فى زيادة لمستوطنة اربيل فى الضفة الغربية. ومن هناك ووسط المستوطنين اليهود القتلة أكد مواقفه بالاستمرار فى سياسة الاستيطان وتأكيد حق إسرائيل فى الاحتفاظ بمنطقة وادي الأردن فى الضفة الغربية المحتلة وإلى الأبد. وأكد مجددا رفضه لاقامة دولة فلسطينية مستقلة ودعا إلى صيغة تعايش تترواح بين الخضوع العسكرى لإسرائيل وحق تقرير المصير للفلسطينيين، وأوضح أن اتفاقات أوسلو تركت مسألة الأراضى التى يجب أن تقع تحت السيادة الفلسطينية معلقة، وطالب بالبحث عن صيغ أخرى، وأشار إلى ضرورة استمرار التفاوض حول الوضع النهائى مع الفلسطينيين.

وفى مزيد من تحديه للانتقادات العربية، جعل نيتانياهو من زيارته لمستوطنة اربيل - وهى ثانى أكبر مستوطنة فى الضفة بعد معالى ادوميم شرق القدس - فرصة لإعلانها عاصمة السامرة وقال: سنبقى هنا وإلى الأبد، ولابد من توسيع اربيل وبناء مزيد من المدارس وبرك السباحة.

وقال مخاطباً الصحفيين الذين التقوا حوله: "هل كنتم تظنون حقاً أن رئيس حكومة منتخبة أعلنت أنها تتوى الإبقاء على التجمعات اليهودية فى يهودا والسامرة لن يزور هذه المستوطنات. ألا تفهمون أنه كانت هناك انتخابات فى إسرائيل.. وأن العالم العربى لا يفهم أنه كانت هناك انتخابات فى إسرائيل.. ولماذا لا تطور التجمعات اليهودية هنا؟.. وأضاف متسائلاً: لماذا ينبغى ألا تطور المستوطنات الموجودة هنا. وهل يمنع أحد تطوير القرى العربية القريبة. هل أقوم بمنع ذلك. هل أقوم بخنقها؟.. وتابع: إن من الأفضل للفلسطينيين وبعض الإسرائيليين أن يعتادوا على الفكرة القائلة بأننا سنعيش معا"

وأهى نيتانياهو تصريحاته مؤكدا مواصلة خطط توسيع المستوطنات
وأضاف أنه ليس هناك أى تغيير بشأن سياستنا تجاه مرتفعات الجولان أو الضفة
الغربية وقطاع غزة. لقد قلنا دائما إننا سنواصل سياسة بناء المستوطنات!!

.. وهكذا وصل بنا الحال إلى وجود حكومة متطرفة فى تل أبيب تقتل
النساء والأطفال وتنتهك كل قرارات المجتمع الدولى تزرع الأراضى المحتلة
بالمستوطنات اليهودية. يقيم عليها مجموعة من القتلـة المسلحين. تفرض سياسة
الأمر الواقع يعنى لم يعد شئ يتبقى للتفاوض عليه، بينما نحن نلتقى لمجرد
إصدار بيانات الشجب والإدانة.. ولا أكثر. والولايات المتحدة التى تحدثت مرارا
عن الديمقراطية تعتبر دولة إسرائيل هى الدولة الديمقراطية الوحيدة فى المنطقة.
أمريكا الآن تقف ضد العالم كله تأييدا لإسرائيل وتتصب نفسها وكيفا عن دولة
عسكرية نازية خارجة على القوانين تحكمها قيادة إرهابية متطرفة هدفها التوسع
والهيمنة وتقويض عملية السلام.

نخشى، ما لم يغير البعض من سياساته، ألا يجد الفلسطينيون فى
نهاية المطاف شيئا يتفاوضون عليه!!

قضايا وآراء:

فهمى هويدى

أندونيسيا فى مهب الريح^(١)

المشهد المفاجئ والأكثر إثارة الذى وجدته فى اندونيسيا، أن ذلك البلد
الكبير (٢٠٠ مليون نسمة) بدأ يسترد هويته الإسلامية، بعد عقود الطمس والمسح
والاغتراب، نعم يظل انضمام اندونيسيا إلى نادى "النمور" الآسيوية الصاعدة
خبرا مثيرا بامتياز، لكنى لا أحسبه مفاجئا، فى ظل ربح النهوض العاتية التى
هبت على جنوب شرق آسيا خلال العقدين الأخيرين، فأطلقت عقلا دولة حتى
مكنتها من التطلع إلى منافسة "العمالقة" ومزاحمتهم.

إن شئت فقل إن الحصاد فى اندونيسيا جاء من غير جنس الزرع، على
غير المألوف وخلافا للقاعدة ذلك أن كل الجهود التى بذلت بعد استقلال البلاد عن

(١) جريدة الأهرام فى ٢٣/١٠/١٩٩٦.

هولندا (عام ١٩٤٥)، ناهيك عن تلك التى بذلت فى ظل الاحتلال أرادت لأندونيسيا أن تتخلع من هويتها وتتجه غربا، لكن البذور التى آلفت لهذا الغرض إلى الثمانينيات أثمرت شيئا معاكسا فى التسعينيات، أقله أن الأمة الأندونيسية استردت هويتها وأصبحت أكثر تعلقا بها، بالرغم من أن الصراع حول الوجهة الحضارية لا يزال مستمرا، ولم يحسم بعد!

هذا المشهد المفاجئ تزامن مع مفارقة لا تخلو من دلالة مرة، لأن مصر والعالم العربى كانوا سياسيا أقرب إلى أندونيسيا فى زمن اغترابها الحضارى فى الستينيات والسبعينيات، أيام المد وعدم الانحياز، بينما صاروا أبعد عنها وأكثر انقطعا فى زمن الاسترداد وعودة الروح الذى لاح فى أندونيسيا منذ بداية التسعينيات، وهى المرحلة التى خيمت فيها على العالم العربى أجواء الانحسار وعدم اليقين أى أننا اقتربنا منهم حينما ابتعدوا، وابتعدنا عنهم حينما اقتربوا!

حينما زرت أندونيسيا لأول مرة قبل ربع قرن - فى ديسمبر ٧٠ - كان اسم مصر له رنينه القوى الذى لاحقنى حيثما ذهبت، الأمر الذى وفر لى أنذاك حفاوة مبالغا فيها، لكن هذه المرة - فى ديسمبر ٩٦ - لاحظت مثلا أن بهو الفندق الذى نزلت فيه علفت على أحد جدرانه ساعات تشير إلى التوقيت فى العديد من عواصم العالم، وكانت الرياض هى العاصمة العربية الوحيدة التى ظهر اسمها على الجدار، إذا أبديت الملاحظة سيقال لك على الفور إن حوالى ربع مليون أندونيسى يؤدون فريضة الحج كل سنة، وأن مليونا يذهبون إلى السعودية للعمرة فضلا عن أن مليونا آخرين يعملون هناك بصفة دائمة!

فى الزيارة الأولى أمضيت شهرا فى ضيافة الحكومة التى أعدت لى برنامجا زرت فيه أندونيسيا من أقصاها إلى أقصاها، لكن هذه المرة تلقيت مع خطاب الدعوة تنبيهها خلاصته أن مضيفى سيرحبون بى ابتداء من يوم الخميس ١٢/٥، وسيحملوننى فقط إلى الساعة الواحدة ظهر الاثنين ١٢/٩، بعدها سنتقطع علاقتهم بى، وإذا ما أردت أن أمد الإقامة، فذلك شأنى، وعلى أن أسدد النفقات من حسابى الخاص، وقد كان!

تلك ملاحظات جانبية فى السياق الذى نحن بصددده، لأننى عدت من الزيارة الأولى محزونا ومحبطا إلى حد كبير، ولكل من هذين الانطباعين أسبابه التى يتعين استعادتها وشرحها، لأنها تمثل خلفية المفاجأة التى وجدها عام ٩٦.

الغارة التبشيرية على أندونيسيا

إليك قصة الحزن ببعض التفصيل، فقد أتاحت لى الجولة أن أشهد عن قرب الكيفية التى قمعت بها الهوية الإسلامية لأندونيسيا، فى ظل الترويج لشعارات مثل "البانشاسيلا" والد "تاساكوم" (أشرت إلى مضامينهما فى الأسبوع الماضى)، الأمر الذى استهدف بالدرجة الأولى تغييب المرجعية الإسلامية عن مجتمع تزيد نسب المسلمين فيه على ٩٠٪ إضافة إلى أن تلك المرحلة شهدت أيضا مصادرة حركة "ماشومى" الإسلامية واعتقال قادتها، كما شهدت اختفاء المئات من الخطباء والعلماء فى ظروف غامضة.

وفى الوقت الذى كانت تقمع فيه الهوية الإسلامية على ذلك النحو، كانت عملية تغريب المجتمع ماضية على قدم وساق، الأمر الذى ظهر بقوة فى النخب المسيطرة على مقادير البلاد، وكانت عناصرها الأساسية معروفة بولائها للغرب، بالتوازي مع ذلك فقد كانت أبواب البلاد مفتوحة على مصارعها لبعثات التبشير الأجنبية، التى كثفت من نشاطها خصوصا بعد فشل انقلاب الشيوعيين على الرئيس سوكارنو فى عام ١٩٦٥ فقد شنت آنذاك حملة واسعة النطاق لملاحقتهم والقضاء عليهم، وبعد استبعاد الإسلاميين والقضاء على الشيوعيين. وجد المبشرون فى ذلك الفراغ فرصتهم الذهبية للانطلاق فى الفضاء الأندونيسى.

آنذاك كانت هناك جزر لا سيطرة للحكومة المركزية عليها ولا علاقة لها بها إلا فى الناحيتين السياسية والجغرافية، ولكنها كانت تحت سيطرة المبشرين ومنظماتهم التى وفرت إمكانيات هائلة لتحقيق هدفها المنشود فى سنة ألفين.

أذكر أننى حين سافرت إلى جزيرة "إيريان الغربية" فى سنة ٧٠، تم ترتيب أمر زيارتى مع إحدى المنظمات التبشيرية التى كانت تملك عدة طائرات صغيرة، وهى وحدها التى كانت تعرف خريطة المنطقة، بينما لم يكن لدى الحكومة أية وسيلة للوصول إليها.

غير أن ذلك النشاط التبشيرى ووجه بغضب من جانب المسلمين فى بعض الجزر، خصوصا فى جاوة وسومطرة، وتطور الأمر إلى صدامات عنيفة بين الطرفين فى عدة مدن، اشتهرت منها آنذاك مدينتا ميلابوه وماكاسار، اتهم المسلمون خلالها بإرهاب المبشرين(!)، الأمر الذى دعا الحكومة إلى عقد مؤتمر

فى جاكرتا عام ٦٧ لملتقى الأديان، افتتحه الرئيس سوهارتو الذى كان قد تسلم السلطة قبل ذلك بعامين وفى خطابه الذى ألقاه آنذاك لم يشر بكلمة إلى الإسلام، وإنما أعرب عن الأسى للصدام الحاصل بين المسلمين والكاثوليك والبروتستانت، وقال: إن صرح الحياة الدينية فى أندونيسيا يقوم على شىء واحد هو: مبادئ "البانشاسيلا" وأولها الإيمان بالله الواحد، وإن الجميع ينبغى أن ينبذوا خلافاتهم وأن يتعاونوا فى تنفيذ مبادئها الخمسة، التى تفتح طريق الازدهار لأندونيسيا.

من أهم الكلمات التى أُلقيت فى المؤتمر، ما قاله الدكتور تامبو نان وزير الشؤون الاجتماعية، الذى كان أحد أقطاب البروتستانت، وأعلن فيه صراحة أن البروتستانت يقومون بمهمة "التحديث" فى أندونيسيا، وأن ذلك هدفهم الأساسى، وأن أبناء طائفته يرتبطون بالدولة الأندونيسية حقاً، لكن ارتباطهم أكثر بالأوامر الإلهية المذكورة فى الإنجيل، التى تأمر المسيحيين بالتبشير وهداية الناس فى جميع أنحاء المعمورة!

ولك أن تتصور الأجواء التى سادت آنذاك ومكنت الرجل - وهو وزير مسئول فى الدولة - أن يتحدث بتلك الجرأة التى تحدث مشاعر الأغلبية المسلمة.

المسلمون أيضاً تحدثوا بذات القدر من الصراحة، وكان أهم متحدثيهم الدكتور محمد رشيدى الذى كان أول وزير للشئون الدينية فى البلاد، وعمل سفيراً فى عدد من الأقطار العربية والإسلامية، فقد حذر من "الغارة التبشيرية" على العالم الإسلامى. وروى كيف أنه شخصياً تعرض لمحاولة إخراجهِ من الإسلام وإغوائهِ بالدخول فى الكاثوليكية. وقال: إن ما حدث معه يتكرر يومياً مع ما لا حصر له من البشر. أضاف أن المبشرين حاولوا اختراق المجتمع الأندونيسى فى ظل الاستعمار الهولندى، ولكن الحكومة الاستعمارية تحفظت وتعاملت معهم بحذر شديد تحسباً لردود الأفعال من جانب المسلمين. وبعد الاستقلال وجدوا الحكومة الوطنية "أقل حذراً، فاندفعوا يحاولون تحقيق غاياتهم فى شتى أنحاء البلاد.

"انتقد الدكتور رشيدى زعم المبشرين بأنهم يسعون إلى "التحديث" ويعولون كثيراً على "التسامح" السائد، حيث يستظلون به لممارسة أنشطتهم، واعتبر أن إطلاق مثل هذه الشعارات هو من قبيل الاحتيال والكذب والضحك على عقول الجميع.

فشل المؤتمر فى الوصول إلى أية نتيجة، ومن ثم أعلن فضه، بسبب الخلاف حول اقتراح فى شقين، أولهما منع ممارسة التبشيريين اتباع أى من الديانات المعترف بها فى البلاد، وثانيهما دعوة من يريد التبشير إلى التوجه إلى المجتمعات الوثنية التى تعج بها المناطق الداخلية فى كاليمنتان وإيربان.

الدفاع بدراجة هوائية!

منذ ذلك الحين شاع انطباع قوى بأن أندونيسيا صارت نهبا للمبشرين، وصدرت عدة كتب فى العالم العربى منطلقة من هذه الفكرة، حيث مضت تحذر من أن الإسلام بسبيله إلى الاندثار من هناك، وأن الناس يدخلون "أفواجا" فى الكاثوليكية والبروتستانتية. ومازلت أحتفظ بكتابين من آثار تلك المرحلة واحد بعنوان "غارة تبشيرية على أندونيسيا". لمؤلف اسمه أبوهلال الأندونيسى، والثانى بعنوان: "أنقذوا أندونيسيا يامسلمون" للأستاذ عز الدين بليق. وكان الأخير قد زار أندونيسيا، وعاد يقول: إنهم يزرعون الكنائس هناك كما تزرع الأشجار!

فى كتابه أورد الأستاذ بليق - وهو لبنانى أن المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية اختاره مندوبا له فى الشرق الأوسط، معلومات جدية بالاهتمام منها على سبيل المثال:

• إحصائية منقولة عن مجلس الكنائس البروتستانتية فى أندونيسيا، أوضحت أن حجم أعمالها حتى سنة ٧٢ كما يلى : ٩٣١٩ كنيسة - ٢٣٩٧ قسيسا - ٦٥٠٤ مبشرين متفرغين.

• تصريح لمسئول فى جمعية الإغاثة الكاثوليكية نشر فى مجلة "قابلة" فى يوليو ٦٧، قال فيه إن الجمعية أنفقت أكثر من ٣٠ مليون دولار فى صورة أغذية وأدوية للمحتاجين، بالتعاون مع مجلس كنائس أندونيسيا فى الفترة من عامى ٦٢ و ٦٧.

• قدمت هيئة للمعونات الكاثوليكية فى مارس ٧٣ مبلغ ٤ ملايين دولار أمريكى إلى حكومة أندونيسيا، فى حفل أقيم بمقر وزارة الخارجية وقال مندوب الهيئة إنهم سيقدمون ذلك المبلغ إلى حكومة جاكارتا سنويا لمساعدة قطاع الإنماء القروى!

• المبشرون فى "كاليمانتان الغربية" لديهم ١٧ مطارا و ١٠ مدارس كبرى و ١٠ مستشفيات أما فى إيربان الغربية فثمة منظمة تبشيرية تملك سبع طائرات

صغيرة تستخدمها في الانتقال بينما المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية لا يملك سوى دراجة هوائية!

من المعلومات التي ذكرها كتاب "الغارة التبشيرية" نقلا عن صحيفة "كريستيان ساينس مونيتور" الامريكية (في ٦٧/٤/٥) أن رئيس مجلس الكنائس في الولايات المتحدة دعا إلى جمع مبلغ ٣٠٠ ألف دولار لإعانة الكنائس في أندونيسيا، وأن مجلة "تايم" أشارت إلى الخبر ذاته في تقرير لها نشر في ٦٧/٥/١٦. وذكرت أن المسيحية تتقدم بصورة ملحوظة في أندونيسيا، بالرغم من أن المبشرين عانوا الكثير من ضغوط الشيوعيين ومن "الإرهابيين" المسلمين (!!) طيلة سنوات حكم الرئيس سوكارنو.

أما التقارير التي ظلت تصدر عن عدد الذين تحولوا من الإسلام إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية فحدث عنها ولا حرج. وقد ظلت تلك الأرقام تدور حول عشرات الآلاف، حتى قرأنا لأحد مشاهير الكتاب الصحفيين قبل عام قوله إن ألف مسلم يتتصرون يوميا في أندونيسيا. وكانت هذه المعلومات كلها تعطى صدقية لما تريد من أن الفاتيكان وضع خطة لتنتصر اندونيسيا في سنة ٢٠٠٠.

أيا كان الأمر، فإن الانطباع الذي استقر بين المسلمين كانت خلاصته أن أندونيسيا إما ضاعت من المسلمين أو أنها بسبيلها إلى ذلك، والمدهش في الأمر أن كثيرين استسلموا لذلك الانطباع، حتى شهدت محافل تحدث فيها نفر من الدعاة مترحمين على "البلد الفقيد" الذي كان جزءا من عالمنا الإسلامي يوما ما، لكنه انتزع منه بواسطة المبشرين والمخططات التي تقف وراءهم!

أسوأ ما في هذا الانطباع أنه صور لكثيرين أن أندونيسيا غدت قضية ميثوسا منها، وأن المخططات التبشيرية لتتصيرها هي قدر لا فكاك منه!

هكذا فإن الواقع الأندونيسي بدا كنيبا في السبعينيات، كما أن صدهاء في بعض الدوائر بالعالم الإسلامي كان بائسا إلى حد كبير.

وأحسب أن حاصل جمع تلك الكآبة التي لمستها في الداخل، وذلك البؤس الذي تراءى في الخارج لابد أن يتمثل. عند حده الأدنى - في الحزن الذي انتابني بعد العودة من الزيارة الأولى، والذي أشرت إليه قبل قليل.

تحالف التغريب والعسكر

الاحباط له قصة أخرى، خلاصتها أن المشهد السبعيني فى اندونيسيا (التبشير أعنى) كان أحدى ثمار - وربما ضمن فاتورة - المساندة الغربية القوية للجنرال سوهارتو ورفاقه من العسكر الذين تولوا السلطة فى عام ١٩٦٥. إن شئت الدقة فقل إن التحالف الأساسى فى السنوات العشرين التى أعقبت الاستقلال (من ٤٥ إلى ٦٥) كان بين الرئيس سوكارنو والقوميين واليساريين وفى مقدمتهم الشيوعيون" (بالرغم من انقلاب الأخيرين عليه أكثر من مرة) وكان المسلمون هم ضحية ذلك التحالف. أما فى المرحلة التالية فقد كان التحالف بين العسكر والمتغربين، الذين تولوا تدعيم أركان النظام الجديد، الذى كان شديد الحاجة إلى المساندة فى سنوات حكمه الأولى بوجه أخص، بسبب افتقاره إلى الشعبية والشرعية.

لذلك كان ملحوظا أن حصة المتغربين فى السلطة بعد عام ٦٥ كانت عالية بدرجة لافتة للنظر، وصفة المتغربين تطلق فى أندونيسيا على الذين تنصروا، ومن ثم ارتبطت مصالحهم ومصائرهم بالكنايس والمنظمات الغربية، فمن بين ١٩ وزيرا فى الحكومة كان هناك خلال حقبتى السبعينيات والثمانينيات عشرة وزراء كاثوليك على الأقل، أى أكثر من نصف مقاعد الوزارة بينما نسبتهم فى تعداد السكان لا تتجاوز ٧٪ أما المسلمون الذين يمثلون ٩٠٪ من السكان، فقد كان يمثلهم تسعة وزراء فقط.

إضافة إلى التمثيل انعالى فى حقائب الوزارة، فقد ظلت الوظائف الأساسية حكرا عليهم: رئاسة أركان حرب القوات المسلحة، رئاسة جهاز الأمن رئاسة البنك المركزى .. إلخ وإذا علمت مثلا أن رئيس أركان الجيش الأندونيسى لمدة ١٨ سنة (اسمه بنى موردانى) كان كاثوليكيّا من أب مسلم وأم ألمانية، فلك أن تتصور تأثير ذلك على إعادة تشكيل الجيش وترفيه قياداته، فى ظل تحيزاته التى أثارت نقمة المسلمين داخل الجيش وخارجه. لقد كان المسلمون ضحية للوضع الجديد أيضا، من ناحية لأن النخبة الحاكمة ظل من مصطلحتها طمس الهوية الإسلامية لإلحاق أندونيسيا بالنموذج الغربى، ومن ناحية أخرى لأن بعض عناصر النخبة أقتعت الجنرال سوهارتو بأن المسلمين خطر على نظامه وحكمه، بقدر ما أن الشيوعيين ظلوا خطرا على نظام الرئيس سوكارنو بالرغم من تحالفهم معه. من ناحية ثالثة لأن هذه الأجواء كان من شأنها فتح أبواب أندونيسيا

على مصارعها لبعثات التبشير ومنظماتها، التي ركزت جهودها في محاولة لتصوير عوام المسلمين وبسطاتهم.

هكذا فإنه بينما استمر التغريب والتتصير وقمع حركة المسلمين كرس العسكر مواقعهم وأعادوا تشكيل الحياة السياسية بحيث يستمر إحتكارهم للسلطة. نعم كان هناك ثلاثة أحزاب رئيسية (أحدها باسم حزب العمال "جولكار" وهو الحزب الحاكم، والثاني باسم الحزب الديمقراطي الأندونيسي، والثالث حزب التنمية)، لكن هذه الأحزاب ظلت تمثل واجهات للتعددية السياسية فقط بينما القرار الحقيقي بيد الجيش.

جرى تقنين هذا الوضع لاحقاً في عام ٨٢، حين صدر قانون وسع من دور الجيش في الحياة السياسية وخصص لممثليه ٧٥ مقعداً في المجلس النيابي. وبالمناسبة فإن عدد أعضاء المجلس ١٠٠٠ شخص ٦٠٪ منهم معينون من قبل رئيس الجمهورية أى أن بين الألف نائب يوجد ٦٠٠ شخص معين (حصة الجيش داخلية في هذه النسبة)، أما الـ ٤٠٠ الباقون فأغلبهم من ممثلي الحزب الحاكم (جولكار).

سيطرة الجيش والمتغربين على الحياة السياسية، توازت معها سيطرة الصينيين على الحياة الاقتصادية، وهذه ظاهرة متكررة حيث فعل الهولنديون في أندونيسيا ما فعله الإنجليز في ماليزيا، الطرفان المحتلان أرادا ضرب البنية الاجتماعية القائمة، فاعتمدا على عناصر مستجبة من الخارج. فى ماليزيا استقدموا الصينيين لإدارة الاقتصاد والهنود للعمالة، وأندونيسيا لاتنقصها اليد العاملة، لذلك فإن الهولنديين استجلبوا الصينيين لإدارة الاقتصاد، حتى صاروا تقليدياً مديري الشركات وأصحاب المصارف والممسكين بزمام الصناعة والإنتاج فى البلاد.

هذه السيطرة كانت قد تبلورت فى السبعينيات. وتطورت فى الوقت الراهن حتى قبل لى إن الصينيين يسيطرون على ٧٥٪ من اقتصاد اندونيسيا، وأن مجموع رعوس الأموال التى لديهم تقدر بـ ٧٠ مليار دولار، ومن الإحصاءات اللافتة للنظر فى هذا الصدد، أن عدد المليارديرات فى أندونيسيا ٢٢٠ شخصاً، منهم ٢٠٢ من الصينيين (بنسبة ٩٢٪) وأغلب هؤلاء الصينيين من الكاثوليك، وقد فسر كثيرون اعتناقهم للكاثوليكية باعتباره سبيلاً للتقارب والتفاهم مع النخبة المسيطرة فى البلاد!

للصورة شهدت انقلاباً منذ بداية التسعينيات أدى إلى توتر العلاقات مع الأوروبيين والفاثكان، وأسفر عن منح جائزة نوبل هذا العام لاثنتين من المنشقين على حكومة جاكورتا في "تيمور الشرقية".

وانتهى الأمر بأن وجدنا حلفاء أمس يتباكون على الحريات المفقودة وحقوق الإنسان المهذرة في أندونيسيا، ويشهرون بنظام ظلوا يدعمونه طيلة ربع قرن تقريباً (من ٦٥ إلى ٩٠).

كيف حدث ذلك ولماذا؟ نجيب عن السؤال الأسبوع القادم بإذن الله.

قضايا وآراء: صلاح الدين حافظ

حوار الرئيس.. الديمقراطية ومحاربة الفساد! (١)

نبدأ حديثنا اليوم، بثلاث وقائع محددة، تتعلق بظواهر الفساد المستشرية في عالم اليوم، خصوصاً في مجتمعاتنا الفقيرة المحدودة الإمكانيات.. ومدى قدرتنا على المقاومة!

الواقعة الأولى، جرت يوم أن ذهب الرئيس حسنى مبارك، وذهبنا معه لافتتاح المطبعة العملاقة الحديثة للأهرام العتيقة، فى مدينة السادس من أكتوبر.. كعادته التقى الرئيس بعدد محدود من الكتاب والصحفيين، وأدار معهم حواراً حراً مفتوحاً، تراوح فى امتداداته وتشعباته من دعم صناعة السينما إلى دعم موقف المفاوض العربى فى وجه التعنت الإسرائيلى الخليط فج المظهر والجوهر..

غير أنى أثرت أمام الرئيس مبارك، قضية الفساد واتساع مظاهرها فى مصر هذه الأيام، وارتباط ذلك كله، بحالة التسبب وسوء الإدارة واستغلال النفوذ، وصولاً لتهيئة المناخ للتطرف والإرهاب من ناحية، وارتباطه بضرورة تعميق الديمقراطية وإعمال الرقابة والمحاسبة وتطهير الذمم وكشف الحقائق لتعرية الفساد وفضح المفسدين من ناحية أخرى.

(١) جريدة، الأهرام فى ٢٣/١/١٩٩٦.

قلت للرئيس، إننا نثير هذه القضية ونحن ندرك أن على رأس الدولة محمد حسنى مبارك، الذى رفع شعار طهارة الحكم منذ أول يوم جاء فيه إلى الرئاسة فى ١٤ أكتوبر ١٩٨١، وأن على رأس الحكومة الحالية، الدكتور كمال الجنزورى، الذى اشتهر منذ أن سمع الشعب اسمه قبل أكثر من عشرين عاماً، بالنزاهة والنظافة، ولأن ظواهر الفساد تتزايد بدرجة مهددة للمجتمع، فإننا نطالب الرئيس مبارك بقيادة حملة قومية لتطهير البلاد من هذا الفساد!

استمع الرئيس بصبر ثم تحدث ورد بموضوعية موضحاً شيئين أولهما تأكيده الثابت على إيمانه الدائم وجهده المستمر لمحاربة الفساد، وعدم التستر عليه مهما كان المسئول، وبتقديم المفسدين للمحاكم، وباحترام دور الصحافة فى كشف الفساد، بشرط الموضوعية والصدق فيما تنشر، وثانيهما تأكيده على أن الفساد ظاهرة عالمية - وليست خصوصية مصرية أو عربية فقط - وأن أعتى الديمقراطيات الغربية، مثل إيطاليا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، تعاني من ظواهر الفساد هي الأخرى، وربما أكثر مما نعانى.

الواقعة الثانية، حدثت بعد أن انتهى الرئيس من حوارهِ المفتوح ونزل من المنصة إلى القاعة فى طريقه للانصراف، تجمع حوله عدد من الوراق والصحفيين فى مدخل القاعة، وكنت بعيداً عن الحلقة المحيطة به، فإذا بمن يبلغنى "أن الرئيس ينادى عليك"... ذهبت مخترباً الحلقة، فقال الرئيس لى:

تعال ها هو الدكتور الجنزورى رئيس الوزراء، قل له ما عندك إن كنت تعرف قضية فساد، حتى يتخذ فيها الإجراء القانونى، نحن لا "نغطي" على أى فساد.. قلت له يا سيادة الرئيس ليس لدى قضية فساد محددة، ولكن واجبى ككاتب أن أتعرض للظاهرة وأضعها أمام المسئولين وأمام الرأى العام، ولحسن الحظ أن مساحة حرية الصحافة الراهنة تتيح لنا أن نفعل ذلك، وأنا لست جهة رقابة أو جهاز أمن وضبط!

ولكن هذه مهمة أجهزة الرقابة العديدة فى البلد، وها أنا أصر مرة أخرى على أن يقود الرئيس شخصياً حملة قومية لمحاربة الفساد، خصوصاً أن الخصخصة وبيع القطاع العام، قد جاء فرصة ذهبية للسلب والنهب والسمسرة والاختلاس والكسب غير المشروع، وها نحن نقرأ يومياً عن حالات مستفزة، ابتداء من "أمين شونة" فى إحدى القرى الذى ظل يسرق بهدوء ليكون ثروة

بالملايين الخمسة وصولاً إلى المسئول الكبير بإحدى شركات القطاع العام - المتحول إلى قطاع الأعمال، الذى تضخمت ثروته فى بنوك الخارج، لتصل إلى الستين مليون دولار، وفى الحالتين تم ضبط هذا وذاك بالصدفة أو الوشاية!

تدخل رئيس الوزراء فى الحوار قائلاً لى أمام الرئيس، وباقى المسئولين، أحب أن أطمئنك أننا خلال أيام سنغلق الثغرات القانونية والإدارية التى كان ضعاف النفوس يستغلونها للسرقة والاختلاس والإثراء غير المشروع.. ثم تشعب الحديث!

هنا تأتى الواقعة الثالثة، فبعد أربعة أيام بالضبط مما جرى آنفاً، تفضل الرئيس مبارك، فبعث لى برسالة شفوية جديدة، يؤكد فيها من جديد، رأيه الذى أوضحه وهو القائم على أنه ضد الفساد وسيحاربه دوماً، رغم أن الفساد ظاهرة عالمية، مشيراً فى هذا الصدد إلى ما ينشر فى الصحف المصرية والأجنبية، وبالتحديد ما كتبه الزميلة العزيزة مها عبد الفتاح، فى جريدة الأخبار يوم ١٦/١٠/١٩٩٦ تحت عنوان "الفساد ظاهرة عالمية" وطلب منى أن أقرأه، وأستعد للمناقشة مرة أخرى!

وتعليقى على هذه الوقائع الثلاث يأتى كالاتى تحديداً...

أولاً: إن حرص الرئيس مبارك على نظافة اليد ومحاربة الفساد، قضية محسومة بالنسبة لى، فمنذ أن قابلته وعرفته شخصياً عن قرب فى بدايات حكمه. وبالتحديد فى أوائل عام ١٩٨٢، حتى اليوم، وهو أمامى حسنى مبارك القائد الوطنى النظيف، والقومى العربى، والشجاع فى مواجهة الأزمات الرفض للانحرافات...

ولعل حرصه بل وإصراره على التفاوض معى أمام الجميع ثم حرصه من بعد على إيلاعى رسالته وتأكيد، حول محاربة الفساد وفضح عصاباته وخلاياه، إنما يؤكد صلابه الرجل ونزاهته، وهو الأمر الذى دفعه من وجهة نظرى الشخصية إلى اختيار "نوعية" الدكتور كمال الجنزورى لرئاسة الحكومة، فى هذه المرحلة التى تشهد تحولاً جذرياً فى إدارة الاقتصاد المصرى، من سيطرة الدولة إلى الخصخصة، وهى مرحلة لا تستدعى الانضباط والموضوعية والوطنية فقط لكنها تستدعى أيضاً النزاهة والنظافة والبعد عن التورط فى "البيزنس" والصفقات المشبوهة والشركات الخفية والمصالح العائلية، وكلها صفات يتمتع بها

الجنزورى، تؤهله قولا وفعلًا، لإيقاف النزيف المستمر والاستنزاف غير المنظم لاقتصاديات الوطن، تحت اسم الخصخصة المنفلتة والبيع العشوائى للمشروعات والكسب والتربح من ورائه!

والمعنى من كل ذلك، هو أننا أمام رئيس يستمع للرأى الآخر ويحترم الحوار الموضوعى، ولا يضيق صدره بالنقد وليس حساسًا - كغيره من إثارة قضايا الفساد، لكنه لأنه نظيف فهو لا يتردد فى الحوار المفتوح وفى الاستماع الصبور، ثم لا يتردد فى قيادة التوجه لمحاربة الانحراف حين يتثبت من وقائع..

ولعل ما فعله معى عبر الوقائع الثلاث السابق ذكرها، إنما يمثل دعوة مفتوحة لكل مواطن شريف، ليس فقط ليقول رأيه بحرية، ولكن ليتقدم بما لديه، إن كان يملك دلائل ووثائق حول أى وقائع فساد وانحراف أو استغلال نفوذ وإثراء غير مشروع.. نعم هذا بالضبط ما فهمته، وهذا هو ما أدعو إليه كل مواطن، الآن قبل الغدا!

ثانيًا: نعم نعرف وندرك أن الفساد ظاهرة عالمية، وكونها ظاهرة عالمية، لا يدفعنا إلى التسليم "بمشروعيتها" أو الاستسلام لفسادها وانحرافها، أو تبريرها حين يتعلق الأمر بشعوبنا الفقيرة المنهكة اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا.. والمسألة لا تتعلق فقط بالمبادئ الأخلاقية، ولكنها ترتبط أيضًا بالماديات والسياسات التى تبنى المجتمعات أو تدمرها، والفساد المالى والأخلاقى والسياسى، هو السوس الذى ينخر الظهر فيؤدى إلى التهلكة، للفرد والمجتمع والدولة والحاكم معًا!

ولعل النموذج الفذ فى عصرنا الحديث، هو النموذج السوفيتى، حيث كان الفساد المستشري من القاعدة فى الشارع إلى القمة فى الكرملين، هو أهم أسباب الانهيار المفاجئ للاتحاد السوفيتى - القوة العظمى - ولا يزال هو سبب التدهور الحاد فى روسيا حتى اليوم ربما تكون إيطاليا فى المجتمع الرأسمالى الغربى، هى التى تشهد ارتفاعا فى معدلات الفساد، لكنها أولا لا تستسلم بل تقاوم وتظهر وتحارب، ثانيًا هى ليست وحدها، فموجات الفساد السياسى والمالى والقانونى - ناهيك عن الأخلاقى - تشق الظهور فى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وأمريكا، ثم فى الهند وكوريا واليابان وتركيا، وصولا بالعدوى إلى البرازيل والأرجنتين وباقي أمريكا اللاتينية، أما عن أفريقيا والشرق الأوسط فحدث ولا حرج، خصوصا

بعدما تدفق النفط وتراكمت الثروات واشتعلت الصدامات والحروب، وتقاطرت الصفقات الهائلة، من صفقات السلاح إلى صفقات المخدرات وغسيل الأموال القنرة!

فى مواجهة ذلك فإن مقاومة الفساد، مطلب سياسى اجتماعى وعالمى أيضا، ولعل مالفت نظرنا، هو ما نشرته صحفنا صباح ١٦/١٠/١٩٩٦، عن دخول البنك الدولى - للغرابة!! - معركة محاربة الفساد فى العالم، عن طريق تقديم مساعدات مباشرة للحكومات التى تعاني نفشى الفساد لكى تتمكن من مواجهته... فقد أكد مدير البنك أن الفساد قد أصبح سرطانا يلتهم جهود التنمية، ويجب من ثم مكافحته فى كل دولة فى العالم، بعد أن أصبح هذا الفساد متعاوناً مع استغلال النفوذ والسلطة وتكوين الثروات عن طريق الاختلاس والعمولات والرشاوى، عاملاً معوقاً للتنمية، بل أصبح سرداباً تتسرب من خلاله المعونات التى يقدمها البنك الدولى - والدولة المانحة - للدولة الفقيرة.

ولعل النماذج فى هذا الخصوص واضحة جلية!!

ثالثاً: حين يتعلق الأمر بمصر تحديداً، فإن البعض تصور مثلاً أن الديمقراطية تعنى حرية الإثراء والكسب والتربح غير الشريف، دون أن يحاسب أحد أحداً، وتصور بالتالى أن الرأسمالية وآليات السوق تعنى حرية السرقة والاختلاس والنهب، وتصور أيضاً أن الخصخصة وبيع القطاع العام، هى فرصة الانقضاض على التركة لاقتسامها على مائدة اللثام، فإذا ما تجرأ واحد من غير "شلة الأتس والبيزنس" على معارضة ذلك، حتى بمجرد التلميح دون التصريح، سارعت الأبواق بتهمة بالحقْد والحسد ومحاربة النجاح، وبالشيوعية واليسارية والانقلابية.. فإذا ما علمنا أن حجم القطاع العام الذى يباع الآن، يصل الى مئات المليارات، وأن التسرع ببيعه تحت شروط البنك والصندوق الدوليين - يعنى التساهل فى "الثمن" ويفتح باب السمسرة والعمولات ثقلية الأرقام، لعرفنا أن المائدة عامرة بالفعل أمام اللثام!!

وإذا ما علمنا أن مصر لا تزال مدينة بنحو ٣٠ مليار دولار، بعد أن كانت ديونها قد وصلت الى أكثر من خمسين ملياراً وأنها تتلقى معونة أمريكية سنوية تصل الى ٢,١ مليار دولار، وأنها تستورد بثلاثة أضعاف ما تصدره، وأن الثروة

تتركز فى أبدي قلة ضئيلة مقابل اتساع مساحة الفقر بين ٦٠ مليوناً، وأن التكاليف على الإثراء - حتى غير المشروع - يرتبط حتماً بالنفوذ والسلطة والفهلوة وصلات القربى والسهرات والشللية لأدركنا أن ظواهر الفساد المالى والاقتصادى والأخلاقى، تتزايد وتتسائد، فالفساد يسند بعضه بعضاً، ويفرخ كل يوم جديداً، ويعلو صوته مع كل سوس ينشره، حتى صار الأمر عادياً يتقبله الناس، ليس فقط دون تساؤل ومساءلة وحساب وعقاب، ولكن حتى دون اندهاش!

ونحسب أن هذه هى القضية الأخطر.. فحين نقبل ظواهر الفساد ونتعايش معه ونصمت أمام استشرائه ونهون من شأنه، ونخاف من مواجهة سرطانه ونوافق رموزه، ونحول اللصوص والمختلسين والسامسة المهربين وأصحاب العملات والرشاوى، إلى "نماذج ناجحة وقذوة حسنة" فى الإعلام والعمل والاستثمار والحياة الاجتماعية، تصبح القضية قضية انهيار كامل.

حسناً نفعل الحكومة، حين تقدم من يقع الى المحاكمة، لكن المشكلة أن الفساد قد أصبح ظاهرة معقدة، تفاعلت مع التقدم واستفادت من العلم وثورة التكنولوجيا، وتمرست بالتهرب والتخفى والتسرب فلا ينكشف منها إلا القليل ولا يقع فاسد إلا مصادفة أو بوشاية نسائية!!

ورغم ذلك.. يظل سؤالنا قائماً: أين إذن أجهزة الرقابة والمحاسبة والأمن، وماذا تعمل فى مواجهة تفشى ظواهر الفساد التى أصبحت كجبل الجليد، لا نرى منه إلا قمته، أما جسمه الهائل فهو غائص تحت الماء الامر الذى يستثير الأغلبية الفقيرة الشريفة والمحبطة!

رابعاً: فى مواجهة من يعتقدون أن التحول للرأسمالية، وتطور الديمقراطية، يعنى حرية الفساد الاقتصادى والسياسى، فإننا نؤمن أن الديمقراطية بكل قيمها - وليدة الرأسمالية الغربية - هى أقوى أسلحة الحرب على الفساد، وكشف ظواهره وفضح جنوده ولولا التوازن الدقيق القائم فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية، بين الحريات العامة التى يتمتع بها المجتمع المدنى، ونمو المصالح الرأسمالية وتضخم جماعة المصالح الاقتصادية، لشهدت هذه المجتمعات انهيارات مفاجئة، تذكرنا بانتهاء الاتحاد السوفيتى !!

وربما نكون نحن فى هذه الظروف ووسط هذه التحولات، أحوج الناس، لمثل هذه التوازن الدقيق، بين أنماط التحول للرأسمالية وآليات السوق، وبين ضرورات الحفاظ على القيم الأخلاقية والدينية والتوازن الاجتماعى وتشجيع

التحول الديمقراطي، وإطلاق حريات الرأى والتعبير، وخصوصا حرية الصحافة، وهى الكاشفة المراقبة المهاجمة.. ونحسب أن أحد أهم أسلحة محاربة الفساد، هو البدء بإصلاح سياسى دستورى شامل يحقق هذه المواءمة والملاءمة والتوازن المنشود، ويرسخ الحريات العامة على أسس ثابتة مستقرة، لا تميل مع الهوى ولا تتغير أمام للهواء، إنما يضع ناصية الأمور فى يذى أصحابها الحقيقيين، فى أيدى أغلبية الشعب القادرة، ليس فقط على تحديد مصلحتها الحقيقية، ولكن القدرة أيضا على مواجهة الفساد بكل صورته وألوانه وضرب أوكاره واصطياد ثعالبه المخادعة!

فهل يكون كل ذلك، هو أساس حملتنا القومية "ضد الفساد، ونحو التقدم والحرية" ابتداء من الآن، وصولا للقرن الحادى والعشرين.. دعونا نحاول ونبدأ دون خوف أو يأس!

خير الكلام: يقول الإمام على :

المال يستر رذيلة الأغنياء والفقر يغطى فضيلة الفقراء.."

قضايا وآراء:

محمد باشا

من حسن الطالع وعظيم الاعتراز أن يأتى مبارك وأهرام أكتوبر (١) الصحفية الجديدة فى أجواء عيد انتصار أكتوبر العظيم وأن يفتتحها الرئيس مبارك ونحن نذكر له بكل فخر بطولته فى قيادة قواتنا الجوية، التى حققت بضربتها الرائعة افتتاحية النصر لقواتنا المسلحة بكل فروعها.

ومن حسن الطالع وعظيم الاعتراز أن يأتى افتتاح الرئيس لهذا الانجاز العملاق مع مطلع العالم السادس عشر لتوليه مسئوليات الحكم الذى تحتفل به مصر اليوم ويضيف بذلك إنجازا حضاريا جديدا فى منظومة العمل الوطنى التى تنقل مصر إلى القرن الحادى والعشرين.

(١) جريدة الأهرام فى ١٤/١٠/١٩٩٦

والحق أنه إذا كان لنا أن نفخر بهذا الإنجاز الصحفى العملاق الثالث فى سلسلة مشروعات "الأهرام" فإنه ماكان يمكن أن يتم لولا هذا المناخ الديمقراطى الذى أرساه الرئيس منذ توليه المسئولية وانحيازه الدائم الى حرية الصحافة مما أكسبها مصداقية وسط الرأى العام جعلها قادرة على الانطلاق إلى رحاب التطور والأخذ بأحدث ماوصلت إليه التكنولوجيا العالمية فى عالم الصحافة وهو مايمثل إطلالة على القرن الحادى والعشرين لأحد المشروعات المصرية العملاقة فى دنيا مهنة البحث عن المتاعب.

وبصدق أقول إن مشاعر السعادة والفخر التى بدت واضحة على ملامح الرئيس خلال افتتاحه لمطابع الأهرام وتفقدته لأقسامها انعكست علينا جميعا نحن أسرة الأهرام مع عميدها الأخ الكبير ابراهيم نافع حيث كان الرئيس بالغ الحرص على متابعة كل شىء ونقل هذه المشاعر إلى العالم كله من خلال حديثه إلى الكتاب والصحفيين والإعلاميين وتصريحاته للصحفيين بقوله: أن الأهرام هو أولا.. أكبر صرح صحفى، وهو فى الحقيقة جريدة ومؤسسة ضخمة جدا نحترمها جميعا وطوال عمرها ومنذ أنشئت وحتى اليوم لها دور فى سياسات المنطقة والسياسات العالمية، وهى صرح من الصروح التى تفخر بها مصر ومدرسة من مدارس الصحافة العالمية ذات التاريخ الطويل وأن ماشاهدته فى مطابع الأهرام ليس متوافرا الا فى أكثر الدول تقدما وأن مصر بهذه المطابع دخلت القرن الجديد فى مجال الطباعة والنشر والصحافة بكل معطيات هذا العصر وأمل أن تسير المؤسسات الصحفية الكبرى الاخرى على هذا الطريق.

وإذ نعتزف أننا "أسرة الأهرام" لانجيد الحديث عن الذات اقتناعا وإيمانا بأن كل أعمالنا وجهودنا نكرسها لخدمة الوطن العزيز وقارئ الأهرام الكريم باعتبارها رسالة وطنية مقدسة نواصلها بكل إخلاص وصدق فى مصر والعالم العربى وعلى إتساع أرض المعمورة ونرفع راية التنوير بأمانة لكى تظل مصر دائما ابدا فى عيون العالم تحتل ماتستحق من تقدير واحترام ولكى يظل قارئنا على اتصال دائم ومستمر مع أخبار مجتمعه والعالم كله.

وتأتى شهادة الرئيس مبارك أمس تجديدا لشهادته عندما افتتح من قبل هرم الطباعة فى قليب فى نوفمبر ١٩٨٧ وافتتاحه مبنى الأهرام بالجلء عام ٩٣ الذى يمثل هرما ثانيا لكى تصبح جميعها أوسمة على صدور كل العاملين فى أسرة الأهرام نفخر ونعتزبها مثلما نفخر ونعتز بأن نقدم لقارئ الأهرام هذا الهرم

الثالث بمدينة السادس من أكتوبر الذى يضم أكبر وأعظم المطابع الصحفية إتاحة المساحة الأوسع والفرصة الأكبر للمادة التحريرية المتنوعة التى تحقق رسالة الأهرام فى التتوير ينشر الفكر والرأى والخبر والتحقيق وكذلك تقديم المادة الإعلانية الأكثر جاذبية.

هذه مجرد ملامح سريعة لصورة هذا الإنجاز العملاق وماسوف بحققة للوطن وصحافته وأبنائه وبضيف بذلك رصيذا جديدا إلى إنجازات الأهرام التى تتمثل فى إصدار ١٣ دورية يومية وأسبوعية ونصف شهرية وشهرية تفتح الافاق واسعة رحبة فى عالم الصحافة والإعلام وفى مختلف فروع العلم والمعرفة ومنها ما يصدر بالإنجليزية والفرنسية تأكيدا لدور الأهرام فى التتوير وبحرص بالغ على مواكبة أحدث مافى العصر من تكنولوجيا مع الحفاظ على القيم السامية والمبادئ العليا التى تتفق مع اسم مصر العزيزة والتى يحمل الأهرام رايتها على امتداد نحو ١٢٠ عاما.

ويصدق أقول إن كل هذه النجاحات تحققت بإدارة مخلصه واعية لعميد أسرة الأهرام الأخ الكبير ابراهيم نافع واشهد وقد شاركت وعشت فى كل تفاصيلها على امتداد أكثر من ١٤ عاما كعضو لمجلس إدارة الأهرام ومجلس تحريره، حتى اليوم أن وراء هذه النجاحات سياسات تعتمد على ثلاثة عوامل رئيسية هى:

- ١- أن يكون تمويل هذه المشروعات ذاتيا.
- ٢- أن تحقق اهدافها فى خدمة الحاضر وفترة زمنية طويلة للمستقبل.
- ٣- الحرص على رعاية العاملين فى كل موقع وتقديم جميع أنواع الرعاية التى تقدم بالأهرام "الأم".

يبقى أن أقول إن الأهرام وهو يقدم هذه الإنجازات إنما يدرك عن وعى أنه يؤدى رسالته العظيمة السامية، ويقدم لقارئه أفضل ماعنده.. تأكيدا ودعما لجسر الثقة التى ربطت بينهما على مدى أكثر من ١٢٠ عاما وهو على يقين كامل أنه يعيد الفضل إلى أصحابه.

ممس

فرض حدث افتتاح الرئيس لمطابع الأهرام الجديدة نفسه على مساحة مقال هذا الأسبوع..

واستأذن القارئ أن نستأنف الاثنتين المقبل حديثنا حول مقال به العالم كله،
حول نظرية الأمن الإسرائيلي التي تحطمت بشجاعة أبطال أكتوبر كدليل واقعي
على صدق دعوة مصر وزعيمها حسنى مبارك بأن السلام أولا .. لأنه هو الذى
يصنع الأمن ويصنع الاستقرار ويصنع التعاون الاقتصادى "

تراث زعماء مصر وأهمية توثيقه (١)

د. هدى جمال عبدالناصر

حلت الذكرى السادسة والعشرون لرحيل ديجول فى نوفمبر ١٩٩٦ ومن المفارقات التاريخية أن يكون ٢٨ سبتمبر ١٩٩٦ الذكرى السادسة والعشرين لذهاب جمال عبد الناصر إلى رحاب ربه.

وعندما أقارن ما فعله الفرنسيون للمحافظة على تراث زعيمهم الذى وافته المنية بعد خروجه من السلطة على أثر معارضة الشعب الفرنسى لسياسته فى استفتاء ١٩٦٩، وبين ما فعلناه - نحن المصريين بتراث عبد الناصر الذى رحل عنا فى لحظة تمثل قمة العطاء، ليس من أجل مصر فقط وإنما من أجل مبادئ القومية العربية والوحدة العربية - أعنى فى ختام مؤتمر القمة العربية فى سبتمبر ١٩٧٠ الذى دعا إليه من أجل دماء الفلسطينيين فى الاردن - فأبني أشعر بالأسى!

لقد قام أعوان ديجول فور رحيله بإنشاء "معهد شارل ديجول" واختاروا له مقرا يمثل معنى رمزيا وهو مكتبه القديم فى شارع "سولفرينو" بباريس، وهو مكتب صغير كان يستخدمه فى الفترة التى كان فيها خارج السلطة، ولقد تعاون من عملوا مع ديجول فى جمع تراثه من وثائق مكتوبة إلى شهادات تاريخية إلى أفلام وصور.. وقاموا بعمل دراسات وندوات عنه شملت كل جوانب شخصيته وكل إنجازاته بمنهج علمى محايد تناول مختلف الآراء والمواقف المتناقضة حول هذه الشخصية التاريخية العظيمة.

وقد تحول "معهد شارل ديجول" إلى مؤسسة بعد عدة أعوام وأصبح لها مراسلون فى جميع أنحاء العالم، وقد تشرفت بأن أكون مراسلة هذه المؤسسة فى مصر، وذلك بعد حضورى المؤتمر الكبير الذى عقدته تلك المؤسسة فى قصر اليونسكو فى باريس بمناسبة مرور مائة عام على مولد ديجول وذلك فى عام ١٩٩٠ حيث تقدمت بدراسة فى هذا المؤتمر بعنوان "رؤية مصر الناصرية لديجول"، وقد تم نشر جميع الدراسات التى قدمت فى المؤتمر وكذلك المناقشات التى دارت فيه فى سبعة مجلدات ذات قيمة عالية، وفى نهاية المؤتمر تم تنظيم رحلة للمشاركين فيه إلى منزل ديجول فى قريته "كولومبي لى دوز اجليز" ثم إلى

(١) جريدة الأهرام فى ١٦/١٢/١٩٩٦.

قبره في نفس القرية كما حضرنا قداسا أقيم على روحه في كنيسة "توتردام" بباريس. وأحب أن أذكر القارئ أن هذا المؤتمر قد عقد في ظل حكم الاشتراكيين بزعامة "فرانسوا ميتران" الذي كان خصم ديغول الأول، والذي كان يناقسه دائما في انتخابات الرئاسة الفرنسية منذ التعديل الدستوري الذي جعل هذه الانتخابات مباشرة في عام ١٩٦٢.. بل وأكثر من ذلك فقد افتتح المؤتمر "ميشيل روكار" رئيس الوزراء الاشتراكي في ذلك الوقت!

ولم يقتصر عمل "مؤسسة شارل ديغول" على ذلك بل قامت منذ رحيله بإصدار مجلة تلت سنوية باسم "الامل LESPOIR" مازالت منذ ستة وعشرين عاما وحتى الآن تنشر الشهادات التاريخية التي قامت بتجميعها من كل من عملوا معه أو عاصروه سواء في الجيش عندما كان ضابطا وحارب في الحرب العالمية الأولى، أو أثناء تزعمه لحركة "فرنسا الحرة" في الحرب العالمية الثانية أو أثناء توليه السلطة من ١٩٤٤ بعد تحرير فرنسا إلى ١٩٤٧، ثم من ١٩٥٨ عندما استدعى "ليخلص" فرنسا من شبح الحرب الأهلية بسبب قضية الجزائر إلى ١٩٦٩ عندما ترك السلطة، وكذلك في فترات إبعاده عن الحكم التي كرس جزءا منها للعمل الحزبي وجزءا آخر لكتابة مذكراته.

وفي معرض المقارنة أحاول أن أتأمل ماذا فعلت مصر بتراث جمال عبد الناصر وذكراه، عبد الناصر الذي رحل في لحظة تاريخية مصيرية بالنسبة للأمة العربية وتولى المسؤولية من بعده نائبه، والذي كان يعمل بالقرب منه منذ قيام الثورة في مواقع مختلفة، فلقد قام أنور السادات بإبعاد كل من عمل مع جمال عبد الناصر، ووضع معظمهم في السجن في ١٥ مايو ١٩٧١، ثم بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ قاد حملة شرسة ضد عبد الناصر استخدم فيها كل أنواعه الوسائل التي درسناها في مادة الاعلام في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية تحت عنوان "إغتيال الشخصية CHARACTER SSASSINATION" وقد إتبع تقليدا فرعونيا كشفه المصريون عبر العصور ألا وهو قيام الحاكم بطمس معالم وإنجازات من سبقه كما حدث بالنسبة لمعبد الدير البحري الذي شيدته حتشبسوت وقام من تولى بعدها بوضع إسمه عليه، ومن سخرية القدر إني وغيري من غير المتخصصين في التاريخ الفرعوني لا نتذكر اسمه بعد آلاف السنين، ولكننا نتذكر إسم حتشبسوت التي قامت بهذا الإنجاز العظيم.

وبما أننا فى عصر مختلف لا تقاس الإنجازات فيه بإنشاء المعابد، وإنما بتحديث الدولة ورفع مستوى الشعب إجتماعيا وإقتصاديا وسياسيا، فقد لجأ السادات إلى وسيلة عصرية لتنفيذ ما فعله الفراعنة من قبل وذلك بأن أنشأ لجنة كتابة التاريخ فى منتصف السبعينات تلك اللجنة التى أجمع كثير من المؤرخين على عدم حيدتها، وانتهت ببعض الإنتاج الذى لم يتح لأى من باحثى التاريخ الإطلاع عليه حتى الآن بل وقام السادات بكتابة مذكرات عبارة عن سيناريو جديد لحياته، وصدرت الأوامر بجمع كتابه الذى نشره قبل ١٩٧٠ بعنوان "ياولدى هذا عمك جمال". ولكن كعادة المصريين منذ آلاف السنين اكتشفوا الحقيقة وبدأوا يروونها لأولادهم، خاصة بعد أن تم تعديل مناهج التاريخ فى جميع المراحل التعليمية فى عهد السادات، وكان محور هذا التعديل هو تشويه عهد عبد الناصر، طمس إنجازاته التى بنيت للمجهول، فكان يكتب مثلا أممت قناة السويس فى ١٩٥٦، خرج الانجليز من مصر فى ١٩٥٤.. وهكذا ولكن مدرسى التاريخ فى مدارسنا القومية كانوا يفسرون للأطفال الحقائق ويرجعون الإنجازات إلى صاحبها.

ومن هنا لم أندش من الإقبال غير المسبوق من جانب الشباب على فيلم "ناصر ٥٦" فقد نشأ "حزب سرى" فى داخل البيوت وفى المدارس يحكى للشباب حقيقة ما حدث، وذلك كما ورد فى بحث د.نبيل عبد الفتاح بعنوان "١٩٥٦ فى الشرعية السياسية" الذى قدمه فى دائرة الحوار التى عقدت بمناسبة مرور أربعين عاما على عدوان ١٩٥٦ فى "مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية" التابع "لمركز القومى للبحوث العلمية" فى باريس ووزارة الخارجية الفرنسية.

والآن وقد أتحت فرصة توثيق عصر جمال عبد الناصر بعد أن مرت ستة وعشرون عاما إختفت فيها وثائق ورحل عنا عديد من الشخصيات التى لعبت دورا مهما فى تلك الحقبة التاريخية الحافلة بالتغيرات الجذرية واسعة المدى، والتى مازالت تداعياتها موجودة فى حاضرنا وستمند الى مستقبلنا، بل أن الحالة الصحية لمن أمد الله فى عمرهم لا تسمح لبعضهم بالقيام بمجهود الإلقاء بالشهادات التاريخية المطلوبة.

ومن هنا وبالرغم من الأسى الذى أشعر به لضياح بعض هذه المصادر التاريخية المهمة، ومن منطلق ضرورة الإستفادة من دروس الماضى - فالتاريخ هو ملك الامة والشعب، وليس ملكا لحاكم أو صحفى - أنبه الى أن التوثيق

التاريخى لاغنى عنه لكتابة التاريخ العلمى لأية فترة من فترات تاريخنا القومى بما لها وما عليها لنحاكى فى ذلك الأمم المتحضرة المستعدة للدخول إلى القرن الحادى والعشرين، ونحن مازلنا نجادل فى مفاهيم وليس فى قضايا.

إن ما حدث فى السنوات الماضية من محاولات طمس ذاكرة الأمة وتشويهها يجب ألا يتكرر بأى حال من الأحوال، ولذلك قررت "وحدة دراسات الثورة المصرية" البدء فوراً بعدة خطوات فى وقت واحد لتعويض ما فات، وخاصة أنه من حسن حظنا أن تكنولوجيا المعلومات والتوثيق قد تقدمت بشكل هائل وأعطت إمكانيات توثيقية وتحليلية لا يستطيع الكثيرون أن يتصوروها أو أن يتخيلوا مدى سرعة إنجازها أو أبعادها المختلفة.

إن خطة "وحدة دراسات الثورة المصرية" لن تقتصر فقط على توثيق فترة ما بعد الثورة، فالفترة السابقة عليها بها فجوات توثيقية ملؤها، ومغالطات تحليلية ينبغي تصحيحها بالوثائق، وقد أدركت ذلك جيداً عندما سجلت رسالتى للدكتوراه التى بدأت فى جامعة باريس فى السوربون تحت إشراف الأستاذ الدكتور دومينيك شيفاليه لدراسة الحركة الوطنية المصرية من ١٩١٨ وحتى ١٩٥٢ وذلك لمدة سنتين ونصف، اضطررت بعدها إلى تسجيلها فى جامعة القاهرة وقصرتها على الحركة الوطنية المصرية فى الفترة من ١٩٣٦ إلى ١٩٥٢ تحت إشراف أستاذى الدكتور فتح الله الخطيب. إذن فإننى أدعى لإراكى لمدى النقص والتضارب التوثيقى لهذه الفترة ناهيك عن اعتماد الباحثين على الوثائق الاجنبية لاستحالة الحصول على الوثائق المصرية المشتتة فى عدة أماكن، وتلك الوثائق الناقصة التى لم يتم استخدام أى منهج علمى فى جمعها على الإطلاق لقد قررت أن تقوم "وحدة دراسات الثورة المصرية" بالتوثيق لجميع زعماء الحركة الوطنية المصرية فى القرن العشرين بدءاً بمصطفى كامل، ومحمد فريد، ثم سعد زعلول، ومصطفى النحاس، وجمال عبد الناصر، وأنور السادات.. ولضمان الحيادة العلمية فى عملية التوثيق هذه فإننى أدعو جمال السادات للإشراف معنا على تسجيل تراث والده. أما بالنسبة لسعد زعلول، ومصطفى النحاس، فسنبحث عن أقرب شخصيات لهما بحيث تربطهم بهما علاقة الدم، وليست العلاقات الحزبية فلقد علمتتى التجربة المريرة التى عشتها خلال ستة وعشرين عاماً مضت أن المصالح السياسية الحزبية الضيقة تطفى على أى علاقات مهما كانت حميمة، ويظل الابن هو الذى يهتم بتاريخ والده ويعمل على الحفاظ عليه.

ولقد أدركت السيدة الفاضلة صفية زغلول ذلك المغزى عندما اتخذت قرارا "بإغلاق بيت الأمة" - وهو منزل سعد زغلول - أمام حزب الوفد والأحزاب التي انشقت عنه وتتافس كل منها على استغلال اسم سعد زغلول وأسرته في صراعاتهم السياسية.

أما فيما يتعلق بمصطفى كامل، ومحمد فريد، فسأتولى بنفسى مهمة عملية التوثيق الخاصة بهما فإعجابى بدوريهما الوطنى فى إطار العصر الذى عاشا فيه هو إعجاب بلا حدود.

وفى هذا المجال فإننى أناشد كل من لديه أية وثيقة تاريخية أو صورة أو فيلم سينمائى أو عملة أو ميدالية تذكارية أو طوابع بريدية أو رسم تشكيلى.. إلخ خاص به أو ورثه عن آبائه وأجداده أن يسمح "لوحدة دراسات الثورة المصرية" بالأهرام بأن تحصل على صورة منها تضمها إلى العملية التى تقوم بها. وفى الوقت نفسه فإننى أدعو كل من شارك بدور ولو بسيط أن يسجل شهادته التاريخية، إما كتابة، أو على شريط كاسيت، ويرسله إلينا بالأهرام.

وأخيرا فإن "وحدة دراسات الثورة المصرية تهتم أيضا بتسجيل الانطباعات المختلفة عن الزعماء المصريين سواء بعد ١٩٥٢ أو قبل قيام الثورة.

وبالطبع فإن هذا النداء ليس موجها فقط للمصريين وإنما هو يخاطب المواطنين فى العالم العربى ، والعالم الثالث على وجه العموم، بل نحن نرحب أيضا بالشهادات التاريخية من مختلف دول العالم.

لقد آن الأوان أن نتعلم من دروس الماضى، ونعطى مزيدا من الاهتمام لتوثيق وحفظ تاريخ أمتنا وحماية ذاكرتها، لقد آن الأوان لكى نضع ضوابط وقواعد عامة تطبق فى جميع العصور حتى لا نتخلف عن الأمم المتحضرة التى سبقتنا إلى ذلك، وحتى نتطلع إلى المستقبل، وإلى تحديات القرن الحادى والعشرين التى تحتاج منا إلى الاتحاد من أجل وضع استراتيجية بعيدة المدى لتحقيق أهدافنا القومية، وإلا سبقتنا باقى الأمم وظللنا فى المؤخرة نتناحر حول مفاهيم أثبتت فى أوائل القرن العشرين واستخدمت نفس التعبيرات فى الجدل الذى دار حولها، بل استخدمت الوسائل نفسها لحسم هذا الجدل لمصلحة التخلف والتأخر على حساب أمتنا وشعبنا."

الفصل السابع

فن المقال النقدي

حين ظهر "المتنبى" ملأ الدنيا وشغل الناس، كما يقول ابن رشيق، واختصم الأدياء في شعره، وقطعوا "الأزمان" المتواصلة في تحديد أغراضه، وتعصب له فريق، وغض من شأنه فريق، وكان من الذين غضوا من شعره الصاحب بن عباد، وألف فيه رسالة سماها: "الكشف عن مساوئ المتنبى" أقامها على التتقص منه والخط من مقداره"، وقد ذكر الرواة أن الصاحب كان حين المكانة حين وفد المتنبى على ابن العميد، وكان يودّ لو قصده أبو الطيب، فلماً تجاهله جزع وسخط، وألف فيه هذه الرسالة، وذكر فيها من شعر المتنبى أمثلة للغموض والتعقيد والركاكة وقبح الألفاظ واستكراهها. وكان أبو الفتح عثمان بن جنى من ناحية أخرى يرفع من مقداره، ويشيد من ذكره، وأصبح لكل منهما أشياء^(١).

وفى هذه "الحلبة"، وذلك المعترك ألف القاضى على بن عبد العزيز الجرجاني كتاب "الوساطة". قال النعالبى فى البيّمة:

"ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة فى إظهار "مساوئ المتنبى" عمل القاضى أبو الحسن كتابه: "الوساطة بين المتنبى وخصومه فى شعره"، فأحسن وأبدع، وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر فى فصل الخطاب، وأعرب عن تجرّده فى الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ، وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح، وطار فى البلاد بغير جناح، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور:

أيّا قاضياً قد دنت كتبه

وإن أصبحت داره شاحطة

كتاب الوساطة فى حسنه

لعقد معاليك كالواسطة

(١) محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البجاولى (تحقيق): الوساطة بين المتنبى وخصومه، للقاضى على بن عبد العزيز الجرجاني، المقدمة ص ج.

وقال صاحب كشف الظنون:

"أما القاضى أبو الحسن فإنه ادعى التوسط بين خصوم المتنبى ومحبيه، وذكر أن قومًا مالوا إليه، حتى فضّلوه فى الشعر على جميع أهل زمانه، وقومًا لم يعنوه من الشعراء وازدروه غاية الازدراء حتى قالوا: إنه لا ينطق إلا بالهوى! ولم يتكلم إلا بالكلمة العوراء .. فتوسط بين الخصمين، وذكر الحق من القولين"^(١)

فالوساطة النقدية - إذن - ثمرة من ثمار الدرس الأدبى، حين يتميز باستقصاء البحث، وشمول الفكرة، وتوضيح العلل، والموازنة العامة بين المبدعين، ولذلك جاء كتاب القاضى الجرجانى فى عصر وصل بالنقد الأدبى إلى مناطق ازدهار، إذ بلغ النقد فى القرن الرابع إلى أوجه، فصار "خصبًا، متسع الآفاق، معتمدًا على الذوق الأدبى السليم، مؤتسًا بمناحى العلم فى الصورة والشكل؛ لاقى الجوهر والروح"^(٢).

وعنى النقاد بدراسة الشعر وتقدير رجاله "وتخاصموا فيهم، فهذا ينتصر لأبى تمام، وذلك يتشيع للبحترى، وهؤلاء يرفعون من مقدار المتنبى، وينسبون إليه كل فضيلة فى الشعر، وأولئك ينتقصون منه ويرمون به بالتعقيد والمعاظلة والالتواء، وعمرت بأحاديثهم مجالس الأدب، وسارت مقالاتهم وكتبهم فى كل صنّع وولد"^(٣).

وما أشبه الليلة بالبارحة، حين نجد فى العصر الحديث ألوانًا من هذا "النقد المتحامل" على حد تعبير د. عز الدين إسماعيل، ذلك أن "العمل النقدى هو قبل كل شيء أمانة ومسئولية، أمانة مع النفس ومع الآخر، ومسئولية اجتماعية بالغة الخطورة. وكلا المجالس والمتحامل ممن يكتبون كلامًا يريدون له أن يكون نقدًا كلاهما غير أمين مع نفسه بالدرجة نفسها، وكلاهما لا يستشعر أدنى مسؤولية للكلمة التى يكتبها إزاء القطاع العريض من القراء. إذ المجاملة، شأنها شأن التحامل، إنما تسيء إلى المنقود من جهة، وتضلّل القراء عن الحقيقة من جهة أخرى. فهى تسيء إلى المنقود من جهة أنها تكذب عليه حين تجامله، وتكذب عليه حين تتحامل عليه. ذلك أن المجاملة تتطوى على إطراء مالا يستحق الإطراء، كما

(١) نفسه، ص ج

(٢) طه احمد ابراهيم: تاريخ النقد الأدبى ص ١٤٧

(٣) محمد أبو الفضل ابراهيم، وعلى محمد البجاوى: السابق ص ب

أن التحامل من شأنه أن يبخس الناس أشياءهم.. فى الحالة الأولى يأخذ المنقود الزهو فيعطله ذلك عن الإبداع الحقيقى وعن النماء، وفى الحالة الثانية قد يحبطه التحامل فيصرفه عن وجهته.

هذا فيما يتعلق بالمنقود. أما جمهور القراء فهو الضحية، وهو الخاسر فى الحالين.. وعلى كل فإن هذا الطراز أو ذاك من الكتابة، لا يمثل كل أشكال الممارسة النقدية، فإلى جانب هذا الزيد الذى ما يلبث أن يتبدد، هناك الممارسات النقدية الجادة والمسئولة التى تنشر فى المجلات الثقافية أو المجلات المتخصصة، وهى المعيار الحقيقى لحركة النقد فى واقعنا العربى.. وإذا كانت الأهواء والمصالح الشخصية تستخفى وراء الكتابة النقدية فى شكلها المُجامل والمُتحامل، فإن الكتابات النقدية الجادة لا تسعى إلا وراء شىء واحد هو الحقيقة، وهى من أجل ذلك تتحرى الالتزام بمنهج موضوعى قدر الطاقة فيما تعرض له من أعمال فنية.^(١)

النقد الأدبى ليس "حرباً"، ولا يراد له أن يكون كذلك، إذ "الحرب" هنا لن تسفر إلا عن "نقد متحامل"، كما تقدم، يغدو بدوره قيذا معوقاً لحرية الفن وتقدمه. ونذكر فى هذا السياق ما يرويه أديب إيطالى فى عصر النهضة: من أن "زويلس" Zoilus - وهو مثال الناقد المتحيز - تقدم يوماً لأبوللو بنقد قاسٍ لأحد الكتب الخالدة. وكان "زويلس" قد عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد. وقد نقد "هوميروس" نقداً مرّاً.. فسأله أبوللو "عما فى الكتاب من محاسن، فأجابه بأنه لا يُعنى إلا بالكشف عن الأخطاء، فنأوله "أبوللو" كمية من عيدان القمح بسنابلها، وأمره أن يستخرج لنفسه، جزاءً له، عيدانها مجردة من السنابل.. من أجل ذلك كله ينثر فى هذا الفصل مجتذاً قضية خلو النقد من التعصب الذى يستر الحقائق، وضرورة اعتصام الناقد بالمبادئ التى تمثل محور النقد.. وهى كما يقول د. غنيمى هلال رحمه الله - تقوم على الحجة والشروح المستقاة من التجارب الفنية، ذلك أن النقد الصحيح كالأدب؛ فى وحدة غايتهما الإنسانية والفنية.

ليس النقد حرباً، ولا تحاملاً، ولكن مهمته الأساسية هى أن "يوحى وأن يشجع وينير السبيل"^(٢). فإذا كان الشاعر الكبير يجعلنا مشاركين له فى فهمه

(١) مجلة المنهل العدد ٤٨٠ - المجلد ٥١ - شوال / ذو القعدة ١٤١٠ هـ.

(٢) أحمد أمين: النقد الأدبى ص ١٧٩

الأعظم لمعنى الأدب، فإن "ناقدًا كبيرًا" قد يجعلنا مشاركين له فى فهمه الأعظم لمعنى الأدب. والناقد الحق هو الذى يزاول عمله بمعرفة عن موضوعه؛ هى فى عمقها وصحتها أعظم بكثير من معرفتنا نحن، فهو الذى قد وهب مواهب خاصة من عمق النظرة والتغلغل والتفهم. والناقد كثيرًا ما يعطينا وجهة نظر جديدة تمامًا، وكثيرًا ما يؤدي مساعدة خاصة بأن يترجم إلى تعبير محدد إحساسات لنا كنا نحس بها إحساسًا مبهماً غامضًا ليس له قيمة عملية. فهو كما يقول أحمد أمين: إنما يستكشف أرضًا جديدة حينًا، وهو حينًا آخر رفيق صديق يبلنا على جوانب غير منظورة من الأشياء التى نمر بها فى طريقنا؛ حتى من تلك التى نعرفها معرفة جيدة. وهكذا يعلمنا أن نقرأ ثانية لأنفسنا بذكاء أعظم وبتقدير أعمق.. هذا النموذج الإيجابى للناقد، هو الذى تشهده الصحف، فهو الذى يرى للنقد الأدبى وظيفتين، هما: التفسير من جهة، والتقويم من جهة أخرى.

الفن الصحفى ومجالات النقد الفنى:

ومجالات النقد الفنى تتعدد بتعدد الفنون التى تعنى بها الصحيفة، فهى تشمل:

- ١- النقد الأدبى
- ٢- النقد المسرحى
- ٣- النقد السينمائى
- ٤- النقد التليفزيونى والإذاعى
- ٥- النقد التشكيلى

وهذه المجالات النقدية ترتبط بالصفحات المتخصصة التى تفردها الصحف للفنون الأدبية والإعلامية والتشكيلية، وهى الصفحات التى تشمل: المقال العرضى، والمقال النقدى معًا. ومن أمثلة ذلك فى المقال العرضى: عرض كتاب أو مسرحية أو فيلم سينمائى، أو حفل موسيقى أو معرض من معارض الفنون التشكيلية.. فى حين يشمل للمقال النقدى العرض والنقد معًا، من حيث فهم النقد على أنه: تفسير، وتقويم.

والفرق بين المقال العرضى، والمقال النقدى، أشبه بالفرق بين القصة الخبرية، وفن المقال. فى التحرير الصحفى. فالمقال النقدى يكتبه ناقد متخصص فى مجال فنى من المجالات التى تعنى بها الصحيفة، بعد أن يكون قد قرأ الكتاب أو شاهد المسرحية، وقومها تقويمًا نقديًا.

والناقد يجب أن يكون كما قال "ماثيو أرنولد" قادرا على أن يرى الشيء كما هو فى الحقيقة، وألا يزيغ فى ضباب من ميوله الخاصة وأفكاره السابقة. ولذلك يذهب علماء النقد الأدبى إلى أن أروع مثال لذلك هو "جونسون" الذى كان ناقدا بارعا للأدب فى حين كان على العكس تماما حين يتناول الأدباء الذين لا يتعاطف معهم لسبب ما. وهكذا نجد أحسن عمله فى نقده لبوب وأديسون اللذين كانا داعيين للمثل الأدبية التى كان يقدرها، ونجد أسوأ عمله فى نقده لملتون وجراى. فقد أفسد حكمه على الثانى مخالفته له فى الميول الشخصية والأدبية، وأفسد حكمه على الأول مخالفته فى المذهب السياسى. وكولردج الذى يعد من الطبقة الممتازة للنقاد الانجليز فى عمق النظرة والبديهة الشعرية. كانت قدرته على رؤية الأشياء كما هى فى الواقع كثيرا ما تنتهدم بأفكار سابقة ميثاقيزيقية، وبقدريس لبعض أرباء معينين؛ يشبه فى سخفه وقيامه على غير أساس تقديس كتاب القرن السابع عشر والثامن عشر.

وفى نموذج الناقد المتحامل فى الصحف والمجلات من الشواهد على فساد الحكم الكثير، حتى ليصبح الميل والهوى سمة لهذا النموذج المتحامل، تتعارض مع صحة نظرة نموذج الناقد الإيجابى، الذى يتميز بالموضوعية والتجرد، على النحو الذى جعلنا نستعيد الصورة التى استهللنا بها هذا الفصل، عند الحديث عن نقاد المتنبى، وكيف عابه الكثيرون من نماذج "الناقد المتحامل" الذى لم يختف فى العصر الحديث، رغم تقدم العلم، وسعى النقد الأدبى إلى الموضوعية، والإفادة من مناهج العلوم الإنسانية خاصة، ومن تقدم البحوث فيها.. ولاسيما بعد أن تعمقت هذه العلوم فى "دراسة الإنسان وتحليل مظاهر نشاطه"، والإيمان بأن "الظاهرة الإنسانية الواحدة جوانب مختلفة، البحث فيها يغنى ويكمل بالخلاف. لأن كل باحث ينظر إلى جانب من جوانبها، فيتحدث عنها كأنه على النقيض ممن يتحدث عن الجانب الآخر. والحقيقة أن كليهما يتم الآخر إذا صرفنا للنظر عن بعض كلمات وتعبيرات لا تتصل بطبيعة البحث، وهى التى نضعها فى الظاهر على طرفى نقيض. فنقد أفلاطون، مثلا، لا يناقض نقد أرسطو، وإن كان يخالفه مخالفة كبيرة، لأن كلا منهما يتحدث عن الأدب فى حدود فلسفته الخاصة^(١).

(١) د. محمد غنيمى هلال: المدخل إلى النقد الأدبى الحديث ص ٢٢.

ولذلك يركز النقد الفني والأدبي، على فلسفة تعدد الأسباب للشيء الواحد، فقد يرجع الخلاف إلى تعدد جوانب موضوع المناقشة ومادة ذلك الموضوع، أو الأقيسة المنطقية التي يخضع لها كل جانب من هذه الجوانب. فالأدب - بوصفه موضوع النقد - تتعدد جوانب مادته: فقد ينظر إليه بوصفه إنتاجاً فنياً وكفى، أو إلى الجمهور الموجّه إليهم ذلك الأدب، وأثرهم فيه، أو سلبيتهم تجاهه، أو إلى الأديب نفسه في سلبيته أو إيجابيته في أدبه ومجتمعه، أو إلى الأدب بدوره، بوصفه وسيلة لإصلاح اجتماعي أو سياسي، أى مظهراً من مظاهر نشاط الإنسان المدنى في العصر الذى هيئ له أن يياشر فيه رسالته^(١).

من أجل ذلك نرى فى "الوساطة النقدية"، وظيفة من أهم وظائف الفن الصحفى، فى القديم وفى الحديث، لتصحيح بعض المفاهيم السلبية، التى يجسدها نموذج النقد المتحامل، ممثلاً فى "العيب والنثم أو التجريح"، ويستعمل فى معنى "تعقب الأخطاء والفنيين والعلماء والتركيز على أخطائهم وإذاعتها قصد التشهير، والتلب ونشر العيوب والمآخذ. وقديماً ألف أبو عبدالله محمد بن عمران المرزبانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ - كتابه الموشح - فى مآخذ العلماء على الشعراء ضمنه ماعيب على الشعراء السابقين من لفظ أو معنى أو وزن أو خروج على المؤلفين من قوانين النحو والعروض والبيان".^(٢)

ولسوف نحاول هنا تجنب هذا النموذج، نموذج النقد المتحامل الذى يرى النقد "عيوباً ومآخذ" فقط لأنها ليست من أغراض الدراسة النقدية، التى تتوجه صوب التقدير الصحيح لأى أثر فنى، وبيان قيمته فى ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه. حتى لنقول مع صاحب "الوساطة": "إن التفاضل - أطال الله بقاءك - داعية التنافس، والتنافس سبب التحاسد. وأهل النقص رجالان: رجل آتاه التقصير من قبله، وقعد به عن الكمال اختياره، فهو يساهم الفضلاء بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه، وآخر رأى النقص ممتزجاً بخلقه، ومؤثلاً فى تركيب فطرته، فاستشعر اليأس من زواله، وقصرت به المهمة عن انتقاله، فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث باننقاص الأمائل، يرى أن أبلغ الأمور فى جبر نقيصته، ووسمهم بمثل سمته، وقد قيل:

(١) د. محمد غنيمى هلال: المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ص ١٤.

(٢) أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي ص ١١٥.

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسو

"صدق والله وأحسن! كم من فضيلة لولم تستثرها المحاسد لم تبرح في الصدور كامنة، ومنقبة لولم تزعجها المنافسة لبقيت على حالها ساكنة ! لكنها برزت فتناولتها ألسن الحسد تجلوها، وهي تظن أنها تمحوها، وتشهرها وهي تحاول أن تسترها، حتى عثر بها من يعرف حقها، واهتدى إليها من هو أولى بها، فظهرت على لسانه في أحسن معرض، واكتست من فضله أزين ملبس، فعادت بعد الخمول نابهة، وبعد الذبول ناضرة، وتمكنت من بر والدها فوهت بذكره، وقدرت على قضاء حق صاحبها فرفعت من قدره:

(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)

ثم يقول القاضي الجرجاني: "ولم تزل العلوم - أيدك الله - لأهلها أنسابا تتناصر بها، والآداب لأبنائها أرحامًا تتواصل عليها، وأنى الشترك في نسب جوار، وأول حقوق الجار الامتناع له، والمحاماة دونه، وما من حفظ دمه أن يُسفك، بأولى ممن رعى حريمه أن يهتك، ولا حرمة أولى بالعناية، وأحق بالحماية، وأجدر أن يبذل الكريم دونها عرضه، ويمتنع في إعزازها ماله ونفسه من حرمة العلم الذي هو رونق وجهه، ووقاية قدره، ومنار اسمه، ومطية ذكره.

"وبحسب عظم مزيته وعلو مرتبته يعظم حق التشارك فيه، وكما تجب حياطته، تجب حيطة المتصل به وبسببه. وما عقوق الوالد البر، وقطيعة الأخ المشفق، بأشنع ذكرا، ولا أقبح وسما من عقوق من ناسبك إلى أكرم آبائك، وشاركك في أفخر أنسابك، وقاسمك في أزين أوصافك، ومت إليك بما هو حظك من الشرف، وذريعتك إلى الفخر.

"وكما ليس من شرط صلة رحمك أن تحيف لها على الحق، أو تميل في نصرها عن القصد، فكذاك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف، أو تخرج في بابه إلى الإسراف، بل تتصرف على حكم العدل كيف صرفك، وتقف على رسمه كيف وقفك، فتتصف تارة وتعتذر أخرى، وتجعل الإقرار بالحق عليك شاهدا لك إذا أنكرت، وتقيم الاستسلام للحجة - إذا قامت - محتجاعتك إذا خالفت، فإنه لاحال أشد استعطافا للقلوب المنحرفة، وأكثر استمالة

للفوس المشمزة، من توقّفك عند الشبهة إذا عرضت، واسترسالك للحجة إذا قهرت، والحكم على نفسك إذا تحققت الدعوى عليها، وتنبيه خصمك على مكان حيلك إذا ذهب عنها، ومتى عُرِفَتْ بذلك صار قولك برهانا مسلما، ورأيك دليلا قاطعا، واتهم خصمك ما علمه وثيقته، وشك فيما حفظه وأتقنه، وارتاب بشهوده وإن عثلتهم المحبة، وجبن عن إظهار حججه وإن لم تكن فيها غميرة، وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة، وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا فى الفرط والندرة^(١).

والقاضى الجرجانى يحدد معالم الوساطة النقدية، ومنهجها الذى نحاول ترسمه صدد دراسة فن المقال النقدى فى الصحف والمجلات، وما يثيره نموذج "النقد المتحامل، الذى رآه القاضى الجرجانى منذ قرون، حين نظر فى نقاد المتنبى، فوجد هذا النموذج المتحامل، الذى يروم "إزالته" عن رتبته، فلم يسلم له فضله، ويحاول حطه عن منزلة بوّاه إياها أدبه، فهو يجتهد فى إخفاء فضائله، وإظهار معاييه، وتتبع سقطاته، وإذاعة غفلاته". وهذا النموذج المتحامل، يقابله النموذج المجامل، وكلا الفريقين "إما ظالم له أو للآدب فيه، وكما أن الانتصار جانب من العدل لا يسده الاعتذار، فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفریط المقصر، وإسراف المفرط، وقد جعل الله لكل شئ قدرا، وأقام بين كل حديث فضلا، وليس يُطالب البشر بما ليس فى طبع البشر، ولا يلتبس عند الأئمة إلا ما كان فى طبيعة ولد آدم، وإذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان فاستسقاط من عز حاله، والتحامل على من وجّه إليه ظلم.

"والفضل آثار ظاهرة، وللتقدم شواهد صادقة، فمتى وجدت تلك الآثار وشوهت تلك الشواهد فصاحبها فاضل متقدم، فإن عثر له من بعد على زلة، ووجدت له بعقب الإحسان هفوة انتحل له عنز صادق، أو رخصة سائغة، فإن أعوز قيل: زلة عالم، وقل من خلا منها، وأى الرجال المهذب ولولا هذه الحكومة لبطل التقصيل، ولزال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبدا، ولم نسم به إذا أردنا حقيقة أحدا، وأى عالم سمعت به ولم يزل ويغلط، أو شاعر انتهى إليك

(١) القاضى على بن عبدالعزيز الجرجانى: الوساطة بين المتنبى وخصومه، ص ٣

ذكره لم يهف ولم يسقط! ودونك هذه النواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدر فيه، إما فى لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه أو معناه، أو إعرابه؟ ولولا أن أهل الجاهلية جئوا بالتقدم واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية. لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفى الظنة عنهم، فذهبت الخواطر فى الذنب عنهم كل مذهب، وقامت فى الاحتجاج لهم كل مقام (١) "

ومفهوم الوساطة النقدية أقرب إلى جوهر الفن الصحفى، تأسيسا على أن الأدب - كما يقول الحكيم - هو الكاشف الحافظ للقيم الثابتة فى الإنسان والأمة، الحامل الناقل لمفاتيح الوعى فى شخصية الأمة والإنسان.. تلك الشخصية التى تتصل فيها حلقات الماضى والحاضر والمستقبل.

وإذا كان المفهوم اللغوى لـ "الوساطة" يرجع بنا إلى "الشمس" حين "تنوسط" السماء، فإن الوساطة النقدية منهج يجمع بين اعتبارات شتى، ويؤلف بين نظرات مختلفة، حين يختار الأثر من بين مختلف الآثار "بنوقه، كاشفا عن نواحي جماله، ثم يحلله بغربال علمه، ليخرج لنا ما انطبق منه على الأصول ومالم ينطبق. وذلك لمجرد التحليل والبحث والدرس، لا لإصدار الأحكام بناء على هذا الاعتبار وحده، فإذا فرغ من ذلك بقى أمامه الشطر الأجل من عمله النقدي، وهو تقييم الأثر بقيمته فى المحيط الأدبى القومى أو الإنسانى، ووضع فى مكانه، ومقارنته بالسابقين له، مبينا مدى تأثره إياهم، ومبلغ اتفاقهم معهم فى المذهب، أو اختلافه عنهم فى المسلك"، على حد تعبير أستاذنا توفيق الحكيم رحمه الله، الذى قال: "إن العمود الفقرى للشخصية الفنية هو سلسلة آثار، يستطيع الباحث أن يتتبع فى حلقاتها صفاته وعيوبه ولوازمه وعاداته، ومزاجه واتجاهاته. لهذا كان على النقد الفنى أن يفرق دائما بين فنان فى أعماله الأولى، يتلمس خطاه نحو شخصيته، وفنان عرف له طريق واتجاه. ففضية النقد للمبتدئ تتلخص فى "كيف صنع هذا؟".. وفضية النقد للناضج هى: لماذا صنع هذا؟ الأول لم نعرف له شخصية بعد، فعلينا أن نعيه على معرفة طريقه إليها، فنناقشه، كيف أنتج هذا الأثر؟ وماهى حياته؟ وما أدواته؟ وأى خطى يتأثر؟ وفى أى طريق يسير؟ وبأسلوب من تشيع؟ ولأفكار من تشيع؟ أما

(١) القاضى على بن عبدالعزيز الجرجاني: الوساطة بين المتبني وخصومه، ص ٤

الثانى، وقد عرفنا شخصيته ووجهته، فواجبنا أن نبحث : لماذا أخرج هذا الأثر الأخير، ليحقق به أى جانب من جوانب شخصيته التى نعرف عنها الكثير؟ لماذا صنع هذا؟ أترى الغرض منه تأكيد فكرة من أفكاره السابقة؟ أو الرجوع عن بعض هذه الأفكار؟ أو الانحراف إلى اتجاه جديد لاتعرفه له؟ أو الخضوع لإحساس بعينه يلاحقه وللأديب القديم يفسر عمله.. ينبغى للنقد الفنى أن يوجه الجديد الى شخصيته التى لم تظهر، وأن يفسر للقديم شخصيته التى ظهرت..ذلك أن مهمة النقد - فيمايرى الحكيم أيضا - هى أن يربط هذه الحلقات بعضها ببعض، ليجعل منها هذه السلسلة الذهبية التى يزدان بها صدر البشرية".

والوساطة النقدية فى الفن الصحفى تقوم بهذه العملية فى الربط بين الحلقات، لأنها فى حقيقة أمرها تقوم بعمل إنشائى ضخم. ولنا بمبالغين لوقلنا - مع الحكيم - إن الآثار الأدبية بغير نقد بنائى يربط بين أجزائها واتجاهاتها، لايمكن أن تصنع أدبا بالمعنى المعروف فى الآداب الكبرى. وشأن النقد فى الأدب كشأن الفقه فى القضاء.. فليس الحكم العادل وحده هو الذى يصنع علم القانون، كما يعرف فى الأمم الكبرى.. فما أكثر الأحكام العادلة التى تصدرها مجالس التحكيم عند البدو أو عند كثير من القبائل الفطرية!.. فهل نستطيع أن نسمى هذه الأحكام قضاء بالمعنى القانونى؟ لا.. لماذا؟ لأنه ينقصها الفقه، الذى يجمعها ويمحصها ويرتبها، ويستخرج منها الاتجاهات والنظريات والمذاهب والمبادئ. فالفهاء فى الشريعة الإسلامية والقوانين الرومانية والأوربية، قديما وحديثا، هم الذين يغوصون فى أعماق النصوص، وتفسيراتهم للأحكام، قد شيّدوا هذا البناء الضخم المتناسق المتناسك لهذه الشرائع والقوانين. كذلك النقاد: أى فقهاء الأدب والفن، بانكبابهم على الآثار الأدبية والفنية، يستخلصون منها التفسيرات والمقارنات والمذاهب والاتجاهات، قد أقاموا بجهودهم المتصلة صروح الآداب والفنون، فالأدب العربى القديم، ما عاش حتى اليوم أدبا خصبا، وما بقى تراثا غنيا: إلا بفضل رواته ونقاده وباحثيه الذين تفقهوا فى درسه ووازنوا بين شعرائه وأدبائه، وأظهروا لنا أسرار أساليبه، وآيات بلاغته، وكشفوا عن مؤثراته ومراميه، ومدارسه واتجاهاته، فى مختلف العصور والأزمان، فالأدب الفنى لا يبله من نقد إنشائى، كما أن القضاء العظيم لا يبله من فقه عميق. ولعل ما يبدو على الأدب العربى الحديث من فقر، بالنسبة إلى الأدب العربى القديم، راجع - لا إلى ضعف الإنتاج الفنى الحديث فى ذاته، بل إلى ظهوره وحيدا غير مستند إلى نقد إنشائى فى مستواه يقوم بمهمة التنظيم والتفسير والربط والتبويب.. فكان من أثر ذلك الإهمال أن بدأ الأدب

العربي الحديث في صورة جهود فردية غير جدية.. وسيظل كذلك إلى أن يظهر النقاد العظام الذين يتوفرون على درسه، ويخرجونه للناس والأجيال، بناءً متسقاً، مرتبطاً حاضره بماضيه.. على أن ظهور الناقد العظيم ليس بالأمر السهل، فللناقد صفات يجب أن تتوافر فيه، أهمها: أن يكون كفّيه القانون، بحراً عميقاً الاطلاع في الأدب الذي يدرسه، والآداب الأخرى القائمة، ماضيها وحاضرها، حتى يتيسر له التقدير للقيم والموازنة بين الأنواع، والتشريع للمذاهب، وأن يكون واسع الأفق، ليفهم كل الأغراض، قوى المعدة، ليهضم كل الألوان".

يقول الحكيم: إن "ذلك الذي لا يستسيغ نوعاً من الشعر، أولونا من النثر، أو فرعاً من القصص، أو ضرباً من التمثيل.. لا يجوز له أن يقوم على نقده، وإبداء الرأي فيه. وعليه أن يتتحي ويرد نفسه عن الحكم، شأن القاضي الذي كونه في القضية رأياً قبل البحث، أو اتصلت ظروفها بعلمه قبل النظر.. ففي لغة القانون يقولون: "ليس للقاضي أن يحكم بعلمه.. ذلك أن القاضي يجب أن يحكم بناءً على ما بين يديه من مستندات.. لا بما يتصل بعلمه الشخصي.. كذلك في لغة الفن يجب أن نقول "ليس للناقد أن يحكم بعلمه"، ذلك أن الناقد يجب أن يحكم على الأثر الأدبي أو الفني، بناءً على قيمته الذاتية، لا بما يمليه عليه مزاجه الخاص.. فالناقد الذي يكره مثلاً شعر المديح، إما أن يمتنع عن نقد قصيدة في المديح وإما أن يتجرد من بغضه للنوع، ويزنها بميزانها في نوعها.. ولكن ليس له أن يستبها لمجرد أنها في المديح، وهو يكره هذا النوع من أنواع الشعر". هذه الصفات من لوازم "الوساطة النقدية في المقال الصحفي خاصة إنما تستهدف إقامة ميزان النقد الأدبي على نحو منتج، وبقيام هذا الميزان في أدب من الآداب على حد تعبير الحكيم - يقوم "صرحه شامخاً على أعمدة الزمان" أو كما قال زهير:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامَ بِحُكْمِهِمْ

إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

ولذلك نذهب إلى أن مفهوم الوساطة النقدية في الاتصال الصحفي، يتجنب النزوات الشخصية "التي هي - كما يقول ريتشاردز" كثيراً ما تعرقل عملية النقد الصحيح وتطيح بكيان العمل الفني، ذلك أنها تزج به داخل إطار ضيق مغلق تحده الميول الذاتية والاتجاهات الفردية. وهذه النظرة الضيقة تسوقنا إلى خارج طبيعة العمل الفني الذي ينظر إليه "ريتشاردز" على أنه مجموعة من التفاعلات والتركيبات المعقدة التي تحتاج من الناقد أو القارئ إحساساً عميقاً ووعياً ودراية وحذقاً قبل

الإقدام على عملية التقييم. وهذه الأمور كلها غالباً لا تتوفر عند الكثيرين، ولهذا جاء نقدم صدى لما تحيى به صدورهم مما أبعدهم عن محيط الموضوعية. ولهذا كانت فائدته محدودة للغاية إذ إنها مقصورة على بعض آراء شخصية لا تغنى ولا تسمن من جوع.

ولذلك يذهب "اليوت" إلى أن تربية الذوق الفنى السليم وهى إحدى الوظائف الهامة للنقد المتكامل، لا تتأتى من وراء مثل هذه النزوات، إذ أن هذه الحساسية إنما تحيا فى رحاب الموضوعية، وتتغذى على منابعها وأصولها الكلاسيكية، كما تستند إلى نظرتنا الرحبة إلى التقاليد، فهى التى تقويها وتدعمها وتشد من أزرها حينما نخطو بكليتنا إلى المحيط الخضم للفنون والآداب، فنتمسك الماضى وقد تردد صداه فى حاضرنا وواقع حياتنا الراهنة، ونشق طريقنا وسط النصوص والنماذج المعقدة "نخرج منها بتراث غنى ملئ بالجوالات الفكرية بقدر ما يشع من كل جنباته بالانفعالات والعواطف الجياشة".^(١)

هذا الثراء الفكرى والوجدانى، الذى أشاد به "اليوت" ركن جوهرى فى 'الوساطة النقدية الإعلامية، حين تصاغ فى قالب موضوعى يركز على التعادل التام بين الحقائق الخارجية والوجدان، أو ما يسميه "اليوت" بالمعادل الموضوعى The objective Correlative الذى يمكن بواسطته تحقيق موضوعية العمل الفنى، أى أنه بمعنى آخر غير نابع من المشاعر والأحاسيس المباشرة. يقول "اليوت" إن السبيل الوحيد للتعبير عن الوجدان فى الفن هو إيجاد معادل موضوعى، أو بعبارة أخرى، إيجاد مجموعة من الأشياء، أو موقف أو سلسلة من الأحداث لتصبح قاعدة لهذا الوجدان بنوع خاص، حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية التى لا بد أن تنتهى إلى خبرة حسية، تحقق الوجدان المراد إثارتة^(٢). والوساطة النقدية فى وسائل الإعلام توجه الأنظار نحو الأصالة الفكرية القائمة على التعادلة الموضوعية، تقيم الموازنات، وتعد المقارنات بين النصوص قديمها وحديثها، لتتألاً محاسنها، بعد أن يدرك المثلى السبل القويمة لفهم وتنويع ومعرفة ما يقرأ ما أبدعه الشاعر أو الأديب أو الفنان فى القديم أو الحديث.

(١) القاضى على بن عبدالعزيز الجرجاني: الوساطة بين المثبتى وخصومه، ص ٢٩

T.S Eliot, Hamlet, Selected Essays, 145

(٢)

المقال العرضى : عرض الكتب والتعليقات والآراء

"ليس من شك فى أن العملية النقدية الكاملة قد تشمل انطباعات وموضوعات جذابة تروق السلطة فى الماضى باعتبارها أساسا للحكم — وربما أكثر من ذلك. والناقد الذى انتهج طريقة أو أخرى توقف بعد قليل فى مرحلة ما من العملية قام بتأكيد فى غير أوانه على مايفضله". قائل هذه الكلمات هو: "ستيفنسون سميث". نتخذ منها مدخلا للحديث عن الكتابة النقدية وكيف تتوفر على فى ضريين من الكتابة:

ذلك أن المقال العرضى والنقدى فى الصحف والمجلات يكتبه مبدعون محترفون، كما يتوفر لهذه الصحف وعلى يد القراء العاديين. وعلى المشرف على التحرير أن يقرر أى الكتابات يخدم قراءه بطريقة أفضل.

والمحترف فنان: والمحترف فنان يكتب عن فنه و، ولديه خلفية من التدريب، والمعرفة، والممارسة تزوده ليكون خبيراً. ومادته على درجة من الأهمية لقرائه الذين هم مشغولون مثله. وهو يكتب لزملائه المحترفين وأنصاف المحترفين مستخدماً لغة الحرفة.

والإنسان العادى حرفى ماهر فى الكتابة. والإنسان العادى هو أولاً كاتب يهتم بالفنون أو متذوق للفنون. وهو يفتقر إلى خبرة المحترف كفنان، ولكنه يتمتع بمعرفة عملية كافية بفن الكتابة ويعبر بأسلوب وبطريقة يحتمل أن تثير اهتمام القارئ العام. وهو كاتب، أولاً، وفنان ثانياً. والمحترف فنان أولاً وكاتب ثانياً. والمشرّفون على التحرير يقررون اختيار النوع الذى يستخدمونه. والمشرّفون على التحرير يجب أن يقوموا بحل المشكلة الأساسية؛ وهى مشكلة أى ضرب من الكتاب الناقدین يعتمدون عليه فى إرشاد قرائهم. فإذا قاموا باستكتاب "خبراء فإن غالبية قرائهم قد لا يفهمونهم. وإذا استخدموا رجالاً عاديين فإن الإخصائيين بين قرائهم قد لا يستفيدون منهم. والمشرّفون على التحرير عندما يكونون أكفاء، فإنهم يستخدمون كليهما. وهذا يتوقف على اهتمامات المجتمع أو جماعة القراء. ولكن بقدر ما قد لا يتيسر ذلك بالنسبة للجريدة العادية. ذلك أن معظم النقد الصحفى إنما يكتب للقارئ العام.

وعلى الرغم من أن هذا لا يزيد من قدر النقد المتمسم بالخبرة والمتاح للقراء، فإنه يجعل الكتابة النقدية فى الصحافة كتابة بسيطة ويمكن فهمها فوراً.

والناقد من الناس العاديين لا تعوقه الألفاظ المتخصصة فى الفن وكذلك القراء الذين تنقصهم الخبرة. فى حين أن المحترف كثيرا ما يكتب فيتجاهله معظم القراء.

أنماط الكتابة النقدية فى الصحف:

والكتابة الصحفية النقدية تميل الى أن تقع فى فئتين معترف بهما بصفة عامة هما: الطريقة الانطباعية، والطريقة الحكيمة. ولكن النقاد فى الممارسة الفعلية يستخدمون الطريقتين والتقنيتين معا.

والطريقة الحكيمة هى إحدى التقنيتين. والنظرية الحكيمة مشتقة من فكرة أن المعايير الثابتة يمكن أن تنشأ وتحدث لكل الأعمال الفنية بحيث ينبغى أن يطبقها بقدر الإمكان. ولكى نوضح لمن يعرض رواية تاريخية جديدة، كيف يقارنها برواية "إلى أين" أو الأيام الأخيرة لبومبى؛ والكتب المماثلة" ومن يعرض لمسرحية وفق، هذه النظرية، يقبل تقنية نهائية فى مسرحيات أريستوفان أوراسين، ويقارن المسرحيات الحديثة بأعمال هؤلاء الكتاب القدامى، ومن ثم فإن كاتباً مسرحياً محدثاً حين ينطلق من قاعدة الوحدات فمن المحتمل أن يدان.

وهذه هى أيسر طريقة لتقييم عمل فنى ما، إذ إنه يتطلب أساساً معرفة واسعة بما تم إنجازه فى الماضى. كما يحتاج إلى المقدرة على التعرف على مواقف مناظرة وصلات مشابهة لهذا العمل.

أما الطريقة الانطباعية فهى تقنية أخرى. والنظرية الانطباعية فى النقد تقوم على مبدأ أعلنه أناتول فرانس فحواه أن: "النقد مغامرة لروح عظيمة تقوم بها وسط روائح". ومن ثم فإن الناقد الانطباعى لايهتم إلا قليلاً فى حالة إبداع فنى جديد يمكن قبوله كعمل كلاسيكى. وهذا الضرب من النقد يعتمد أعظم الاعتماد على الانطباعات. وهو لا يقول لنا كيف تقترب لوحة زيتية من المعيار الذى وضعه عمل سابق لاستاذ ما، بل يركز على أثره عليه. وعلى الأفكار التى أثارها لديه رؤية لوحة.

وهذه المواجهة النقدية صعبة لأنها تتطلب من النقد أكثر من النزعة الحكيمة. فالنقد ينبغى ألا تكون له معرفة شائعة عادية فحسب. بل أيضاً إدراك حاد وخبرة واسعة النطاق برود فعله يعتمد بدرجة كافية ليكون على شىء من الأهمية بالنسبة لقارئه. على أن الانطباع بالقياس إلى عقلية ضحلة خرقاء لا يستحق التسجيل. أما الانطباع بالقياس إلى عقلية مثلهفة مشوقة للمعرفة فإنها أحياناً تزيد

من أهمية العمل الفني الذي يجرى نقده. والنمطان يستخدمان فى الكتابة الصحفية. فى الكتابة النقدية، على أية حال يبدو أن الناقد يتوسل بالنظرتين معاً، ويضيف إليهما وسائل أخرى للوصول إلى نتائجته التى يخلص إليها. وهذه الطريقة هى التى أدرجها الأستاذ سيتفنسون سميث، فى قائمة للتوصل الى نتائج، تتوسل بمجموعة خاصة من العمليات العقلية تشمل الانطباعات والتحليل والتفسير والتوجيه والتقييم والتعميم. والناقد الانطباعى لايهتم كثيراً بالتأكيد على التوجيه. أما الناقد التساطى auth oritarian فإنه يؤكد على التوجيه تأكيداً شديداً. ومعظم النقاد الصحفيين للدراما والأدب والرقص والفنون الأخرى يكادون أن يكونوا منضمين لهذه المدارس الخاصة بالنقد، وهذه العمليات العقلية. وكبار النقاد فى الصحف الكبرى والمجلات الكبيرة على علم بها. ولكن معظم الصحف الصغرى والمجلات الفصلية تفتقر إلى القدرة أو الرغبة فى استكتاب النقاد المدربين، ويلقون عبء هذا العمل على عاتق أعضاء هيئة التحرير النظاميين أو الرجال العاديين.

المقال بين العرض والنقد :

وحصيلة الكاتب، إذ تعتمد على التدريب أو الخبرة فى الكتابة التى تستهدف تقييم الأعمال الفنية والابداعية، يمكن أن تكون شكلاً من الأشكال الثلاثة الآتية: عرض العمل الفنى؛ أوالمقال النقدى أو المقال الذى يجمع بين العرض والنقد معا.

والمقال العرضى Review مقال ينتمى إلى التقرير، عندما يتحول العاملون المنتظمون فى الجريدة إلى كتاب أحرار ويتناولون قطعة فنية، فإن أول خاطر فجائى لديهم هو تقديم تقرير عنه لا المرور عليه مر الكرام. وخاطرهم الفجائى impulse صحيح. والمواجهتان ينبغى أن تبقى كل منهما على حدة. وينبغى ألا يفترض أن مخبراً صحفياً كفواً هو أيضاً ناقد كفؤ. وأى مخبر صحفى عام يمكن أن يذهب إلى معرض للنحت ويكتب ألف كلمة عنه. ويمكنه أن يقول إن ثلاثة تماثيل صغيرة من عمل "فلان" تعرض فى الجناح الشرقى للمتحف، أو أن جون ميتشل يمثلته تماثيل ارتفاعه ثلاثة أقدام لبن جونسون، ونسخة بالحجم الطبيعى لتمثال مشهور. وهو يستطيع أن يتحدث عن تقارب المداخل ويتحدث عن عدد من زاروا المعرض، ومنهم من مكانة مرموقة، وكذلك عدد القطع التى عرضت، كما يقدم بيانات أخرى من هذا الطراز.

المقال النقدي :

والنقد تقويم: ذلك أن النقد تعبير عن الرأي من جانب الناقد، وهو أكثر من تقرير. ومن ثم يختلف عن المقال العرضي الذي يعرض للعمل الفني. فالناقد الذي يزور معرضاً للنحت أو الفنون التشكيلية مثلاً، يقدم للمشرف على التحرير ضرباً مختلفاً تماماً من الكتابة عما يفعل المستعرض للعمل الفني. فهو يناقش فيه أثر العمل النحتي على نفسه (إذا كان انطباعياً) أو مميزات العمل عند مقارنته بعمل فنانين سابقين (إذا كان تسلطياً) والمفروض أن الناقد يتمتع بخبرة نظرية وعملية تتيح تقويم فن النحت وما قام به النحاتون القدامى والمحدثون إلى ما يتمتع به من حساسية خاصة تتيح له التواصل مع عمل الفنان.

المقال العرضي والنقدي :

هو نقد استعراضي. أو مزيج بين العرض والنقد ومعظم النقاد الصحفيين يحاولون القيام بالوظيفتين معاً، لتقديم تقرير عن العمل وتقويمه.

الجرائد تغطي مجالاً واسعاً :

والمطبوعات من مختلف الأنواع وبخاصة الكبرى منها، تقدم مادة نقدية لأنواع كثيرة جداً من التعبير الفني. والصحف الكبرى تحاول أن تغطي ميدان الفن بأسره، وهي تقدم ملاحق أو تخصص أبواباً لمتابعة كل فن من الفنون وتنتشر مقالات أخرى لكتاب من خارج الصحيفة في أوقات أخرى، ولكن مجلة أسبوعية إقليمية لا تقدر على أن تفعل هذا، وربما لا يكون لديها العدد الكافي من القراء الذين يعنيهم أن يطلعوا على أكثر من عمود قصير عن كتاب ومقالة عرضية عن المسرحيات الوافدة. والصحيفة اليومية في المدينة الصغيرة تقدم مساحة منتظمة لنقد كتاب ومسرحية وموسيقى وفيلم. أما المجلات المتخصصة فتتجاهل هذا الميدان.

والمادة النقدية تستخدم عندما، تظهر ضرورتها؛ وفائدتها؛ وتخضع في التقويم الصحفي لمعايير الصحيفة نفسها؛ ولعدد من العوامل التي قد تملئها النظرة الاقتصادية مثل: مساحة الإعلان التي يمكن أن تباع، وزيادة التوزيع المتوقعة. هذه النظرة الاقتصادية تقابلها نظرة فكرية تعود إلى الناشرين أو المشرفين على التحرير من الذين يتمتعون بثقافة عميقة؛ وإطار فكري؛ وفهم لوظيفة الأدب

والفنون، ونقدها فى بناء الانسان، حين يحرصون على تقديم المادة النقدية للأدب والفنون بغض النظر عن الخسارة التجارية أو الكسب المادى. وهذه المادة ليست دائماً منتظمة فى المظهر، كما أن جانباً كبيراً منها ليس له مكان فى الجرائد الصغرى.

والموضوعات الرئيسية التى تغطيها الجرائد فى أقسام النقد بها هى: الأدب والدراما والأفلام والموسيقى والفن وبرامج الإذاعة والتلفزيون. وكثير من الصحف لها أقسام أدبية. وليس هناك تجانس فى طريقة تقديم المادة للقسم الأدبى. فهناك ملاحق صحفية للكتب فى الصحف الأمريكية والأوروبية؛ من اثنتى عشرة صفحة إلى ست عشرة صفحة وأقسام خاصة بالكتب تتألف من صفتين إلى ثمانى صفحات منتظمة من صفحات الجريدة، وصفحات مخصصة للكتب من صفحة كاملة أو جزء من الصفحة؛ وأعمدة خاصة بالكتب. ومعظم الأقسام الأدبية، على أية حال، تقدم عروضاً للكتب ومقالات نقدية وأخباراً عن الكتب والمؤلفين. وفى الملحق الأدبى الكبير يقدم للقراء إلى جانب هذه العناصر الرائجة نصوصاً من القصص والشعر وقوائم بأكثر الكتب رواجاً، ومراسلات عن الأنشطة الأدبية ومقالات خاصة عن الشؤون الأدبية ومتابعة لحركة الأدب فى الخارج، وإيضاحات مسهبة للمادة التى نشرت، وإعلانات عديدة. وبالإضافة إلى ذلك تقدم أحياناً عروض لكتب تباع أحياناً فى صورة مقالات وبعض المجلات تخصص أحياناً مساحة كبيرة لعروض خاصة بالكتب.

والأقسام الأدبية الكبيرة لديها هيئات تحرير مكونة من عدة أشخاص يقومون بأعمال التحرير، ويستعينون فى العمل بمحترفين يقومون بعرض الكتب. ومعظم الصحف على أية حال، تعهد بهذا العمل فى عرض الكتب لعضو منتظم من هيئة التحرير يتلقى المساعدة من زملائه ومن النقاد الخارجيين الذين يحصلون على كتب. وقسم الكتب يحصل على الكتب بأن يطلب من الناشرين نسخاً لعرضها أو باستعارتها من المكتبات. وينبغى حفظ سجلات للكتب ومن يقومون بعرضها، وينبغى أن ترسل نسخ للمراجعة إلى الناشرين. الأمر الذى يتطلب دراسة لعالم النشر. ويقضى هذا الأمر أيضاً من مدير تحرير قسم الكتب عملاً أكثر من مجرد إعداد النص الصحفى وتحرير صفحته أو كتابة عموده. إذ عليه أن يضع نصب عينيه تحقيق ضرب من التوازن بين عروض الكتب ومقالات النقد حتى تغطى كل أنواع الأدب - السيرة الذاتية والقصص الخيالى والشعر والدراما - وهى تكتب بعشرات الطرق. وكاتب المقال ليس مطلوباً منه أن يستخدم نمطاً تحريرياً معيناً

فى الكتابة مثل كاتب القصة الخبرفة؁ ذلك أن المقال العرضى والنقدى عادة مقال فوقع علفه الكاتب. ومن ثم فهو أكثر مرونة وأكثر صدقا وألفة من الروافة الإخبارية العافة. ففحدد طوله بواسطة المحرر الألبى الذى فؤسس قراره على المساحة المتاحة؁ وأهمية الكتاب؛ وعودة العرض. أما قسم الدراما فهو شائع فى صحف المدن الكبرى.. ففتحكم عنصر الوقت فى عمل الناقد المسرحى أكثر مما ففحكم فى عمل الناقد الألبى. الناقد المسرحى فى الجريدة فقوم فى العافة بعرض لمسرحفة جافة فى لفة الافتتاح؁ فسلم نسخته كمادة خبرفة. وهو فعمل بسرعة؁ لا لأن عرض مسرحفة جافة بمثابة خبر فحسب؛ بل أفضا لأن الصحفة فرفد أن فحقق وظلفة القفاة فى فففم الإرشاد لقرائها فوراً.

والناشرون ففهمون بعرض الكتب عرضا جفا مقما قبل النشر؁ وقد فففجب الصحفة أولا ففجب ففعرض الكتاب بعد صدورهم. ولكن من فقوم بعرض لمسرحفة فى جرفة لا ففمتع بهذه الميزة. فقرأوه فمكنهم مشاهدة المسرحفة فى المساء. أما متابعة المحرر الألبى فقد ففغرق أفا وافة أسابيع لراءة الكتب التى فقوم بعرضها. وقرأ الناقد المسرحفف لا فأملون أن ففعرفوا على الفكر الذى ففور فوله المسرحفة فحسب؁ بل أفضا أن ففعرفوا على رفور الفعل عند النقد بالنسبة للأاء. وهذه الأصاء مهمة عندهم؁ لأن فوف الناقد معروف من فلال مقالاته التى ففضمن فناء أو فففجانا. ومعظم أقسام الدراما ففألف من شخص واحد. وهذا الشخص فمكن أن فكون شخصا من فارج هفة الففر فى الصحفة أو فكون عضوا منتظماً فى هفة الففر؁ فخصص وقت فراغه لهذا النشاط. وفى الصحف الكبرى قد ففكون القسم من عمال عاملفن عفففن فففغلون كل الوقت وفقومون بعرض كتابى للمسرحفا فومفا ففرففا؁ ففعدون مقالات خاصة مثل اللقاءات مع الممفلن والإخبار عن نشاط مسرحى صفر؁ كما فففمون أفا فف عن الفففا الفففة؛ وهم فى ذلك كله ففررون مادة لصحفة فومفة. وفففضى واجبات الناقد المسرحى ففففل معرفة درامفة كافية ومعرفة بالمسرح وكذلك بالمسرحفا. ففضع الناقد نصب عفنه أن ماكفبه هذا المؤلف ففس أهم مما قام به الناس على فشفة المسرح من أاء لما كفبه مما ففهم المنفرج. ففاذا أثفى على المؤلف للفلب على الإخراج؁ أو فا أعطى الممفل ما فففقه من سطور جملفة؁ فافنه قد ففنج مع دائرة العرض على المسرح ولكن أهل المسرح أنفسهم فففمون عملاً ففرفون أفن فففونه.

وقسم الافلام السينمائية، يرسخ دعائم سوابق جديدة. فتقييم الفيلم السينمائي عمل جديد نسبيا بالنسبة لميدان النقد فى الصحف. والفيلم بقدر مايشبه المسرح، يعرض، إلى حد ما، مشكلات مختلفة بالنسبة للناقدين له.

فهناك أولا وقبل كل شىء، أفلام أكثر عددا من المسرحيات تظهر فى آن واحد فى مدينة واحدة. بل إن بضع مجتمعات لا تزورها أكثر من فرقة أو فرقتين مسرحيتين فى وقت ما، ثم تعاود الزيارة على فترات طويلة. وكثير منها ليس فيها دور للمسرح. بل إن هناك قرى صغيرة جدا سوف يكون فيها دار للسينما. والأفلام تتغير كل بضعة أيام، ونقد السينما ليس منظما تنظيما جيدا مثل نقد معظم الأنشطة الفنية الأخرى. فهو شكل جديد. أما المسرح فعمره يمتد إلى قرون، وأما السينما فعمرها بضع عشرات من السنين. كما أن المسرحية أكثر تكلفة. وكان ينظر إليها على أنها لا تستحق النقد حتى وقت قريب؛ كما يزدريها والنقاد المسرحيون. ولكن لما نشأ طلب الجمهور على تحقيق الوظيفة الإرشادية والتوجيهية فى هذا المجال، بدأت الجرائد الكبرى تولى اهتماما خاصا بأحدث العروض على شاشات السينما، ثم حذت حذوها الصحف الصغرى.

على أن طبيعة العمل فى الأقسام الفنية والأدبية تكاد أن تكون واحدة؛ بل إن المشكلات للشخصية ومشكلات التحرير والاعداد، هى تقريبا نفسها بالنسبة لقسم السينما أو قسم المسرح أو القسم الأدبى .. وقسم الموسيقى يتطلب إخصائيين. ذلك أن النقد الموسيقى يعتمد على التخصص أكثر مما يحدث فى النقد الخاص بالأدب أو المسرح أو السينما. والنقاد الصحفيون إذ يعملون كما يفعلون فى الشكل الأدبى يجدون من الأيسر أن يقيموا شكلا أدبيا آخر من نقل أخبار فن يتطلب تنريبا كبيرا أو يعطون إنطباعاتهم عنه، وذلك مثل الموسيقى أو النحت أو أى شكل من أشكال الفن طالما أنهم لم يحتكوا به.

وقد اهتمت الصحف بنقد الموسيقى مع الأدب والمسرح لمدة سنوات عديدة. وهؤلاء النقاد هم بالقياس إلى الموسيقى موسيقيون بالضرورة، بل إن أصغر جريدة لا ترسل غالبا مخابرا صحفيا عاما فى مثل هذه المهام لتغطية عزف منفرد لشخصية مشهورة موسيقية أو لحفل موسيقى كونسرت يقدمه أوركسترا سيمفونى. والنقد الموسيقى بالضرورة مجاله للخبير الذى يكون فى العادة موسيقيا ممارسا له نزعة للكتابة ويتم تغطية حفل الكونسرت أو العزف المنفرد أو الأوبرا كثيرا بنفس الطريقة التى تعالج بها الكتاب أو المسرحية. والناقد الموسيقى فى

الجريدة أو المجلة الخبرية ينبغي أن يعمل بسرعة ليواصل القيام بوظيفته كمرشد لقرائه وإحفاظ على قيمة التوقيت الصحفية. والناقد الموسيقي أكثر من أى ناقد آخر تقريبا يستدعى من أجل تمرين ذاكرته المدهش كتب المراجع عن فنه، والتي تكون حاجته ماسة إليها أكثر من حاجة أى من زملائه النقاد، بهدف التأكد من حقائق مثل تاريخ الحفل الأول لأوبرا أو بداية فعل أو أول عزف لسيمفونية هامة بالنسبة له.

وقسم الفنون كثيرا ما يكون عمله تقريريا reportorial . على أن هذا القسم ينبغي ألا يختلط بقسم له نفس الاسم؛ وهو ملحق بقسم التحرير حيث يقوم رسامو الكاريكاتير والمصححون وغيرهم من الفنانين بإخراج عمل أصلى أو تحسينه على الصور الفوتوغرافية، ورسوم الكاريكاتير، والرسوم التى تتلقاها الجريدة. وهىة التحرير التى يكون لها اعتبار الآن تتألف من نقاد الفنون التشكيلية والتصويرية والأشخاص المعنيين بأخبار الفن الذين يقدمون إما سلسلة من المقالات النقدية العرضية.

والمعرفة المتخصصة هنا أيضا مطلب أساسى لاغنى عنه. ومعظم الجرائد التى تولى اهتماما بهذا القسم تصنع ذلك بطريقة غير نقدية. وجانب كبير منها يذهب إلى محررى أخبار المجتمع والنوادر. والصحف اليومية فقط والمجلات الثقافية الكبرى هى التى تهتم بفن النقد بصورة جادة. والسبب فى اهتمام الصحف بالنقد الإذاعى والتلفزيونى إنما يجيء أيضا استجابة للاهتمام القراء بهذا الشكل الفنى. وقسم الإذاعة والتلفزيون يزداد أهمية فى الجريدة ويتنامى بصفة متزايدة. ومع ذلك فإن لنطاق عمله علاقة بنقل أخبار الفنانين، والبرامج والتقنوات. وتخصص مساحة كبيرة بانتظام لنشر بيانات عن البرامج على الرغم من أن بعض الجرائد تتحاشى القيام بهذا العمل اعتقاداً منها أنها تقدم مساحة إعلانية مجانية. والعلاقات التجارية والأسماء التجارية تحرر خارج هذه البيانات بواسطة محررين عديدين للإذاعة. والتقدير الفعلى للقيم النسبية فى البرامج تقتصر إلى حد كبير، على بعض صحف العاصمة والجرائد الأسبوعية التى تعنى بتقديم تعليق عليها.

ومهمة المستمع المحترف للراديو والمشاهد المحترف للفيديو لا تشبه مهمة زملائه النقاد، فهو ليس فى حاجة إلى أن يترك مكتبه أو بيته لتغطية قصته. وليس لديه مشكلات فى استخدام أو رفض مواقف - الاستوديو - أو القيام بعمل حدود

فاصلة لا ينبغي تجاوزها في نسخته النقدية - ولكن ينبغي أن تكون له خلفية أوسع، وإن لم تكن بالضرورة أكثر كمالات وإتقاناً وأكبر مما لدى زملائه في المكتب. وبالنسبة للدراما والموسيقى وغيرهما من الفنون التي تزداد على موجات الأثير - وكذلك الخطب والوصف التفصيلي لأحداث الألعاب الرياضية أو الحفلات الأخرى والمنوعات التي يذكرها كل المشاهدين للتلفزيون والمستمعين للراديو. والناقد لبرامج الإذاعة والتلفزيون يجب أن يكون متحرراً في نوقه. ومع ذلك يكون على علم ودراية بالمشكلات الفنية لدى هؤلاء الوافدين الجدد على ميدان النقد الصحفى.

وهناك أقسام أخرى قد تسمح للقارئ بالمشاركة.

ذلك أنه إلى جانب هذه المنافذ الأولية للرأى قبل الافتتاحية، فإن الأنواع المختلفة للأعمدة والمقال الموقع أوالمقال المنوع من مقالات المعالم الصحفية Features وغيرها، هناك وسائل للمشرف على التحرير و كما أن هناك صفحات خاصة وأقسام وأعمدة للأخبار والتحقيقات فى معظم الجرائد، والمجلات.

رسائل إلى المحرر: وهذا الباب يقوم بعمل منتدى forum لذلك ينظر إليه على أنه يقوم بعمل ديمقراطى، ويصبح أداة تصحيح للنشر. ويولى اهتماما كبيرا للقارئ على نحو ما نرى فى المقالات والرسائل التي يبعث بها القراء إلى الجرائد الكبرى والمجلات الفصلية، والتي تخصص محررا خاصا يستطيع أن يعالج الرسائل البريدية ويعد المادة للنشر.

وتستخدم أحيانا صفحات خاصة. وقد تتألف صفحة خاصة لكتابة نقدية أو رأى .. وأمثلة لهذه الصفحات صفحات الهوايات، التي تنشر أيضاً أشعار وقصصاً ومقالات يرسلها محترفون من القراء.

وتتمتع هذه الصفحات بمدى فسيح عظيم تنتجها بدورها للقراء. وكلما كانت النسخة طبيعية ولا يدخل عليها أى تغيير؛ كانت مرضية للقراء. وهذا يؤدي إلى أن يجد القراء فى الصفحات الخاصة آراء معارضة لآراء الجريدة كمؤسسة.

والتقارير الاستطلاعية أداة شعبية رائجة، والمخبر الصحفى الذى يقوم بكتابة عمود استطلاعى Inqwring يمثل تطوراً حديثاً. وقد بلغ أقصى شعبية لدى قراء الجرائد النصفية (التابلويد)، وإن كانت غير مقصورة عليها. فالمخبر الصحفى والمصور بالكاميرا يزوران الموظفين فى مكاتبهم أو يوقفان المارة على ناصية

شارع ماء، ويسألونهم جميعاً نفس السؤال، ويسجلون إجاباتهم. ويحصلون على صورهم الفوتوغرافية التي تنشر في الجريدة.

وهذه ليست حيلة فقط لزيادة التوزيع بل أيضاً فن من فنون المعالم الصحفية features كشفت الدراسات أنه من أكثر الملامح شعبية في الصحيفة. ومن نماذج تلك الأسئلة: هل تريد أن يطلق عليك الرصاص من بندقية؟ وهل تعتقد أن السيدات المتزوجات ينبغي أن يسمح لهن بأن يتولين مناصب في الأعمال المالية والتجارية أو عالم الصناعة؟.

حرفة الصحفي الأديب :

"نحن (المؤلفين) ننقل خبر الفكر والروح لشخصياتنا بقدر ما ننقل خبر الأفعال والأحداث في الحياة اليومية التي هي بعد كل شيء الحوادث المادية للوجود. لا الحقائق الواقعية الهامة في الحياة. وهناك ميل في بعض الدوائر إلى أن يطلق على هذا العمل رواية خيالية. ولكن بعضه، وأنا أصغر على ذلك، أدب.. والأدب الصادق هو الحياة مترجمة إلى حروف" فيرنك مولنار^(١).

الصحفي الأديب مبدع :

وتحت هذا العنوان يقول الأستاذ "ولزلي" :

"إن الأديب أو المؤلف يتميز عن الصحفي بصفة أساسية من حيث أنه يكتب كتابة إبداعية، ذلك أنه يصنع شيئاً لم يكن موجوداً من قبل.

والحقائق قد تكون إطاراً لما يكتب .. والمخبر الصحفي العادي يسجل ما يحدث في العالم من حوله: مثل: "حريق أو اجتماع عام أو محاكمة أو خطاب: والمخبر الصحفي النجم أو الكاتب الخاص يسمح له أحياناً بأن يقدم أخباراً من وجهة نظره الخاصة مع تعليقه على الأحداث في الحياة المعاصرة، وكثيراً ما يشرح معناها أو يفسرها والناقد الصحفي الذي يكتب عن كتب أو مسرحيات أو موسيقى أو فنون، إنما يقدم تعليقه على هذه الأعمال التي أنتجت وفسرها أو يقومها تقوياً فنياً. ومن ثم فإنه يمكن أن يقال إن الصحفيين يسجلون ويعلقون ويفسرون.

(١) من كتاب مسرحيات. "فيرنك مولنار". المقدمة بقلم لويس ريتبرج ص ١٥ سنة ١٩٢٩.

والخيال الخلاق للأديب قد ينطلق من نفس المادة التى ظهرت كخبر فى جريدة من الجرائد ويعيد تشكيلها بأسلوب ما بحيث تصبح رواية أو قصة قصيرة أو مسرحية أو حتى قصيدة. وحين، يعمل هذا، لا يلزمه أن يتشبهت بالحقائق كما يفعل المخبر الصحفي، وهو يستخدم الحقائق فقط كنقطة انطلاق أو كإطار لما يكتب معتمداً على الفراسة والخيال. ويقدر ما يقدم الصحفي لجريدته من كتابة تنسم بالفراسة والخيال يكون أكثر اقتراباً إلى الأدب. وعندما يتعرض لصميم الموضوع تتجاوز رغبته فى التعبير عن شئ من الحقيقة، وتحمله إلى ما وراء حدود التسجيل أو حتى التعليق. وعندما يعبر عن تلك الحقيقة بلغة حاذقة وواضحة جداً، بحيث تغدو الفكرة والتعبير عنها كلا متجانسا - فإنه عندئذ يكون قد اقترب من الطريقة الإبداعية التى نسميها التأليف. ومثل هذا الشخص الذى يكتب للصحيفة بفراسة خلاقة يمكن أن يسمى الصحفي الأديب. وجهة النظر والمقدرة على الكتابة؛ هما اللذان يصنعان هذا الضرب من الصحفيين. وإذا كان الأدب يكتب من أجل موعد نهائى. فإن هذا المعنى يتضح حين نذكر مع "زلزلى": زلزال سان فرانسيسكو عام ١٩٠٦ إذ كان ويل إيروين" مخبرا صحفيا ناشئا فى جريدة "نيويورك صن". وإذا عرفنا أن إيروين عاش فى سان فرانسيسكو وكان يعرف المدينة تماما. فإن مدير تحرير صحيفته طلب منه أن يكتب قصة لقراء جريدة "صن" عن المدينة التى تهاوت وأصبحت أنقاضا : فجلس إيروين أمام ألته للكتابة وبدافع حبه لسان فرانسيسكو وحزنه لدمارها كتب: تحت عنوان "المدينة التى كانت" قصة تتحدث عن سان فرانسيسكو الجميلة المرححة ذات البهاء والحسن، المدينة التى عرفها خير المعرفة. وهذه القصة، إلى حد ما على الأقل، مثال للصحافة الأدبية. ذلك أنه استدعاها وهو جالس فى الكاتدرائية البروتستانتية الأسقفية فى واشنطن يستمع إلى الشعائر التى أقيمت لجنازة رودرو ويلسون. لقد أحس جيمس أونيل بنيت من هيئة تحرير جريدة شيكاغو تريبيون أحساسا عميقا بمغزى المناسبة وشعر بالعاطفة الشاملة التى تأكدت فى هذه اللحظة فكتب لجريدته قصة تلبى أعظم مطالب الصحافة الأدبية.

وكان "إيروين" وبنيت" على السواء يعملان مخبرين صحفيين نجمين أو كاتبين خاصين لصحيفتيهما عندما تحولا لكتابة قصتيهما. وأحيانا يكون كاتب الافتتاحية هو الذى يعزف اللحن العالمى ببراعة أدبية صادقة.

وكاتب العمود مثل: على أمين؛ مصطفى أمين؛ حافظ محمود؛ إبراهيم نافع ، سلامة أحمد سلامة؛ أنيس منصور، فى صحافتنا العربية؛ ونظائرهم فى الصحافة الأوروبية والأمريكية مثل : دون ماركيز" فى عموده "ديال" بجريدة" نيويورك صن، "وكريستوفر مورلى" فى جريدة" نيويورك إيفيننج بوست" "وبن هكت" فى صحيفة شيكاغو ديلي نيوز إنما هم صحفيون أدباء لهم مكانة مرموقة.

وكتابة سجل بسيط للأحداث الروتينية فى الحياة اليومية للجريدة عمل يمكن أن يتم بواسطة أى شخص على حظ من التعليم؛ وشئ من التدريب فى التقنية الصحفية. وتفسير الأنباء فى افتتاحية أو فى عمود يوقع عليه كاتبه يتطلب خلفية ثقافية عريضة فى الفكر السياسى والاقتصاديات والتاريخ. ولكن الكتابة عن هذا النوع لا تدل بالضرورة ضمنا على التمتع بفراصة أدبية. ولكى نجعل القارئ يسمع ويشعر ويرى الصحيفة؛ يجب على الكاتب أن تكون له إلى حد ما قدرة مماثلة لقدرة الشاعر أو كاتب الرواية والقصة القصيرة.

ويظهرنا تاريخ الصحافة المصرية والعربية والعالمية على أن الكاتب ذى الميول الأدبية إنما يستخدم الجريدة كوسيلة للتعبير عن الذات، وكمدرسة للتدريب على الكتابة. والكتاب الذين استخدموا الصحف يمكن تقسيمهم إلى خمس مجموعات: كتاب المقالات الساخرة؛ وكتاب الرواية الطويلة وكتاب القصص القصيرة، والشعراء، وكتاب المقالات *essayists* والنقاد. وكتاب المقالات الفكاهية الساخرة: وكتاب المقالات والنقاد والشعراء أحيانا؛ استطاعوا أن يستخدموا مواهبهم استخداما مباشرا فى كتابة الأعمدة بالصحيفة. أما كتاب الروايات وكتاب القصص القصيرة فقد وظّفوا العمل الصحفى كما لو كان بالنسبة إليهم مرحلة من مراحل التلمذة لرؤية الفطرة البشرية والعلاقات الإنسانية. كما رحبت الصحف بالكتاب الفكاهيين *Humorists*. ومما يذكر فى هذا الصدد أن بنجامين فرانكلين قد نشر ملاحظاته اللاذعة عن الحياة والناس فى باب "الصمت خير" فى صحيفة "نيوانجلاند كورانت". وفيما بعد قام بعمل استكتشات هزلية، لصحيفته هو ولصحيفة بنسلفانيا جازبت. ومارك توين فى أيامه الأول فى نيفادا كان "الرجل الساخر" لمنشأة مدينة فرجينيا وقد بدأ، مثل فرانكلين فى قالب نموذجى. فعمل أولاً طابعا تحت التمرين وعمره ثلاثة عشر عاما لصحيفة "ميسورى كوربا" فى المدينة النهرية الصغيرة هانيبال، حيث ظل يكتب على الآلة الكاتبة لمدة خمس سنوات، وهو يعمل فى

صحيفة شقيقة هانيبال، أوريون وهي "جورنال" بالاضافة لصحيفة "كوريار" وساهم في تحرير صحيفة "جورنال" وذلك عادة بأسلوب طروب مرح لدرجة أن أيام نشر صحيفة هانيبال بالنسبة إليه أسطورة مرحلة.

وعندما ذهب إلى "سان فرانسيسكو" كتب بأسلوب ساخر لصحيفة "سان فرانسيسكو كول" وفيما بعد كتب لصحيفة بفالو (نيويورك) "واكسبرس". وكان يوجين فيلد الذى يكتب لصحيفة دنفر تريبيون وشيكاغو ديلي نيوز أحد كتاب الأعمدة الأمريكيين الأوائل وكانت حياته القصيرة كلها تقريبا مكرسة للكتابة فى الصحف.

وأطلق "فيلد" على عموده فى صحيفة شيكاغو: "شاريس" .. وكان يتمتع بقدر كبير من الروح الرياضية فيه كما كان يسخر من العالم بصفة عامة، ومن شيكاغو بصفة خاصة. وكانت طريقته الأثيرة فى الهجوم أن يشرع فى كتابة مقالة عن شخص أو مؤسسة بجدية بحيث يستغرق القارئ فى المقال تماما قبل أن تتذره السخافات المتراكمة بأن هناك أضحوخة أو قطعة بارعة من الابتكار المتسم بالسخرية تتكشف أمام عينيه. وكتب "فنى بيتر دن" استكشاته "مستر دولى" لصحيفة شيكاغو اليومية وأحرزت صحيفة "لارنر" شهرة بسبب تصويره الساخر للاعبى البيسبول، الذى كان يكتبه كمخبر للصفحات الرياضية فى للصحف.

أما كتاب الرواية فقد كسبوا تدريبا قيما فى عمل هيئة التحرير للصحف؛ ومن أوائل الصحفيين الأكفاء فى "نيوانجلاند"، بالمعنى الحديث، "دانييل ديفو الذى وضع ملاحظاته عن الحياة الانجليزية فى الصحف والتي ارتبط بها، وتشارلز ديكنز الذى بدأ يهتم بالناس وأخذ يكتب عنهم باعتباره مخبرا صحفيا صغيرا. وويليام دين هويلز الذى نشأ فى مطبعة ريفية وظل سنوات عديدة عضوا فى هيئة تحرير صحيفة لاهيو ستيت جورنال. وعلى الرغم من أنه وجد أن نقل أخبار الشرطة يمثل عملاً صعباً بالقياس إليه؛ إلى حد أنه هجر مؤقتاً فكرة العمل الصحفى، مشيراً بعد سنوات عديدة إلى هذا الحادث، فإن هويلز كتب بعد ذلك: "أعتقد لو أننى لوكنت أكثر حكمة وقتذاك لظلت فى الوظيفة التى عرضت على، وتعلمت فى مدرسة الواقع الدروس العديدة عن الفطرة البشرية التى كان يمكن أن تعلمنى. وكان "رتشارد هارديج ديفيز" صحفياً حتى وفاته. وكانت المادة التى حشدها لرواياته وقصصه مما اكتسب أثناء عمله كمخبر صحفى ومراسل حربى.

وكتاب القصة القصيرة يعرفون التقنية ويحصلون على المادة. وريارد كيلنج كتب روايته "القصائد القصصية لحجرة التكنة" لصحيفة في الهند. وأول طبعة من هذا الكتاب أعدت وطبعت في مقر الصحيفة حينما كان كيلنج مخبراً صحفياً صغيراً في هيئة تحريرها. وتعلم "برت هارت" تقنية الكتابة الواقعية وهو مخبر صحفي كصحيفة "تورثرن كاليفورنيان" وهي صحيفة ريفية - وعمود في صحيفة "هوستو يوست" (تكساس) كان يكتبه أو. هنرى الذى كان يعمل أيضاً لصحيفة بتسبرج وكتب كثيراً من قصصه القصيرة لجريدة نيويورك سیتی. وفى عموده بصحيفة هوستون توجد بذور قصتين قصيرتين كتبتا فى الأعوام الأخيرة وهما "حكم فقير" (اختيارات) و"البروفيل المسحور" (طرق القدر). "وستيفن كرين" وهو مخبر وكاتب خاص، ومراسل حربى، كتب لصحف نيويورك. وأفضل قصصه كانت ثمرة تجاربه فى الصحف وقد كان صحفياً منشقاً على التقاليد الكنسية يرى الأشياء بطريقته الخاصة ويكتب عنها، عادة ، بطريقة تمتاز بالأصالة العظيمة بحيث لا يقدرها مدير التحرير الذين اتفق أن كان يشتغل لهم.

وحتى الشعراء يفيدون من التجربة الصحفية. ففيليب فرينو "شاعر الثورة" كان صحفياً طوال الجزء الأكبر من حياته ككاتب. وكثير من أشعاره التى تعالج أحداثاً ذات أهمية؛ ونشرت فى صحف كانت ملكاً له أو عمل لها. ووالث هوايتان كان مرتبطاً بنصف دسنة من الصحف خلال حياته وكثيراً ما أفاد شعره من موضوعات واجهها إبان حياته العملية فى الصحف. "ويليام كولن بريانت" ظل لمدة خمسين عاماً تقريباً عضواً فى هيئة تحرير جريدة نيويورك "إيفننج بوست"، ومديراً للتحرير لبعض الوقت. وكعضو فى هيئة التحرير فى جريدة "شيكاغو ديلي نيوز" كان "كارل ساندبرج" كثيراً ما يستخدم المادة التى جمعها وهو مخبر صحفى، ويستدعيها فى شعره. وكان ساندبرج مخبراً صحفياً من الدرجة الأولى. وكان دائماً سريعاً فى التعاطف مع الرجل العادى. ولكنه كان يرى الأحداث من خلال عقله وكذلك من خلال عواطفه. وكانت الأنشطة التى يقدم لها ساندبرج كصحفى، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمدينة، ويمكن تتبعها فى الكثير من أشعاره. وقال لمن التقوا به إن مكتب جريدة "ديلى نيوز" شهد بدايات أفكار عديدة ظهرت فى كتاباته فيما بعد، وقال له أصنفاؤه إنه اعتاد أن يجلس فى مكتبه الصغير بعد أن يتم القيام بعمله اليومى، ويدون ما يجيش ب صدره فى بضعة سطور على ورق خفيف، ثم يلقي الورق فى سلة سلكية؛ على مكتبه للرجوع إليها فى المستقبل.

وقد ارتبط كتاب المقالات الطويلة Essayists والنقاد؛ بالصحف ارتباطاً وثيقاً. ومن ذلك أن "جوزيف أديسون" و"ريتشارد ستيل" من كتاب المقالات فى صحف القرن الثامن عشر؛ كانت مقالاتهما الطويلة فى مجلة سبكتيتور نماذج رائعة للصحافة الأدبية الانجليزية القديمة. وكان ناتانيل باركر، وهو كاتب مقال طويل وكاتب عمود أمريكى فى عام ١٨٤٠ وما بعده يحظى بشعبية كبيرة فى أيامه، على الرغم من أنه لا يعرف إلا قليلاً الآن. ومن أجمل النماذج الصحافة الأدبية الأمريكية" أفكار ديو هيرن وقد عمل كاتباً خاصاً لصحف سنسناتى، وعمل فيما بعد فى نيواورليانز، وكسب شهرة ككاتب لترجمات ومقالات طويلة نشرت أولاً فى الجرائد. ولما كان "هيرن" خجولاً جداً بحيث لم يستطع أن يقدم تحقيقات بانتظام فإنه احتفظ بمنصبه فى "سنسناتى انكوايادار" بكتابة مقالات يوم الأحد، ولكنه ظل يعمل كاتباً لمقال بارز من مقالات المعالم الصحفية feature وكانت ردود فعله العاطفية عظيمة جداً إلى حد أنها مكنته من أن يجمع أى شىء إلا المادة الواقعية ويكتبها كما لو كان يكتب قصة خبرية مباشرة. وبينما هو فى "سنسناتى" كتب: "المنبح" وحى الزنوج" والحياة على جسر "نهر". بل إنه ذهب إلى حد أنه تسلق برج كاتدرائية لها وذلك ليكتب مقالاً منوعاً Feature وهو ليس الوحيد فى مجال كتابة المعالم الصحفية التى حقق فيها كتاب المقالات الطويلة نجاحاً. إذ حقق "جيمس جيبونز هنيكر امتيازاً ككاتب لمقالات نقدية واسكتشات لصحف نيويورك. "وإدجار" ألان بو كتب المقالات النقدية المهمة باعتباره محرراً فى إحدى الصحف. وكانت تقييماته النقدية هامة لا للعصر الذى كتب فيه فحسب بل لأنها أيضاً كانت ذات قيمة لدارس النقد الحديث.

والمؤلفون والصحفيون الأدباء لهم مشكلات مماثلة؛ كما يقول "ولزلى" ذلك أن المبادئ الجوهرية التى عبر عنها الكاتب الروائى جوزيف كونراد تتمثل فى قوله: إن مهمتى التى أحاول أن أنجزها هى، بقوة الكلمة المكتوبة، أن أجعلك تسمع وأن أجعلك تشعر. وهى أولاً وقبل كل شىء، أن أجعلك ترى. والكاتب لى يجعل قراءه يسمعون مايقول ويشعرون بما يشعر به، ويرون من خلال عينيه، لابد أن يكون على حظ من المقدرة الأدبية الحقيقية، وأن يجذب الانتباه قسراً؛ عن طريق المزج بين مادة موضوعه ووجهة نظره وأسلوبه.

على أن المادة التى يستخدمها الصحفى الأديب يمكن أن تكون أخباراً ويمكن أن تكون جزءاً صغيراً لنبا، أو قد لا تكون لها علاقة على الإطلاق بأى نبا أوحدث،

أوقد تكون نوعا من حكاية إنسانية "لبن هكت" فى عموده "امسيات هزيلة" أوقد يكون وحيا ذاتيا لهيود براون". وهو يقدم تعبيراً عن تلك الأشياء التى تسبب رد فعل عاطفى.

ومن الصحفيين الأدباء فى القرن العشرين من أسهم فى تطوير "التحقيق الصحفى" reportage وهو تقرير يكتب لموعد نهائى، وهو نفس الموعد النهائى الذى يلبيه المندوب صحفى بالنسبة للأنباء، وإن كان على كاتب التحقيق الصحفى أن يفعل أكثر فى تقديم الحقائق. وهو ليس مجرد مشاهد يجيب عن أسئلة مثل: من وماذا، وأين ولماذا، ومتى؟ إنه يجب أن يجيب عن هذه الأسئلة.. وما تستدعيه من تساؤلات. وهو فى تقنيته ليس مختلفاً عن كاتب المقال الطويل غير الرسمى، وفى مواجهته للموضوع أى رد فعله للحقائق. ومحاولته أن يجعل القراء يتفاعلون بنفس الطريقة التى تفاعل هو نفسه بها، وأن يذوق ويشم ويلمس الأخبار والوقائع ولكن فى محاولة لخلق نغم عاطفى لا يودى إلى أى تشويه للحقائق. ومن ثم فإن التحقيق الصحفى يمكن تعريفه بأنه تقديم حقيقة معينة أو حقائق، أوحث.. معين بالذات فى وضع يساعد القارئ على أن يتثبت من تلك الحقائق أو ذلك الحدث.. والتحقيق الصحفى reportage صحافة أدبية، عندما يكتبه صحفى من الأدباء يحشد قدرته الكتابية لمقتضيات هذا الفن.

ومن الأحداث الخبرية قد تأتى قصص قصيرة أو قصائد أو حتى روايات:

يتميز الصحفى الأديب بوجهة نظر خاصة؛ ويجعل القراء يشعرون بما يكتب؛ لأنه يفهم سيكولوجية العاطفة الإنسانية بدرجة كافية تماماً؛ بحيث يستطيع أن يصنع ما يثير إشفافه وحبه وخوفه ويثير قراءه بنفس الطريقة، وهو يجعل القراء يرون الحقيقة الخارجية أو الحدث فحسب، بل ما يكمن فيهما، وما يشير إلى من مغزى أو حقيقة كونية. وهو يجعل قراءه يرون بالمعنى الحقيقى، لأنه يفتح عيونهم على أشياء لم يروها قط من قبل أو لم يدركوا كنهها إلا بصورة مبهمه. وإذا كتب المخبر الصحفى سجلاً عن الواقع فإن الصحفى الأديب قد يقال إنه يقدم نموذجاً للواقع عن طريق وسيط medium من خياله. ومن أجل هذا يقوم الصحفى الأديب بتشخيص كتابته. أى أنه يقول إنه أكثر اهتماماً بالناس؛ وبعلاقة كل واحد منهم بالآخر، وذلك أكثر مما هو عليه من حيث المبادئ أو التعليق المجرد. والصحفى الذى له وجهة نظر فى العلوم السياسية يرى الأنباء من زاوية علاقتها

بالنظريات والممارسات العملية للحكومة. والصحفى الأديب يرى الأنباء من حيث علاقتها بالصفة الإنسانية؛ وإمكاناتها لإظهار الناس فى وسط الحياة، حياة قد تبدو كوميدية أوتراجيدية أو مؤثرة أو هزلية. وإذا ماتم إنجاز ذلك فإنه يجب أن يحقق تناقضا ظاهرا أى أنه يجب أن يكون له منظور يرى الأشياء من خلاله - فى جملتها الكاملة لأفى أجزائها؛ وفى الوقت نفسه ينبغى أن ينحاز فى علاقاته الإنسانية. والكاتب ينبغى أن يكون خارج الأمور الشخصية الى يحبها ويكرهها ولكنه لا يستطيع أن يعطى القارئ الانطباع بأنه ينظر إلى الأشياء التى يكتب عنها من الخارج. أى أنه إذا رأى الأشياء فى منظورها الصحيح فإنه لن يكتب من ميل شخصى تافه بل إنه سوف يعرف لماذا يكتب هذا الشئ بالذات وما يحاول أن يقوله. وما إن يعرف ما يريد أن يحمله للقارئ وما هو موضوعه فإن كل ما يكتب يكون تكراراً لذلك الموضوع. وقد قيل إن الحياة ملهاة بالنسبة لمن يفكرون، ومأساة بالنسبة لمن يشعرون. ولعل ذلك هو كل ما يحاول الكاتب أن ينقله، ولكنه فى كل ما يكتبه يعبر عن ذلك الاقتناع. والمخبر الصحفى الذى ينقل الأخبار لا يستطيع أن يكون له موضوع. وهو لا يستطيع أن يلون نسخته لكى يجعل القارئ يشعر بأن أشياء معينة خطأ. ولكن الكاتب الخاص وكاتب الافتتاحية وكاتب العمود يمكنهم أن يفعلوا هذا. وكثير من هؤلاء قدم كل منهم تعبيرات قوية لوجهة نظر أو موقف تجاه المشكلات الحالية المعاصرة. والعنصر الإنسانى فى الأخبار هو الذى يهتم الصحفى الأديب وهو يكتب جيذا لأنه يشعر شعورا عميقا. والعمق العاطفى هو الذى يجعل القصة حتى ولو كانت غير متسلسلة قصة هامة.

والصحفى الأديب يهتم بأسلوبه فى الكتابة .. وفى ذلك يذهب "ولزلى" إلى أن الصحفى الأديب ليس مرتبطا بالقيود الخاصة بتغطية الأنباء مباشرة والمفروضة على المندوب الصحفى؛ فمشكلته ليست فقط هى أن يقدم للناس الحقائق بل أن يجعلهم يحسون بها. ومن أجل ذلك فإن عليه أن يولى نفس الاهتمام بالتقنية مثل الأديب الذى ربما لم يُرَقَط داخل صالة التحرير فى جريدة من الجرائد. والمشكلة التى تواجه الصحفى الأديب هى مشكلة خاصة؛ لا بما يقوله فحسب بل أيضا بالكيفية التى يقول بها.

وفى الصحافة الأدبية هناك كتاب واقعيون مثل إرنست هيمنجواى وجون دوس باسوس وجيمس فاريل. وهناك آخرون يتمتعون بالهجو اللاذع لسنكليرلويس فى كتاب مثل "الشارع الرئيسى". وفى الطرف الآخر هناك كتاب رمانسيون يمثلهم

رشارد هارونج ديثيس. وهؤلاء الرجال لكي يصوروا وجهة نظرهم. في الحياة وينقلوها لقرائهم ينبغي أن يولوا التقنية التي يتوصلون بها في الكتابة فكراً عظيماً والكاتب الواقعي يرى تفاصيل معينة يغفلها الكاتب الرومانسي، وربما كان هو نفسه. لا يرى التفاصيل التي تؤثر في الكاتب الواقعي، ولكنه إذا رآها يتجاهلها لكي يعطي صورة رومانسية للحياة. وفي أي شكل من أشكال الكتابة الإبداعية يكون مبدأ الاختيار من الأهمية بمكان، وكاتب الأخبار ينبغي أن يتشبه بمجموعة من الحقائق لجماعة من الناس. وكاتب القصة الخيالية والصحفي الأدبي يمكنهما أن يتمتعا بقدر أكبر من الحرية مع الحقائق، والناس الذين لهم ضلع فيها. والمندوب الصحفي المستقيم يسجل الحقائق عن جريمة قتل. أما الكاتب الروائي والصحفي الأدبي فإنهما يهتمان بالدافع وأنواع الناس الذين لهم علاقة بها. واللون العاطفي في الظروف المحيطة بها. ولكنهم، لكي يحققوا أثر الحدة الدرامية ينبغي أن يقوموا بعملية اختيار في التفاصيل التي تتضمنها القصة.

كذلك فإن الصحفي الأدبي يغفل أهمية الطريقة التي بها تقدم هذه التفاصيل وهو قد يتبنى أسلوباً مرسلًا حرًا informal أويتجنب أسلوب المقال الطويل يمكن أن تطبق على المقال الافتتاحي الذي ينطوي على أهمية إنسانية، وهي أهمية كثيراً ما تستخدم في العمود. ومن جهة أخرى فإن هيمنجواي قد حقق فعاليته الفنية عن طريق استخدام جمل قصيرة. وليس هناك أسلوب واحد للصحافة الأدبية. ولكن على الكاتب أن يكون له أسلوب خاص به.

ومن ثم فإن في طريقة تقديم أمر ما من الأمور؛ هي التي تحدد المشكلة التي يواجهها الصحفي الأدبي .. وهي مشكلات مماثلة للمشكلات التي يواجهها الكاتب الروائي وكاتب القصة القصيرة والشاعر وكاتب المسرحية.

بناء المقال النقدي :

وإذا كنا نتفق على أن التحرير في جميع أنواعه إنما يقوم على "التفكير"، و"التعبير" معا، فإننا سوف ننظر إلى ما يشيع في تعريف المقالة منذ "جونصون" واعتبارها "نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام؛ نظرة مغايرة، ربما تتفق مع "جونصون" نفسه، إذا اعتبرنا ما يقوله نابعاً من "النظام النسبي" إن جاز التعبير، قياساً إلى الفنون الأدبية الأخرى للتمييز بينها. وإذا نظرنا إلى تعريف

"جونسون" أيضا، على أنه يريد للنظام فى المقالة أن يتجاوز نفسه، حتى ل يبدو فى سياق غير منظم، لا جرى على نسق معلوم. ذلك أن عنصر "التفكير" فى التحرير المقالى، يخط له التنسيق الملائم، النابع من الرؤيا الإبداعية للكاتب نفسه، ومن طريقة "تفكيره" المتميز بها، وهى الطريقة التى تؤكد أنه لا يكفى أن يكون هناك خاطر فى المقالة، بل لا بد من ملاحظة النظام فى كيفية إيضاحه، إذ لاجلاء بدون تنسيق. وكما يقول الأستاذ -ممر الدسوقي- فلا بد قبل الكتابة من وضع رسم ولو رعوس أقلام، فانه إذا لم يوضع الرسم يرتبك الذكى ولا يعرف كيف يبتدىء. وكذلك يدخل فى تفاصيل مملة، ويضيع المسألة المهمة، ويصير مظلما كلما اجتهد فى الإيضاح، ومن أين له أن قارئه يصبرون إلى أن يعود ليهتدى سبيله. وفى الكتابة القصيرة لا يستغنى البتة عن هذا الرسم، ولكن العادة تجعله مصورا فى الذهن على الفور، وكيف كان.. ففى التنسيق ثلاثة أمور ضرورية: وحدة الموضوع، وتلاحم الأجزاء، واستقلالها التدريجى".

فعنصر "التفكير" إذن - فى التحرير المقالى - يؤدى إلى البناء الداخلى فى المقالة، وفقا لنظام نابع من رؤيا الكاتب الإبداعية، ولذلك يرى النقاد أن كاتب المقالة ملزم بالتفكير فيما يريد أن يكتب قبل أن يتناول القلم، ثم يسير موضوعه سيرا منطقيا متجنباً الفضول، ومركزا فكره فى النقاط الرئيسية، على أن يكون لموضوعه وحدة تربط بين أجزائه، وأن يكون واضحا فى تعبيره، منتخبا لكلماته، ولأسلوبه طلاوة وعليه جمال.. فضلا عن تنسيق الأفكار؛ الذى يعد شرطا أساسيا من شروط الاتصال المؤثر.

من مراجع الكتاب

- إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩ : دراسات فى الفن الصحفى؛ القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠
- إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ - ١٩٥١؛ القاهرة مكتبة الآداب، ط ٣ = ١٩٥١
- أحمد حسين الصاوى : فجر الصحافة فى مصر؛ دراسة فى إعلام الحملة الفرنسية، القاهرة ١٩٧٥
- جيهان أحمد رشتى : الاعلام الدولى بالراديو والتلفزيون، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٧٩.
- : الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٧٩
- حافظ محمود : !معارك فى الصحافة والسياسة والفكر بين ١٩١٩- ١٩٥٣؛ زكريات حافظ محمود، كتاب الجمهورية العدد الأول، إيل ١٩٦٦.
- حسن عماد مكاوى : أخلاقيات العمل الإعلامى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨.
- حسين عبد القادر : الصحافة كمصدر للتاريخ؛ القاهرة
- : رأى العام والدعاية وحرية الصحافة، القاهرة؛ دار
- حمدى حسن : الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام، القاهرة دار الفكر العربى ١٩٩١.
- خليل صابات : الصحافة رسالة، استعداد فن وعلم، القاهرة، دار المعارف بمصر ط ٢ = ١٩٦٨.
- : وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها؛ القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ط ٥ = ١٩٨٧
- راجية أحمد قنديل : الصورة الإسرائيلية فى عينة من الصحف المصرية؛ رسالة دكتوراة - كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٨١.
- راسم محمد الجمال : الاتصال والإعلام فى الوطن العربى، بيروت ١٩٩١.
- سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى؛ القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨.
- سامية أحمد على : البرامج الثقافية فى الراديو والتلفزيون؛ القاهرة دار

- الفجر، ١٩٩٧.
- سعد لبيب : دراسات فى الفنون الإذاعية، كتب إذاعية، بغداد، ١٩٧٣.
- سمير محمد حسين : الإعلام و الاتصال بال جماهير والرأى العام، القاهرة؛ عالم الكتب ١٩٨٢.
- بحوث الإعلام، الأسس والمبادئ، القاهرة عالم الكتب ١٩٧٦
- عبد العزيز شرف : فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧.
- : فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥.
- : عصر العقاد؛ صفحات وطوية فى تاريخ الصحافة المصرية؛ القاهرة، مكتبة مختار ١٩٩٠.
- : أدب المقالة؛ سلسلة أدبيات القاهرة؛ مؤسسة لونغمان؛ ١٩٩٧.
- : التفسير الإعلامى لأدب المقالة؛ القاهرة؛ مؤسسة مختار ١٩٩٦.
- : وسائل الإعلام ولغة الحضارة؛ القاهرة؛ مؤسسة مختار ١٩٩٥.
- : أدب المقال من المعاصرة إلى الأصالة، بيروت دار الجيل ١٩٩٨.
- عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ٨ أجزاء؛ القاهرة؛ دار الفكر العربى.
- : الجزء التاسع - بالاشتراك مع عبد العزيز شرف - الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ القاهرة ١٩٩٨.
- على عجوة : الأسس العلمية للعلاقات العامة، القاهرة، عالم الكتب ١٩٧٨.
- عواطف عبد الرحمن : الصحافة العربية فى الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية ١٩٥٤ - ١٩٦٢، القاهرة مركز البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨.
- فاروق أبو زيد : فن الخبر الصحفى، دراسة مقارنة بين الصحف فى المجتمعات المتقدمة والنامية؛ القاهرة، دار المأمون

- للطباعة والنشر، ١٩٨١.
- : فن الكتابة الصحفية، القاهرة، دار المأمون للطباعة والنشر ١٩٨١.
- : أزمة الفكر القومي في الصحافة المصرية تقديم د. خليل صابات، القاهرة، دار الفكر والفن ١٩٧٦.
- : أزمة الديمقراطية في الصحافة المصرية: تقديم. مختار التهامي، ١٩٧٦.
- كرم شلبي : فن الكتابة للراديو والتلفزيون؛ جدة، دار الشروق ١٩٨٦.
- : معجم المصطلحات الإعلامية؛ بيروت، دار الجيل ١٩٩٤.
- : ليلي عبد المجيد : حرية الصحافة في مصر بين التشريع والتطبيق ١٩٥٢-١٩٧٤؛ القاهرة الطباعي العربي للنشر والتوزيع ١٩٨٦.
- : الصحافة في الوطن العربي؛ القاهرة؛ العربي للنشر والتوزيع ١٩٩٠.
- ماجى الحلوانى : الاذاعات العربية، القاهرة؛ دار الفكر العربى، ١٩٨٢.
- محمد عبد الحميد : تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، جدة، دار الشروق ١٩٨٣.
- محمود علم الدين : الصورة الفوتوغرافية في مجالات الإعلام، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١.
- : ثلاث معارك فكرية، القاهرة دار مأمون للطباعة، ١٩٧٦.
- منى سعيد الحديدى : الفيلم التسجيلي، تعريفه، اتجاهاته، أسسه، قواعده، القاهرة دار الفكر العربى ١٩٨٢.

محتويات الكتاب

الصفحة

المقدمة :..... ٧

الفصل الأول :

أدب المقالة وفن المقال الصحفي ١٧

الفصل الثاني :

المقال الصحفي و "التعادلية " الوظيفية ٢٩

الفصل الثالث :

فن المقال الافتتاحي ٥٥

الفصل الرابع :

فن العمود الصحفي ١٠٥

الفصل الخامس :

فن اليوميات الصحفية ١٤٩

الفصل السادس :

فن المقال التحليلي ١٦٩

الفصل السابع :

فن المقال النقدي ٢٣٧